الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

عميد كلية الدراسات العليا

ابـــن معصـــوم

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ

حياته وشعره

محمـد مسعود أرجـن

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.

تشرين الثاني / ١٩٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرارٌ لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٩٥م ، وأجيزت .

أعضاء اللجنة :

١- الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي (رئيساً).....

٢- الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة (عضوا).....

٣- الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم (عضوا).....

٤- الدكتور عبد الكريم الحياري (عضوا).....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى أبي وأمي مع أجمل معاني الحب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

يطيب لي بعد أن فرغت من هذه الرسالة أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي الذي أشرف على هذه الرسالة لما بذله من جهد ورعاية إلى أن رأت الرسالة وجه النور.

كما يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من :

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ،و الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم ، والدكتور عبد الكريم الحياري ، على تفضلهم بقبول قراءة الرسالة ومناقشتها.

ومن دواعي سروري ختاما، أن أقدم من أعماق قلبي خالص الشكر إلى كل من الزملاء السيد أدهم فرحان تركي، والسيد جنكيز تومار ،والسيد إبراهيم أوزاي على ما قدموه لي من مساعدة يعجز عن قضائها لسان الشكر في المراحل المختلفة التي مرت بها الرسالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ز
المقدمة	١
تمهيد تاريخي :الحجاز والهند	٥-٢٢
الحجاز	٧
الهند	١١
الفصل الأول : حياته وآثاره	٢٢-٥١
اسمه ونسبه	٢٣
مولده وأسرته	٢٤
نشأته ومراحل حياته	٢٦
دراسته وثقافته	٣٤
مذهبه	٣٧
وفاته	٣٩
آثاره	٤٠
الفصل الثاني : شعره،دراسة فنونه	٥٢-١٠٩
الغزل	٥٣
الفخر	٦٤
المديح	٦٦
الإخوانيات	٨٣
الرثاء	٩٥
الغربة والحنين إلى الوطن	١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر المذهبي	١٠٧
الفصل الثالث: دراسة فنية	١١٠-١٣٦
بناء القصيدة	١١١
الأسلوب واللغة	١٢٢
الصورة الشعرية	١٣٣
الخاتمة	١٣٧
المصادر والمراجع	١٤٢
الملخص باللغة الانكليزية	١٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

ابن معصوم حياته وشعره

محمد مسعود أرجن

إشراف : الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

الهدف من هذه الدراسة يتلخص في ثلاثة محاور أوجزها بما يلي :

أولا: تشكيل صورة عامة حول العصر الذي عاش فيه ابن معصوم (١٠٥٢-١١٢٠هـ)، ومدى تأثر الشاعر بما جرى حوله من أحداث مختلفة.

ثانيا: دراسة حياة الشاعر وما طرأ عليها من تغيرات وأثرها في شعره.

ثالثا: الحديث عن الأغراض الشعرية التي تطرق إليها الشاعر من غزل، وفخر، ومديح، وإخوانيات وغيرها من الفنون الشعرية، ودراسة شعره من الناحية الفنية دراسة تحليلة نقدية.

وقد اتخذت هذه الدراسة التفاعل مع النص منهجا، واستفادت من المنهج التكاملي باستقرائه، ووصفه، وتحليله، وتقويمه، مع محاولة الحديث عن الأغراض الشعرية والخصائص الفنية العامة التي اتسم بها شعر ابن معصوم، ورصد مراحل حياته من شعره، وآثاره، ومن المصادر المختلفة التي تناولت ترجمته.

أتت هذه الدراسة مرتبة على النحو التالي :

التمهيد : وفيه عرض موجز للنواحي السياسية والاجتماعية والثقافية في الحجاز والهند في القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين، ومدى صلتها بحياة الشاعر و شعره.

الفصل الأول : جاءت فيه دراسة حياة الشاعر بمراحلها المختلفة وتكوينه الثقافي ومذهبه، والآثار التي خلفها لنا مع توضيح قيمتها الأدبية بشكل موجز.

الفصل الثاني : يتضمن دراسة الفنون الشعرية المختلفة التي تحدث عنها الشاعر من غزل، وفخر، ومديح، وإخوانيات، ورثاء، وحنين إلى الوطن، وشعر مذهبي، مظهرا القضايا والأفكار التي وردت فيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث : يشمل محاولة لتوضيح الخصائص الفنية العامة في شعر ابن معصوم من خلال دراسة شكل القصيدة والأسلوب الفني الذي استخدمه الشاعر بالإضافة إلى دراسة اللغة الشعرية والوسائل البيانية التي تمثلت من خلالها الصورة الشعرية .

والخاتمة : تحوي النتائج التي خرجت بها الدراسة. وحاولت في ختامها أن أبدي رأيا شخصيا حول شاعرية ابن معصوم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

لعل العصر العثماني لم يثر اهتمام الباحثين للإقبال على دراسته لكثرة ما قيل عنه بأنه عصر انحطاط . فلم تجد الكنوز الدفينة في رفوف الخزائن من يرفع عنها الغبار ليكشفها ويخرجها من الظلمات إلى النور. وانطلاقا من هذا وجدت نفسي باحثا عن موضوع أدرسه يمثل هذا العصر ومحاولا كشف شيء ولو يسير من خباياه . ولاقى اقتراح أستاذي الدكتور عبد الجليل عبد المهدي القيام بدراسة حياة ابن معصوم وشعره قبولاً في نفسي وباشرت البحث لاستكمال مستلزمات الدراسة من مصادر ومراجع مختلفة .

وقد رسمت لهذه الدراسة أهدافا أوجزها فيما يلي:

أولا: دراسة عصر الشاعر ومدى تأثره بما جرى حوله من أحداث مختلفة .

ثانياً: دراسة الموضوعات الشعرية التي تناولها الشاعر في ديوانه من غزل، وفخر،ومديح وغير ذلك من الفنون الشعرية.

ثالثا: الوقوف على الخصائص الفنية العامة التي اتسم بها شعره.

كان ابن معصوم شاعرا ناثرا عالما في النحو . عاش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر والربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري. ولم يلق اهتماما من الباحثين على الرغم من تضلعه في الفنون الأدبية المختلفة كما سنرى عند عرض مؤلفاته التي تناولت ميادين شتى.

وقد اتخذت هذه الدراسة التفاعل مع النص من الداخل منهجا، واستفادت من المنهج التكاملي باستقرائه ، ووصفه ، وتحليله ، وتقويمه، وحاولت الحديث عن الأغراض الشعرية والخصائص الفنية العامة التي اتسم بها شعره،ورصد حياته من خلال شعره وآثاره ومن المصادر المختلفة التي تناولت ترجمته .

أما خطة الدراسة فقد توزعت بين تمهيد تاريخي ، وفصول ثلاثة ، وخاتمة.

تحدثت في التمهيد التاريخي بصورة موجزة عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الحجاز والهند في عصر ابن معصوم ، ومدى صلة هذه النواحي بحياة الشاعر وشعره ، إذ لا يمكننا الحديث عن حياة الشاعر دون معرفة واقع عصره من هذه النواحي الثلاثة .

وخصصت الفصل الأول لدراسة حياة الشاعر وآثاره ، فتحدثت فيه عن اسمه ونسبه ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومولده،وأسرته،ومراحل حياته المختلفة ، وثقافته، ومذهبه،ووفاته. وأتيت بعد ذلك على ذكر آثاره مع توضيح قيمتها الأدبية بإيجاز.

وفي الفصل الثاني تناولت الموضوعات الشعرية المختلفة التي تحدث عنها الشاعر في ديوانه من غزل ، وفخر،ومديح، وإخوانيات، ورثاء، وحنين إلى الوطن ، وشعر مذهبي، مظهرا القضايا والأفكار التي وردت فيها .

وتحدثت في الفصل الثالث عن الخصائص الفنية العامة في شعر ابن معصوم من خلال دراسة بناء القصيدة والأسلوب الفني الذي استخدمه الشاعر بألوانه المتعددة ، إضافةإلى لغته الشعرية والوسائل البيانية التي تمثلت من خلالها الصورة الشعرية .

أما الخاتمة فكانت تلخيصا لما توصلت إليه من نتائج ، محاولا فيها أن أبدي رأيا شخصيا حول شاعرية ابن معصوم.

وقد اعترضت طريقي صعوبات كثيرة في أثناء البحث، منها:

أولا: وجود مخطوطة للديوان في مكتبة آصفية في حيدر آباد بالهند، والتي لم يقم المحقق بالإشارة إليها.

ثانياً: صعوبة الحصول على بعض آثاره المطبوعة.

ثالثا: قلة المصادر التي تتحدث عن الحجاز في عصر الشاعر، إضافة إلى أن أهم المصادر التي تتناول الهند في عصره مكتوبة باللغة الفارسية .

ولتخطي هذه العقبات بدأت البحث والسعي، وذلك من خلال طلبي الذي تقدمت به إلى مركز الوثائق والمخطوطات في مكتبة الجامعة الأردنية للحصول على المخطوطة الموجودة في مكتبة آصفية ، غير أن الرد لم يأت من الهند ، فاضطررت إلى الاكتفاء بالديوان المطبوع.

وللحصول على بعض آثاره سافرت إلى بيروت وبحثت في مكتباتها بعد أن وصل إليّ خبر عن وجود بعض مؤلفاته هناك ،فوجدت في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت كتابه المعنون:«الدرجات الرفيعةفي طبقات الإمامية من الشيعة» وهومصنف تحت رقم:« M281dA,922.97(BAU)»، وقمت بتصوير الكتاب. وأعانني هذا الكتاب في تحديد صورة مذهبه بشكل دقيق أكثر وتوضيحها .

ومن ثم طفت بالمكتبات في دمشق باحثا عن أي مصدر أستفيد منه في دراستي ، فوجّهت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى مكتبة الأسد بدمشق، وفيها عثرت على كتاب «روضات الجنات » للخوانساري، وهو مصدر مهم حول ترجمة شاعرنا ، فصورت ما يخص الشاعر، وسيرد ما أخذ منه في صفحات الرسالة .

أما المصادر التي تتحدث عن الحجاز فلم تسعفني كثيراً لقلتها رغم اعتمادي على المصادر العربية والتركية والانكليزية. أما فيما يتصل بالمصادر التي تتناول الهند في عصر الشاعر فلم أستطع الولوج إليها لعدم معرفتي اللغة التي كتبت بها ، وهي الفارسية . فتوجهت إلى المراجع الحديثة حول ذاك العصر وما كتب عنه باللغة التركية والانكليزية والعربية.

أما المصادر والمراجع التي عدت إليها في بحثي فقد تنوعت بين القديم والحديث، والتاريخ والأدب. فكانت كتبا وموسوعات ومقالات في مجالات متخصصة . وبلغت مائة وثلاثة ، وسأورد أسماء أهم المصادر والمراجع التي تشكل أهمية بالغة لبحثي ، وهي :

أولا: ما يتعلق منها بتاريخ الحجاز: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي وهو من معاصري ابن معصوم، «وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام » لدحلان ، وكلاهما مصدران مهمان لتأريخ الحجاز في تلك الحقبة من التاريخ. ومن المراجع المهمة نستطيع أن نذكر كتاب «MEKKE-I MUKERREME EMIRLERI» لإسماعيل حقي أوزون جارشلي.

ثانياً: ما يتعلق منها بتاريخ الهند : وجدت في هذا المجال مرجعين مهمين لتاريخ الهند ، أحدهما بالتركية والآخر بالانكليزية وهما :«HINDISTAN TARIHI» لحكمت بايور، و«CAMBRIDGE HISTORY OF INDIA» لـ RICHARD BURN.

ثالثا: ما يتعلق منها بحياة الشاعر : أستطيع عدّ المصادر في هذا المجال من آثاره وهي:«الديوان» ، و«سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر» ، و«سلوة الغريب وأسوة الأريب»،و« أنوار الربيع في أنواع البديع» ، و«الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة». ومن أهم مصادر ترجمته: «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة » للمحبي،و«نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس »للموسوي، و«روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات» للخوانساري، و« الغدير في الكتاب والسنة والأدب»للنجفي ، و« أعيان الشيعة» لمحسن الأمين ، و«رياض العلماء وحياض الفضلاء »لميرزا الأصبهاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعدت إلى دائرة المعارف الإسلامية المكتوبة بالعربية والانكليزية والتركية في توضيح صورة الهند وتعريف بعض الأماكن والأعلام الواردة في الرسالة .

وقد استفدت من مقال عنوانه «نفائس المخطوطات العربية» لأسعد طلس في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، كما استعنت بمقال عنوانه«نظرة إجمالية على شعراء اللغة العربية الهنود» لحامد علي خان في مجلة ثقافة الهند.

وأخيراً كل ما آمله من هذه الدراسة أن تكون قد وفقت في إضاءة شيء من حياة ابن معصوم وشعره قدر المستطاع .

محمد مسعود أرجن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد تاريخي

تعرض العالم الإسلامي لتغيرات أساسية في الربع الأول من القرن العاشر الهجري ، إذ انقرضت دولة المماليك في مصر والشام على يد الدولة العثمانية ، وقضي بذلك على بقايا الخلافة العباسية في مصر[١].

في تلك الحقبة ظهرت دولتان إسلاميتان قويتان إلى جانب الدولة العثمانية القائمة منذ القرن الثامن الهجري، وهما: الدولة الصفوية التي تأسست بعد أن استولى شاه إسماعيل على الحكم في تبريز عام ٩٠٧هـ[٢].وظلت الدولة الصفوية قائمة إلى أن فقد الشاه حسين الصفوي(*)عرشه وحياته عقب المعركة التي اندحر فيها أمام الأمير محمود أمير الأفغان (*٢)عام ١١٣٥هـ[٣]،أما الدولة الأخرى فهي الإمبراطورية المغولية التي تأسست تحت قيادة بَابُرْ(*٣)على أرض الهند سنة ٩٣٣هـ[٤].

لا أريد أن ألج في تفاصيل أخبار هذه الدول ، فقد تحدثت عنها كتب كثيرة [٥].وما أريده هنا هو تقديم صورة موجزة عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت تسود تلك

---

(١) UZUNCARSILI, I.H,.:OSMANLI TARIHI, 3. BASKI, T.T.K., ANKARA,1975.2/291 -UZUNCARSILI,OSMANLI TARIHI :- يشار إليه بـ

(٢) MORGAN, D.: MEDIEVAL PERSIA 1040-1797, 1ST .EDITION,LONGMAN, NEW YORK,1988,P.112,-MORGAN,MEDIEVAL :- يشار إليه بـ

(*) هو الشاه حسين بن سليمان الصفوي ، شاه فارس من سنة ١١٠٦ -١١٣٥هـ . وقد انهارت في عهده الدولة الصفوية .(دائرة المعارف الإسلامية ،١٤/٤١٣).

(*٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) MORGAN , MEDIEVAL PP.150-151.

(*٣) بابُر، هو ظهير الدين محمد (٨٨٥-٩٣٧هـ) مؤسس إمبراطورية المغول بالهند سليل تيمورلنك .(دائرة المعارف الإسلامية،٥/٥٣٥).

(٤) BAYUR,Y.H.: HINDISTAN TARIHI ,2.BASKI ,T.T.K.ANKARA, 1987,2/6. -BAYUR,HINDISTAN TARIHI :- يشار إليه بـ

(٥) انظر للدولة العثمانية :UZUNCARSILI ,OSMANLI TARIHI; KOPRULU, FUAT, OSMANLI IMPARATORLUGUNUN KURULUSU;ALDERSON,A.D.,THE STRUCTURE OF THE OTTOMAN DYNASTY; HAMMER- PURGSTALL J.V., DEVLET-I OSMANIYE TARIHI CEV: MEHMET ATA.

وانظر للدولة الصفوية في ايران: SAVORY ,ROGER,IRAN UNDER THE SAFAVIDS; MORGAN,DAVID,MEDIEVAL PERSIA1040-1797; SYKES,PERCY,HISTORY OF PERSIA; N.WILBER,DONALD, IRAN PAST AND PRESENT.

وانظر للدولة المغولية في الهند: HAIG,WOLSELEY-BURN,RICHARD,THE CAMBRIDGE HISTORY OF INDIA ,VOL 4:"THE MUGHUL PERIOD ".; BAYUR ,HINDISTAN TARIHI ;SULLIVAN,EDWARD,THE CONQUERORS WARRIORS AND STATESMEN OF INDIA ; GARRATT ,G.T., THE LEGACY OF INDIA.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقبة التي عاش فيها ابن معصوم .

أولا: الحجاز

استطاع السلطان سليم الأول السلطان العثماني، في القرن العاشر الهجري أن يفرض هيمنته على بلاد الشام بعد معركة دارت بينه وبين قانصوه الغوري في مرج دابق عام٩٢٢هـ[١] تمكن بعدها من الاستيلاء على مصر بعد معركة الرِّيدانيَّة بعد أن هزم المماليك سنة ٩٢٣هـ[٢].وبذلك انقرضت دولة المماليك ، وطويت صفحة، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ البلاد العربية بما فيها الحجاز.

وفي أثناء ذلك قام أمير مكة آنئذ الشريف« بركات بن محمد الحسيني» بإرسال ولده أبا نُمَيْ إلى السلطان سليم الأول ليسلمه مفاتيح مكة مظهرا ولاءه للحكم العثماني [٣].

فاستقبل أبو نُمَيْ بحفاوة بالغة عند وصوله إلى مصر، وقام السلطان سليم الأول بإرسال مرسوم إلى مكة يتضمن إقرار إمارة الشريف بركات على مكة والمصادقة عليها .

وتسلم أبو نُمَيْ هذا المرسوم مع الهدايا والذخائر التي قدمت إليه لتوزيعها على قاطني مكة والمدينة،وتقرر إعطاء مرتب شهري لأميرمكة من خزينة مصر سنة ٩٢٣هـ.واعتبارا من هذا التاريخ بدأت تذكر أسماء السلاطين العثمانيين إلى جانب أسماء أمراء مكة في مساجد مكةوالمدينة[٤].

لم يتعرض الحجاز بذلك إلى تغيرات جوهرية بعد أن دخل تحت الحكم العثماني ، حيث احتفظ بنظام الشرافة(*)، واعترفت الدولة العثمانية بوضعه الخاص،وبالحقوق الموروثة للأسرة الحاكمة.

---

(١) UZUNCARSILI,OSMANLI TARIHI, 2/284.

(٢)المرجع نفسه،٢/٢٨٩.

(٣) المرجع نفسه،٢/٢٩٢.

(٤) UZUNCARSILI,I.H .: MEKKE-I MUKERREME EMIRLERI, 1.BASKI., T.T.K., ANKARA, 1972 .P.18-UZUNCARSILI , MEKKE : - يشار إليه بـ

(*) هو نظام يقع على رأسه الأشراف، والشريف هو الذي ينتهي نسبه إلى الرسول عن طريق حسن بن علي .«شريف مكة» وهو لقب أطلق على حكام مكة.

(GAURY,D.G.: RULERS OF MECCA, 1ST EDITION ,GEORGE G .HARRAP CO . LTD ,LONDON ,1951.P.282 -GAURY,RULERS :-يشار إليه بـ)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استمرت إمارة الشريف بركات إلى أن توفي عام ٩٣١هـ،فتولى الإمارة الشريف أبو نمي ابن بركات بمرسوم من سلطان الدولة العثمانية [١]، وقد كان أبو نمي محاربا جريئا وذا دراية في الأمور الإدارية [٢]. وفي عهده حاول البرتغاليون الاستيلاء على جدة ، لكن أبا نُمَيْ وقف مع والي جدة، مما اضطر البرتغاليين إلى الانسحاب، وبهذا الانتصار خصص لشريف مكة نصف واردات جدة [٣].

استقال أبو نُمَيْ من إمارة مكة عام ٩٦٠هـ، وأراد أن يكون ابنه الشريف أحمد خلفا له ، فكان له ما أراد ، ولكن الشريف أحمد توفي بعد عام من تعيينه على الإمارة .وولي بعده إمارة مكة الشريف حسن عام ٩٦١هـ[٤]، وكان هذا الأخير يتحلى بالفتوة والبسالة،ويتمتع بعقل ودراية إلى جانب فراسته[٥].وخلال عهده توفي الشريف أبو نُمَيْ-والده-عام ٩٩٢هـ[٦]. واستمر هو في الإمارة إلى عام ١٠١٠هـ[٧].

وبوفاة الشريف حسن شهد الحجاز اضطرابات سياسية من أجل الوصول إلى الحكم ، استغرقت فترة من الزمن ، واستمرت إلى أن أصبح الشريف زيد بن المحسن [٥] شريف مكة في سنة ١٠٤١هـ[٨].وقد كان عادلا مشفقا على رعيته، وقام بإلغاء ما يخالف الكتاب والسنة، ونهض بتعمير البلاد . وساد مكة الأمن والهدوء في عهده[٩] . وقد دام حكمه خمسا وثلاثين سنة حتى توفي عام ١٠٧٧هـ[١٠].

* * *

(١) UZUNCARSILI ,MEKKE. P.74.

(٢) المرجع نفسه ،ص٧٥.

(٣) أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة،١٩٧٧م،ص٥٣.-ويشار إليه بـ:دحلان ،خلاصة الكلام.-

(٤) UZUNCARSILI,MEKKE.PP.75-77.

(٥)دحلان ، خلاصة الكلام ، ص٥٦.

(٦) UZUNCARSILI, MEKKE.P.77.

(٧) محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت:١١١١هـ) ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر ، بيروت ،بلا تاريخ ، ٢/١٤. -ويشار إليه بـ: المحبي، خلاصة الأثر.-

(٥) هو زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نُمَيْ (١٠١٤-١٠٧٧هـ) ولد في مكة وتوفي بها . ولي إمارة مكة ١٠٤١هـ إلى أن توفي عام ١٠٧٧هـ(المحبي، خلاصة الأثر ،٢/١٧٦-١٨٦).

(٨) السيد علي صدر الدين بن محمد معصوم (ت:١١٢٠هـ) ، سلوة الغريب وأسوة الأريب ،تحقيق ، شاكر هادي شكر، ط١،عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ،١٩٨٨م،ص٥٢. -ويشار إليه بـ: ابن معصوم ، سلوة الغريب.-

(٩) المحبي ، خلاصة الأثر ،٢/١٧٧-١٧٨.

(١٠) دحلان ، خلاصة الكلام ، ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن المجتمع الحجازي في العصر العثماني في القرن الحادي عشر الهجري مختلفاً من ناحية التقسيم التقليدي عن غيره من المجتمعات ، حيث كان المجتمع في الحجاز يتمحور حول ثلاث طبقات رئيسية، هي؛

الطبقة الأولى: وهي الطبقة الحاكمة وتضم الأشراف ،ووالي جدة ، والقضاة . ونعمت هذه الطبقة بالثراء ،فقد كانت الأموال والمخصصات التي ترسلها الدولة العثمانية إلى الحجاز توضع بحوزتهم [١].

واهتم الأشراف بأمور الرعية والبلاد، وقد كان منهم الشريف زيد بن المحسن الذي أولى عنايته لتحسين أمور الرعية وتعمير البلاد[٢].وكان القضاة من هذه الطبقة معينين من إسطنبول ، ومهمتهم كانت تنحصر في تطبيق الأحكام الشرعية والقانونية ومراقبة أحوال الشعب هناك [٣]. ويدل هذا على أهمية القضاة ونفوذهم في الحجاز آنذاك.

الطبقة الثانية: تضم العلماء الذين يقومون بالتدريس والإشراف على المساجد في الحجاز ، وإليهم يعود الفضل الكبير في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية كما سيأتي ذكرها.

وأما الطبقة الثالثة : فهم عامة الناس، ولا نعرف عن تفاصيل حياتهم الاجتماعية إلا أن هنالك إشارات تدل على أن وضعهم الاجتماعي لم يكن جيدا. ومن هذه الإشارات الغلاء الشديد الذي استفحل في مكة بسبب الجراد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري[٤].والسيل الذي أفسد الزروع وخرب الدور سنة ١٠٥٥هـ، وسنة ١٠٧٤هـ مما أشاع الخراب بمكة زروعا ودوراً [٥] .ولايخفى على القارئ ما لهذه النكبات من تأثير على الحياة العامة من حيث الفقر والتشرد.

* * *

(١) انظر : UZUNCARSILI, MEKKE.P.23. وكذلك دحلان ،خلاصة الكلام ، ص٥٣.

(٢) المحبي ، خلاصة الأثر،٢/١٧٨.

(٣) UZUNCARSILI, MEKKE.P.62.

(٤) دحلان ، خلاصة الكلام ، ص٧٨-٧٩.

(٥) المحبي ، خلاصة الأثر ، ٢/١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الحالة الثقافية في الحجاز آنذاك نشطة ، من خلال حلقات الدروس في المساجد، وكان يعقدها العلماء الأجلاء الذين ساهموا مساهمة كبيرة في تنشيط الحركة الثقافية في الحجاز. وكان الكثير من العلماء يؤمون الحرمين الشريفين من البلاد المجاورة أو النائية ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن وجيه الدين بن عيسى بن مرشد العمري(*) . وكان جده الشيخ مرشد قد قدم مكة من بلده شيراز، واستوطنها ، وانكب على التدريس والتأليف فيها (١).والشيخ أحمد المنوفي المتوفى ١٠٤٤هـ جد ابن معصوم لأمه، وكان أحد الفضلاء الأعيان،كان عالما وأديبا قدم من الشام واستقر في مكة،وأصبح مفتي الشافعية في الحجاز ، وقام بالتدريس هناك(٢).وعبدالله ابن سعيد باقشير المتوفى ١٠٧٦هـ وكان من كبار علماء الحجاز وأدبائه،تميز بأدبه وشاعريته(٣)،وكان يعقد حلقات الدرس في المسجد الحرام،وقد شارك ابن معصوم في حلقات درسه بالمسجد الحرام وأفاد في أول عمره من علمه وثقافته الواسعة(٤). ومحمد بن سعيد باقشير المتوفى ١٠٧٧هـ ممن لمعوا في العلم والأدب، وكان من ألطف أدباء الحجاز(٥).

٤٥٩٢٦١

كانت مكة والمدينة من أهم المراكز العلمية في البلاد العربية ، لأن كثيرا من العلماء في الأقطار الإسلامية الأخرى كانوا يفدون إليهما في كل عصر ويجاورون سنوات طويلة ،وقد يمضون فيها بقية حياتهم . ونرى بجانب هاتين الجامعتين الحرم المكي والحرم المدني مدارس أنشئت في حقب مختلفة من التاريخ الإسلامي ، واهتم العثمانيون بإنشاء المدارس ، وكثرت هذه المدارس إلى جانب الكتاتيب المبثوثة هنا وهناك(٦).

وقد منحت الدولة العثمانية العلماء والمدرسين مجالا واسعا للعمل بحرية،فيقول أحد الباحثين المعاصرين: إن الولايات العربية كانت تتمتع بشبه استقلال فكري، مشيرا إلى أن العربية والثقافة الإسلامية كانتا استمراراً طبيعيا للعصور السابقة بحيث أدى الاستمرار الحضاري إلى

(*) هو عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد ، أبو الوجاهة العمري المعروف بالمرشدي،(٩٧٥-١٠٣٧هـ). ولد ونشأ في مكة ،كان من علماء الحجاز المعدودين وولي إفتاء الحرم المكي ، توفي بمكة. (المحبي ، خلاصة الأثر ،٣٦٩/٢).

(١)المصدر نفسه ،٣٦٩/٢، انظر كذلك ، ابن معصوم ، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ،المكتبة المرتضوية، طهران ،١٩٠٦ ، ص٦٥-ويشار إليه بـ:ابن معصوم ،سلافة العصر.-

(٢)المحبي ، خلاصة الأثر،٣٥٩/٣.

(٣) المصدر نفسه ،٤٢/٣.

(٤) انظر ابن معصوم ،سلافة العصر ،ص٢١٧.

(٥) المحبي ،خلاصة الأثر، ٤٦٩/٣.

(٦) شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات ،الجزيرة العربية – العراق– ايران ، دار المعارف ، مصر ،بلا تاريخ ، ص٥٣. -ويشار إليه بـ: ضيف ، عصر الدول .-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحافظة على تراث الأمة العربية وأصالتها في هذا العصر [١].وكان للأشراف دور كبير في الحركة الثقافية ، فقد اعتنوا بالعلم والعلماء [٢].

ثانياً: الهند

عاش ابن معصوم في عهد إمبراطورية المغول،وعاصر تطورها في شبه القارة الهندية،ومن هنا تأتي أهمية عرض المراحل التي مرت بها الهند في العصر المغولي بشكل موجز، حتى تتجلى صورة الهند أمامنا بشكل أكثر وضوحاً من نواح ثلاث: سياسيا واجتماعيا وثقافيا .

تأسست الإمبراطورية المغولية في شبه القارة الهندية تحت قيادة بَابُرْ وأصبحت من أهم الدول الإسلامية الموجودة في ذلك الوقت. وقد شهدت هذه الإمبراطورية سلاطين أقوياء مثل«أكبَرْ»[*]،و«شَاه جِهَانْ»[*٢]،و«أورنكزيبْ»[*٣]،وقدوصلت الإمبراطورية أوج مجدها في عهده .

وقد تعرضت هذه الإمبراطورية لاضطرابات سياسية ومنازعات داخلية كانت تنشب بين الأمراء[٣]من جهة ،ومع الدول المجاورة لها من جهة أخرى[٤].

وقدتميز عهد «أكبر» بالاستقرار والتقدم ، كما تميز عهده بالإصلاحات الإدارية في

---

(١) عمر موسى باشا ، تاريخ الأدب العربي: العصر العثماني ، ط١ ،دار الفكر المعاصر ودار الفكر ، دمشق ،١٩٨٩م،ص٢١،–ويشار إليه بـ: عمر موسى ،تاريخ الأدب العربي .–كان بودنا أن نوسع الحديث حول هذا الموضوع إلا أن طبيعة بحثنا لا تسمح لنا بمثل هذا التوسع.

(٢) انظر:ابن معصوم ،سلافة العصر،ص١٢٥،ودحلان ، خلاصة الكلام ،ص٤٣–٥٦،وكذلك المحبي ، خلاصة الأثر،١٧٧/٢.

(*) هو جلال الدين أكبر (٩٤٩–١٠١٤هـ) إمبراطور الدولة المغولية ما بين ٩٦٤و١٠١٤هـ. أعظم أباطرة المغول وأقدرهم (دائرة المعارف الإسلامية ،١٤٥/٤).

(*٢)هو إمبراطور المغول بعد جهانكير ،تولى العرش ما بين عام ١٠٣٨وعام١٠٦٩هـ،توفي عام ١٠٧٧هـ.(IA,11/274)

(*٣)هو أبو المظفر محمد محيي الدين أورنكزيب عالمكير بادشاه غازي (١٠٢٧–١١١٩هـ) ، هو الابن الثالث للإمبراطور شاه جهان من زوجته أرجمند بانوبيكم ممتازمحل،تولى العرش ما بين عام ١٠٦٩ وعام ١١١٩هـ.يعد من أعظم أباطرة المغول وأقدرهم حيث توحدت الهند في عهده (دائرة المعارف الإسلامية ،١٩٧/٥).

(٣) SULLIVAN ,EDWARD: THE CONQUERORS WARRIORS AND STATESMEN OF INDIA, NEW DELHI ,1983,P.314 -SULLIWAN,THE CONQUERORS – يشار إليه بـ:

(٤) BAYUR,HINDISTAN TARIHI,2/203-204.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكم،إذ تحولت الهند في عهده إلى أغنى دولة في المنطقة [١].

أماجهانكير[*] فقدعني بتعمير البلاد، فبنى الطرق والممرات ،والخانات للمسافرين،وأبراج الساعات وغير ذلك واشتهر بتسامحه الديني .ولكنه كان يميل إلى شرب الخمر،مشغوفا باللهو والترف والبذخ ، وقد ساءت صحته بسبب ذلك ، وضعف عن إدارة أمور الدولة،فظهر الفساد في الحكم والإدارة ،ونجم عن ذلك تحول أمور الدولة إلى نُورْجِهَانْ[٢*] زوجته مما أدى إلى الثورات عليه،وبدأت الهند تنجرف على حافة الهاوية [٢].

وعقب وفاة جهانكير بدأت المنازعات الداخلية بين الأمراء لتولي العرش، واستمرت الخلافات إلى أن ولي شاه جهان العرش بمساعدة قدمها إليه آصف خان [٣*][٣] . وشهد عهده نشاطا واسعا انتشر في أرجاء الهند في كثير من الميادين ، فقدقام شاه جهان بإصلاحات في الحكم والإدارة لا بد منها، كما قام بإصلاح الجيش.

وتطورت الهند في عهده في مجالي التجارة والزراعة مما أدى إلى أن يتنفس الشعب الذي كان يعاني من الفقر[٤]. وكان اهتمام شاه جهان كسابقيه ينصب على الحركة المعمارية ، لذلك

---

(١)عادل حسن غنيمي وعبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم،تاريخ الهند الحديث،دار الكتاب الجامعي،القاهرة،١٩٨٤،ص١٠٣-١٠٤.-ويشار إليه:عادل،تاريخ الهند.-

(*)جهانيكر (٩٦٧-١٠٣٧هـ) أكبر أبناء الإمبراطور أكبر ،ولد بمدينة فتحبور ،واعتلى جهانكير العرش في عام ١٠١٤هـ وتلقب بـ«نور الدين جهانكير بادشاه» . وحكم جهانكير ثلاثة وعشرين عاما إلى أن توفي عام ١٠٣٧هـ(دائرة المعارف الإسلامية ،١٢/٤٤٢).

(٢*) كانت زوجة شير أفغان وبعد أن قتل زوجها تزوجها جهانكير إمبراطور المغول في الهند. واشتهرت بجمالها .

(FRASER,JAMES,THE HISTORY OF NADIR SHAH,2ND ED.,A.MILLAR, LONDON ,1971,P P,20-21,- FRASER ,THE HISTORY OF NADIR SHAH :-يشار إليه بـ
BAYUR,HINDISTAN TARIHI,2/190. (٢)

(٣*) هو آصف خان أبو الحسن ، الابن الثاني لاعتماد الدولة غياث بك الذي كان «وكيل كل» جهانكير، والأخ الأكبر لنورجهان . تزوجت ابنته «أرجمند بانوبيكم ممتاز محل» الأمير خرم الذي عرف فيما بعد باسم «شاه جهان» وتوفي ١٠٥١هـ .(دائرة المعارف الإسلامية ،١/٨٢).

BAYUR,HINDISTAN TARIHI,2/191. (٣)

(٤) المرجع نفسه ،٢/٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يولي جل عنايته لتعمير البلاد وتزيينها ، كما قام بإنشاء الأضرحة المزدانة بالنقوش والمرصعة بالأحجار الكريمة، مثل الفيروز ،والعقيق ،والألماس،والحجر الأزرق،ومن أهم تلك الأضرحة التي بناها شاه جهان لزوجته ممتاز محل وهو «تاج محل»، ويعد ذلك من أروع ما تركته الإمبراطورية المغولية من آثار في الهند(١).

وتمكن أورنكزيب من تولي عرش الإمبراطورية بعد انتصاره على إخوته الثلاثة في حرب دارت بينه وبينهم عام ١٠٦٩ هـ(٢)، قبل وفاة والده شاه جهان بسبع سنوات.وتلقب أورنكريب بـ« أبي المظفر محيي الدين محمد أورنكزيب بهادر عالمكير بادشاه غازي»بعد أن أعلن نفسه إمبراطوراً في دلهي(٣).

ينقسم عهد أورنكزيب إلى مرحلتين،تبدأ المرحلة الأولى عام ١٠٦٩ هـ وهي الفترة التي أمضاها في شمال الهند ، والمرحلة الثانية تبدأ عام ١٠٩٣ هـ و هي الفترة التي قضاها في الدَّكَنْ (٥)(٤)،حيث وافته المنية هناك .كان اهتمام أورنكزيب في المرحلة الأولى من حكمه منصبا على الشمال، حيث كانت الحدود الشمالية الشرقية ، والشمالية الغربية، والحدود الراجبوتية مسرح النشاط العسكري المغولي.أما المرحلة الثانية التي قضاها في الدكن،مقر بلاط حكمه وتمركز جنوده،فقدحدثت فيها عدة محاولات انفصالية، أدت إلى رجوعه إليها والاستقرار فيها،مماجعل شمال الهند في النصف الثاني من حكمه مهملا(٥).

وقبل أن نعرج على أعمال أورنكزيب ينبغي التطرق إلى الدول الواقعة في إقليم الدكن ، حيث عاش ابن معصوم في إحدى هذه الدول مدة طويلة قبل التحاقه ببلاط أورنكزيب ويأتي الحديث عن صلة شاعرنا بتلك الدولة فيما بعد.

---

(١) BAYUR,HINDISTAN TARIHI ,2/225

(٢) المرجع نفسه ، ٢/٢٣٦-٢٣٧.

(٣) HAIG,W.: "THE MUGHUL PERIODS" CAMBRIDGE HISTORY OF INDIA ,ED: RICHARD BURN ,1ST .EDITION ,CAMBRIDGE,1947,4/22.

-و يشار إليه بـ: HAIG,CAMBRIDGE-

(٥) الدَّكَنَ: اسم يطلق على قسم الهند الجنوبي المقابل للقسم الشمالي المعروف بالهند وستان (جوستاف لوبون،حضارات الهند، ترجمة : عادل زعيتر ،ط١،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ،١٩٤٨،ص٧٣.ويشار إليه بـ: لوبون ،حضارات).

(٤) غنيمي ،تاريخ الهند، ص١٢٠.

(٥) المرجع نفسه ،ص١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت تقوم في إقليم الدَّكن دولتان إسلاميتان في ذلك الوقت ، إحداهما « دولة عادل شاهي »(٠) في بيجابور(٠٢)، وكانت تولي عنايتها للعلم والعلماء،وبنت مكتبات كبيرة تحتوي على مخطوطات ذات قيمة عالية ، وقد استدعت هذه الدولة عددا من العلماء العرب مثل حسن بن شدقم (٠٣) الذي قدم من الحجاز،وحسين بن شدقم(٠٤) وكانت بينه وبين والد ابن معصوم علاقة وثيقة، وكانا يعقدان مجالس أدبية في الهند،وكان يحضرها ابن معصوم ويستمع إلى ما يدور فيها من مناظرات أدبية (١). وكان إلى جانبه زين الدين المعبري(٠٥) الذي كانت بينه وبين عادل شاه علاقة قوية(٢) .والدولة الثانية : هي «دولة قطب شاهي »(٠٦) في كولكندة(٠٧) وكانت هذه الدولة على غرار الدولة الأولى من ناحية الاهتمام بالعلم والعلماء .

فقد وفد والد ابن معصوم إليها عام ١٠٥٤ هـ(٣) بناء على طلب السلطان عبد الله قطب شاه (٠٨) آنذاك ، زوجه السلطان ابنته وولاه الأمور الإدارية هناك (٤).وترك ابن معصوم وطنه الحجاز قاصدا دولة قطب شاهي عام ١٠٦٦هـ بناء على طلب والده(٥)،وتم استقباله هناك بحفاوة بالغة (٦).

---

(٠) دولة عادل شاهي : تأسست هذه الدولة تحت قيادة يوسف عادل شاه في بيجابور عام ٨٩٥ هـ .واستمر حكم هذه الدولة إلى أن انقرضت على يد أورنكزيب في سنة ١٠٩٧ هـ(IA, 1/141- 142.)

(٠٢) بيجابور : وهي عاصمة دولة عادل شاهي من عام ٨٩٥هـ إلى عام ١٠٩٦هـ. وتقع على جنوب ولاية بومباي بالهند .(دائرة المعارف الإسلامية ، ٥٣٣/٨).

(٠٣) هو السيد حسن بن شدقم المدني الحسيني ممن استوطنوا الهند، كان عالما وأديباً، توفي ١٠٤٦ هـ، (المحبي، خلاصة الأثر ،٢٣/٢).

(٠٤) هو السيد حسين بن علي بن حسن بن شدقم المدني ، من أدباء القرن الحادي عشر . (المحبي ، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩، ٣٣٦/٤.ويشار إليه بـ: المحبي ، نفحة الريحانة).

(١) انظر : ابن معصوم ،سلافة العصر ، ص٢٠٣ -٢٠٤.

(٠٥) زين الدين المعبري : هو مؤرخ ، اشتهر بكتابه «تحفة المجاهدين » الذي كتبه لعادل شاه في عام ٩٨٥هـ.
(BROCKELMANN,C.: GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR, SUPPLE-MENTBAND ,E.J. BRILL ,LEIDEN ,1973 ,599.BROCK,GAL,S – يشار إليه بـ:

(٢) زبيد أحمد ،الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ترجمة ، عبد المقصود محمد شلقاوي ، بلا دار نشر ، القاهرة ، بلا تاريخ، ص٤٠-٤١.-ويشار اليه بـ:زبيد ،الآداب العربية .-انظر كذلك IA.1/141-142

(٠٦) دولة قطب شاهي أسسها السلطان قولي في سنة ٩١٨هـ في كُولكَنْدَة الواقعة في جنوب الهند ، أصبحت عاصمتها فيما بعد حيدر آباد. استمرت دولة قطب شاهي مائة وثمانين سنة إلى أن أزالها أورنكزيب عام ١٠٩٨هـ 1057 -IA,6/1056.

(٠٧) كولْكَنْدة: هي مدينة وقلعة تقع على بعد ثمانية كيلومترات غرب حيدر آباد، كانت حاضرة دولة تَلِينْ كَانَا الإسلامية من قبل . أصبحت عاصمة دولة قطب شاهي فيما بعد ،قبل اتخاذ محمد قولي قطب شاه حيدر آباد عاصمة لها (IA,4/806).

(٣) ابن معصوم ، سلوة الغريب ، ص٢٩.

(٠٨) عبد الله قطب شاه : هو عبد الله بن محمد قطب شاه ،حكم في دولة قطب شاهي ثلاثة وعشرين عاما بين ١٠٢٠،١٠٨٣هـ (IA,6/1057)

(٤) ابن معصوم ، سلافة العصر،ص١٠.

(٥) ابن معصوم ، سلوة الغريب ، ص٣٧.

(٦) المصدر نفسه ، ص١٩٢-١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هاتين الدولتين تتبعان مذهب الإمامية من الشيعة، وكانتا تسعيان إلى نشرها في أرجاء الهند[١]. ولعل هذا من العوامل التي أدت إلى استدعاء ابن معصوم ووالده إلى دولة قطب شاهي، واستلامهما العديد من المناصب الهامة هناك.

ولم تكن الأمور في الدكن خلال المرحلة الأولى من حكم أورنكزيب ذات أهمية ، فقد ترك أورنكزيب الجنوب -أي الدكن-في أيد أمينة من ولاته ، ولأن دولتي بيجابور وكولكندة كانتا ضعيفتين لا يخشى جانبهما، ولم تظهر في تلك الفترة خطورة نمو شعب «مَرَتْهاَ» -الهنادكة -تحت إمرة سِيوَاجِي [٥]،إلى أن قووا،حيث بدأوا يهددون أمن المنطقة بأكلمها[٢]. فدفعت هذه الأوضاع أورنكزيب إلى اتخاذ قرار بالقضاء على جميع دول الدكن، من أجل تهدئة الأمور،وتوطيد حكمه في المنطقة ، وسيرجيشا كبيرا نحو إقليم الدكن،وقضى على «دولة عادل شاهي» عام ١٠٩٧هـ[٣]،و«دولة قطب شاهي »عام ١٠٩٨هـ[٤]،و«إمارة مَرَتْها»عام ١١٠١هـ[٥].وهكذا أصبحت الهند بعد القضاء على الإمارة الأخيرةخاضعة للإمبراطوريةالمركزية في عهد أورنكزيب ،ودام توحيد الهند واستقرارها حتى قضى أورنكزيب نحبه عام ١١١٩هـ[٦].

ولعل أهم الأعمال التي قام بها أورنكزيب توحيد الهند تحت السلطةالمركزية الواحدة ، وإيقاف« تهنيد »المسلمين ، ونشر الإسلام في أنحاء الهند ، وقد ذهب إحسان حقي إلى أنه لم يتلقب بـ«محيي الدين» اعتباطا، بل إنه كان صادقاً في إيمانه مكرسا حياته لإحياء الدين [٧].

قامت علاقة وثيقة بين شاعرنا ابن معصوم وأورنكزيب ، وقد بدأت تلك العلاقات بينهما

---

(١) محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة ، ط٢، دار الزهراء ، بيروت ، ١٩٧٩،ص٢٣٣-٢٣٧.-ويشارإليه بـ: محمد حسين ، تاريخ الشيعة.-

(٥) هو ابن شاهجي مؤسس دولة مرتها الهند وكية ، يعد من أبطال القومية الهندية ، قاوم الدولة المغولية مدة طويلة.

(BAYUR,HINDISTAN TARIHI,2/221)

(٢) HAIG ,CAMBRIDGE,.4/252-253.

(٣) المرجع نفسه ،٤/٢٨٧.

(٤) EI^2,3/427.

(٥) BAYUR,HINDISTAN TARIHI ,2/300.

(٦) المرجع نفسه ٢/٣١٥ .

(٧) إحسان حقي، تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٨،ص١٩٢، -ويشار إليه بـ:إحسان ، تاريخ شبه الجزيرة.-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندما قام ابن معصوم بزيارة برهانبور(*)،واستقبله أورنكزيب بحفاوة بالغة وجعله من المقربين إليه وولاه الأمور الإدارية في دولته كما سيأتي الحديث عن ذلك فيما بعد(١).

* * *

أما المجتمع في الهند، فنستطيع تقسيمه إلى ثلاث طبقات أساسية؛ الطبقة الأولى وتضم السلاطين والأمراء ، ورجال الدولة ، والقادة.الطبقة الثانية وتضم رجال العلوم والآداب والفنون، والطبقة الثالثة وتضم عامة الشعب الذي يتشكل من عناصر مختلفة ذات ديانات متباينة(٢).

كانت الطبقة الأولى تحظى بالترف والبذخ ، حتى غدت قصورهم تزدحم بالجواري والغلمان ، بالإضافة إلى أنواع من الأطعمة والفواكه المتنوعة المستوردة من بُخارى وسَمَرْقَنْد، والأنبذة والأشربة الفاخرة التي أصبحت تحت متناول أيديهم في أية لحظة(٣).

إلا أن أورنكزيب ألغى كثيراً من العادات الوثنية التي كانت جارية في البلاط السلطاني قبله ، وأحدث ديوانا باسم ديوان مكافحة البدع، وحاول أن يجعل البساطة في الحياة شعار الإمبراطورية،وامتنع عن استخدام الأثاث الفاخر أو الرياش الوثيرة،وحاول أن يعيش مثل الناس البسطاء(٤) ،وأمر بتحريم الخمر واجتنابه(٥)،وألغى في عهده الضرائب غير الشرعية،وفرض الزكاة على المسلمين ،والجزية على أهل الذمة ، وكفلت الدولة لأهل الذمة المحافظة على أموالهم وأرواحهم وحريتهم الدينية ، واستثنوا من الخدمة العسكرية(٦)،كما أدخلت إصلاحات كثيرة في عهد أورنكزيب على النظام المالي(٧)من أجل تحسين الوضع المعيشي للشعب الذي

(*) برهانبور : وهي مدينة في الهند ، وقد أسس هذه المدينة نصير خان الفاروقي، وكان لها شأن عسكري عظيم في القرون الوسطى، وعندما تعين أورنكزيب واليا على الدكن ١٠٤٦هـ اتخذها مقرا له .(دائرة المعارف الإسلامية ،١٥٢/٧-١٥٣) .

(١) انظر : الفصل الأول من الرسالة،ص ٣١ .

(٢) انظر أحمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم،المطبعة النموذجية ،القاهرة ١٩٥٩،٣٠٨/٢ - ٣١١ -ويشار إليه بـ:الساداتي ،تاريخ المسلمين .-

(٣) المرجع نفسه ،٣٠٩/٢.

(٤) إحسان ، تاريخ شبه الجزيرة ،ص١٩٣.

(٥)الساداتي ، تاريخ المسلمين ،٣٠١/٢.

(٦)إحسان ،تاريخ شبه الجزيرة ، ص١٩٣.

(٧) المرجع نفسه،ص ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يعاني الفقر جراء الحروب التي طال أمدها.

أما الطبقة الثانية فتضم العلماء والأدباء في مختلف الميادين ، وقد نالوا اهتمام السلاطين ورعايتهم ، وغالبا ما كانوا في كنفهم ، يعيشون بمعيشة مرضية [١]،إذ ترعرع عدد كبير من العلماء والأدباء الأفذاذ إزاء هذا التشجيع والرعاية مما أدى إلى تنشيط الحركة الثقافية لدى الأوساط العلمية .

وأما الطبقة الثالثة فهم العامة من التجار وأصحاب الحرف والصناعات والمزارعين والخدم . وكان أصحاب الحرف والصناعات يعيشون في غالب الأحيان عيشة تتراوح بين الضراء والسراء، وأما أبناء أصحاب الحرف الدنيئة والخدم،فقد كانوا يعملون مقابل أجور زهيدة .

وكانت هذه الطبقة أتعس الناس حظا، وأشد بؤسا عندما تعرضت الهند للقحط بسبب انعدام الأمطار الموسمية وما نجم عنها من نقص الأقوات وانتشار الأمراض المعدية [٢] وما إلى ذلك.

* * *

لم يكن الوضع الفكري والثقافي في الهند أقل مما كانت عليه العواصم الشرقية كما يشير إلى ذلك أحد الباحثين حيث يرى مدينة حيدرآباد بمثابة بغداد من الناحية العلمية [٣]. وشهدت الهند في ذلك العصر نشاطا مكثفا في المجال المعرفي، حيث حقق المسلمون في القارة الهندية إنجازات كثيرة في شتى الميادين من العلوم الدينية والدنيوية ، إذ لا يقل إسهامهم عن إسهام الأقطار الإسلامية الأخرى، كما أحرزت الهند تطورا ملحوظا في الفنون الجميلة خاصة ، إذ اهتم المغوليون بتعمير مدنهم،وظهر في عهدهم طراز خاص بهم أطلق عليه الطراز المغولي؛وهو خليط من الفن الإسلامي،والفن الهندوكي،ويتميزهذا الطرازالمعماري بالقباب البصلية الشكل،والترصيع بالحجارة الكريمة،والميناء،والخزف،والأقواس الحادة،والأبواب الفخمةالتي تعلوها نصف قبة [٤]. كما اعتنوا بفن النمنمة والنقش، بالإضافة إلى إنشاء الحدائق التي كانت تشتهر بجمالها على مستوى العالم [٥].

---

(١) الساداتي، تاريخ المسلمين،٢/٣٠٨.

(٢)المرجع نفسه ، ٢/٣٠٩-٣١٠.

(٣) لوبون ،حضارات ،ص٧٤.

(٤)الساداتي ، تاريخ المسلمين ،٢/٣١١.

(٥) BAYUR,HINDISTAN TARIHI ,2/534.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونرى نتيجة هذا الاهتمام البالغ والعناية الخاصة بالفنون الجميلة ، آثارا ذات قيمة كبيرة خلّفها سلاطين الإمبراطورية المغولية في كل أنحاء الهند، كالمساجد،والقصور، والحدائق،وقنوات الري،والأضرحة ،والأسوار،والقلاع والحصون وما إلى ذلك(١).

ويجدر بنا أن نذكر هنا بعض الآثار التي ألفت في الهند في الربع الأخير من القرن العاشر والقرن الحادي عشر الهجري من أجل إعطاء فكرة عن الحياة الفكرية السائدة آنذاك .لذلك سأورد فيما يلي بعض المؤلفات المتعلقة بالعلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية والأدبية،والعلوم الإنسانية على سبيل الإشارة لا الحصر.

ففي مجال العلوم الشرعية نجد كتاب«سواطع الإلهام » في علم التفسير لأبي الفيض فيضي(*)،ولم يستخدم مؤلفه الحروف المنقوطة فيه مظهرا قدرته في العربية (٢). ونرى كتبا قيمة في علم الفقه وأصوله ، منها «الفتاوى العالمكيرية»، وهذا الكتاب معروف في خارج الهندبـ«الفتاوى الهندية »، وهو يعد أكبر كتاب من نوعه في الهند ، وأفضل الكتب التي ألفت في الفقه الحنفي بعد «الهداية»(٠٢)،وهذا الكتاب الضخم مؤلف من ست مجلدات أخرجته لجنة مكونة من علماء الهند القديرين برئاسة الشيخ نظام الدين البرهانبوري(٠٣)بإيعازمن السلطان أورنكزيب الذي كان معروفا بتشجيعه للعلم إذ أنفق مبلغا كبيرا لخروج هذه الموسوعة الفقهية الثمنية إلى النور في الأجل المنظور(٣).

---

(١) انظر BAYUR,HINDISTAN TARIHI,2/509-534.

(*). هو فيض الله بن مبارك الأكبرآبادي المعروف بفيضي (٩٥٤-١٠٠٤هـ) ،من أهل الهند مولده ووفاته بأكبر آباد.

(BROCKELMANN,C.:GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR, E.J.BRILL.; LEIDEN,1943,2/549-BROCK,GAL : - ويشار إليه بـ

وانظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ،ط١٠ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٢م،٥/١٦٨،ويشار إليه بـ: الأعلام .)

(٢) BROCK,GAL, 2/549.

(٠٢) كتاب الهداية ، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد ، المعروف بابن همام الحنفي (٧٩٠-٨٦١هـ).

(٠٣) لم أقف على ترجمته.

(٣) IA,5/527.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني ما يتصل بأصول الفقه ، وهو «مسلَّم الثبوت» من تأليف محب الله البهاري (٥)، وانتشرت شهرة هذا الكتاب في الأقطار الإسلامية الأخرى بسبب أهميته في مجاله(١).

وفيما يتعلق بالعلوم اللغوية والأدبية نستطيع أن نعد منها «أنوار الربيع في أنواع البديع»،و«سلافةالعصرفي محاسن الشعراء بكل مصر»لشاعرنا ابن معصوم المدني(٢)،و«الفرائد في شرح الفوائد »من تأليف الملا محمود(٥٢)(٣)،و«الكنز الأعمى في فن المعمى »للنهروالي(٥٣)(٤).

وفيما يتعلق بالعلوم الإنسانية الأخرى نرى عدة كتب تاريخية ذات قيمة كبيرة، ترجع قيمتها إلى أن هذه الكتب تتحدث عن قيام الدولة المغولية في الهند بكل أحداثها وتطوراتها ووصولها إلى القمة وانحطاطها.ولابد من إلقاء الضوء على هذه الكتب ولو بكلمات معدودة،وذلك لأهميتها بالنسبة إلى تأريخ تلك الحقبة من حقب التاريخ الإسلامي في القارة الهندية ،وقد كتبت جميع هذه المصادر بالفارسية وهي ،كتاب «منتخب اللباب»،ألفه محمد هاشم المعروف بخافي خان،ويتكون الكتاب من ثلاثة مجلدات، يبدأ بتأريخ ما قبل عهد «بَابُرْ»، وينتهي بأوائل عهد محمد شاه ابن أورنكزيب،يتحدث فيه خافي خان بالإضافة إلى أخبار الإمبراطورية المغولية عما يتصل بأخبار الممالك الإسلامية والهندوكية التي تأسست في إقليم الدَّكن حينذاك(٥).وثمة ثلاثة كتب تاريخية أخرى تعد من أمهات المصادر لعهد المغوليين في الهند في القرن الحادي عشر الهجري ،وهي «عالمكيرنامه» لميرزا محمد كاظم ،و«مآثر عالمكيري»لمحمد ساقي مستعدخان ، و«أحكام عالمكيري»لحميد الدين بهادر خان (٦).

---

(٥) هو محب الله بن عبد الشكور البهاري الهندي(٠٠٠-١١١٩هـ) قاض من الأعيان،ولي صدر ممالك االهند. (BROCK ,GALS, 2/622 ، انظر الأعلام ،٥/ ٢٨٣)

(١) EI^2,3/435.

(٢)انظر قسم آثاره في الفصل الأول من الرسالة ،ص٤٥.

(٥٢) هو محمود بن محمد الفاروقي الجنفوري المعروف بملا محمود(٠٠٠- ١٠٦٢هـ) ، من أهل الهند ، له مصنفات قيمة .(القنوجي ، صديق بن حسن (ت:١٣٠٧هـ)،أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، دار الكتب العلمية بيروت،١٩٧٨,٣/٢٢٩-٢٣٠. -ويشار إليه بـ: أبجد العلوم .وانظر : الأعلام ١٨٤/٧).

(٣) BROCK, GAL,S ,2/621.

(٥٣) هو محمد بن أحمد بن قاضي خان محمود النهر والي قطب الدين الحنفي (٠٠٠-٩٨٨هـ) مؤرخ من أهل مكة ،اشتهر بكتابيه «الإعلام بأعلام بلد الله الحرام »،و«البرق اليماني في الفتح العثماني».(محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٥٧/٢ ،دار المعرفة ، بيروت ،بلا تاريخ .ويشار إليه بـ: الشوكاني ،البدر الطالع).

(٤) BROCK, GAL ,2/551.

(٥) BAYUR,HINDISTAN TARIHI, 2/555

(٦) المرجع نفسه ، ٥٦٤/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الغرض من تقديم هذه الآثار في المجالات المختلفة إضاءة الصورة الثقافية لتبدوأكثر وضوحا في ذلك الوقت .واستطعنا بهذا السرد التعرف إلى العصر الذي نشأ وعاش فيه ابن معصوم من ناحية الحركة الفكرية والثقافية .ومن هنا نستطيع القول إن نشأته تزامنت مع عصر ازدهرت فيه الحركة العقلية من شتى النواحي.

وينبغي في هذا المقام أن نتحدث في شيء من التفصيل عن وضع اللغة العربية وآدابها في القارة الهندية آنذاك حتى يتبين لنا مدى أصالة الآثار الأدبية أو غيرها من المؤلفات العربية التي أخرجها إلى النور كبار أدباء الهند وعلمائها أو الذين وفدوا من البلاد العربية واستوطنوا الهند، وقضوا سنين طوالا من عمرهم هناك.

كانت اللغة الفارسية لغة رسمية في الهند [١]،وانتشرت لغة وأدبا. وقدحظيت باهتمام بالغ في الأوساط الثقافية في الهند، ويعود سبب ذلك إلى إتقان حكام الدولة المغولية الفارسية،وقرب الهند من إيران وإن لم تكن متاخمة لها،مما أدى إلى شيوع الفارسية في تلك البلاد ، وجعلها أكثر انتشارا من العربية وآدابها.

ولقد دخلت العربية إلى الهند في القرن الأول الهجري عندما وصل المسلمون إلى شواطئ الهند حاملين لواء الإسلام ، وأصبحت الصلة وثيقة بين العرب والهنود نتيجة العلاقات الدينية والثقافية والتجارية [٢].

وبدأت الهند إخراج التصانيف العربية في مجالات شتى منذ العصور القديمة،وخصوصا في مجال العلوم الدينية ، فازدهرت العربية في عهد المغول بالهند ازدهارا كبيرا بفضل عناية حكامهم واهتماهم بها،وإن كانت الفارسية هي لغة البلاط واللغة السائدة في أرجاء الهند، إلا أن هذه العوامل لم تكن تشكل عائقا أمام تطور العربية وتقدم أدبها ، لأن العربية والفارسية

---

(١) ABDUL QADIR "THE CULTURAL INFLUENCES OF ISLAM" ,THE LEGACY OF INDIA,G.T. GARRAT,2 ND ED., OXFORD,1938,P.289.

-ويشار إليه بـ : – QADIR,THE CULTURAL INFLUENCES

(٢) حامد علي خان ، «نظرة إجمالية على شعراء اللغة العربية الهنود» مجلة ثقافة الهند ،عدد ١، ١٩٧٠،ص٣٩،-ويشار إليه بـ:حامد، نظرة إجمالية .-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سارتا جنبا إلى جنب.

وجذب هؤلاء الحكام –خصوصا في عهد الممالك الموجودة في الدكن وفي عهد أورنكزيب –العلماء والأدباء من البلاد العربية ، واستقبلوهم بحفاوة بالغة ،وأنعموا عليهم ، وأمنوا لهم ما يساعدهم من بيئة موائمة لإنتاجهم العلمي والأدبي، فأبدع هؤلاء العلماء تآليف كثيرة ذات قيمة كبيرة من الناحيتين العلمية والأدبية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

حياته -آثاره

حياته

١- اسمه ونسبه

يتحدث ابن معصوم عن اسمه ونسبه فيقول: «فأنا علي بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم بن أحمد نظام الدين بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود عماد الدين بن محمد صدر الدين بن منصور غياث الدين بن محمد صدر الدين بن إبراهيم شرف المِلّة بن محمد صدر الدين بن إسحاق عز الدين بن علي ضياء الدين بن عربشاه فخر الدين بن أمير عزّالدين أبي المكارم بن أميري خطير الدين بن الحسن شرف الدين أبي علي بن الحسين أبي جعفر العزيزي ابن علي أبي سعيد النصيبيني بن زيد الأعشم أبي إبراهيم بن علي أبي شجاع الزاهد بن محمد أبي جعفر بن علي أبي الحسين بن جعفر أبي عبدالله بن أحمد نصير الدين السكين النقيب بن جعفر أبي عبد الله الشاعر بن محمد أبي جعفر بن محمد بن زيد الشهيد بن علي زين العابدين ابن الحسين أبي عبد الله سيد الشهداء بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام .»[١].

ويتضح لنا من هذا السرد أن نسب ابن معصوم كان ينتهي إلى آل البيت بشكل واضح. واعتمدت في تحديد اسمه ونسبه على كتابه «سلوة الغريب» واكتفيت به ، لأن المصادر التي تتحدث عن حياته جميعها أخذت اسمه ونسبه من المصدر نفسه [٢].

---

(١) ابن معصوم ، سلوة الغريب، ص ٨٤-٨٥.

(٢) انظر المصادر في الحاشية رقم ١و٢ في الصفحة التالية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-مولده وأسرته

جاءت في المصادر رواية واحدة لتاريخ مولده اتفقت عليها ، وهي ليلة السبت الخامس عشر من جمادى الأولى عام ١٠٥٢ هـ [١].وقد أهملت بعض المصادر إيراد ذاك التاريخ[٢].

أما مكان ولادته فقد دار حوله بعض الاختلاف. فمعظم المصادر ذكرت المدينة المنورة مولدا له [٣]، بينما ذهب صاحب نزهة الجليس وبعض المراجع إلى أن مكة المكرمة هي مكان ولادته[٤].والأرجح أن المدينة المنورة هي مكان ولادته، وذلك لاتفاق معظم المصادر عليها ولذكر ابن معصوم إياها مولدا له في شعره:

وَبَوِّئَنِي طَيْبَـــةً مَوْطِنـــاً فَإِنَّهَا لي سَابِقـــاً مَوْلِـــدُ [٥]

وهو من أسرة اشتهرت بالعلم والعرفان ، فقد اشتهر والده الأمير نظام الدين بعلمه وأدبه[٦].أما والدته فهي بنت الشيخ محمد بن أحمد المنوفي المتوفي عام ١٠٤٤هـ[٧] ولا تتحدث المصادر عنها غير ذلك.ولا نعلم أشياء كثيرة عن إخوته أو أخواته ، وتكاد تنعدم أخبارهم في المصادر المتعلقة بالشاعر. ولكن يمكننا أن نستشف من شعره دليلا على وجود أخ وأخت له ، حيث نجد مراسلات شعرية دارت بينه وبين أخ له يُدْعى محمد يحيى،ويشير إلى

---

(١) عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط٣ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٦٨، ٣٤٩/١١،ويشار إليه بـ: النجفي ، الغدير -،وإسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، دار الفكر ، بيروت،١٩٨٢، ٧٦٣/١.-ويشار إليه بـ: هدية العارفين -وعباس القمي (ت:١٣٥٩هـ)، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار ، كتابخانه سنائي،طهران، ١٩٢٥ ، ص٢٤٦،-ويشار إليه بـ: القمي، سفينة البحار- ، والسيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، تحقيق : حسن الأمين،ط٤ ،مطبعة الإنصاف ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ٣٨/٤١، -ويشار إليه بـ: الأمين ، أعيان الشيعة .-

(٢) الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيد أحمد الحسيني ،مطبعة الخيام ،قم، ١٤٠١هـ،٣٦٥/٣. -ويشار إليه بـ: الميرزا ، رياض العلماء- ، والعباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي(ت: ١١٨٠هـ)،نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، المطبعة الوهبية ،القاهرة ، ١٢٩٣هـ،٢٠٩/٢.-ويشار إليه بـ: الموسوي ، نزهة الجليس- ، والمحبي ،نفحة الريحانة، ١٨٧/٤.

(٣) انظر الحاشية رقم ١و٢.

(٤) الموسوي،نزهة الجليس ، ٢٠٩/٢،وفهرس الخزانة التيمورية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨، ٢٨٣/٣، - ويشار إليه بـ: فهرس التيمورية -، والأعلام ، ٢٥٨/٤.

(٥) ابن معصوم، ديوان ابن معصوم ،تحقيق: شاكر هادي شكر،ط١،عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ،بيروت ،١٩٨٨ ،ص١٣٧-ويشار إليه بـ:الديوان.

(٦) ابن معصوم ، سلافة العصر ، ص١٠.

(٧) المصدر نفسه ، ص١٢٤-١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك بقوله :

فَبِحَيْيِي لا يَبْرَحُ الْفَضْلُ يَحْيَا وَ الْمَعَالِي بِهِ لَهُنَّ اعْتِـــــلاَءُ
أَحْكَمَ الْوُدُّ مِنْهُ عَقْدَ إِخَائِـي هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْإِخَـــاءُ[1]

ويقول في مكان آخر من آثاره مشيدا به :« أخي وشقيقي وابن أبي وصديقي »[2].فأخوه هذا كان شاعرا وأديبا مثله [3] سافر إلى الهند مع والده ، فأقام بها إلى أن توفي سنة ١٠٩٢هـ[4] أي قبله بثمان وعشرين سنة . أما وجود أخته، فيذكرها لنا ابن معصوم في قصيدته التي يرثيها بها،يعبر فيها عما يجري في داخله من مشاعر صادقة بسبب ارتحالها إلى الدار الآخرة حيث يقول:

أُأُخْتِيَ إِنْ أَمْسَيْتِ رَهْنَ مَقَابِرٍ فَقَلْبِيَ قَدْ أَمْسَى عَلى حُزْنِهِ وَقْفَا [5]

هذا كل ما تمكنت من الوصول إليه من الأخبار المتعلقة بإخوته أو أخواته .

أما بالنسبة لزواجه، فلا نعرف شيئاً عنه،كما لانجد أخباراً تتصل به في المصادر المتعلقة بابن معصوم أو في مصنفاته، إلا أننا نستشف من شعره برهانا على وجود ولد له باسم أبي إسماعيل إبراهيم بن علي المتوفي سنة ١١٠١هـ،وذلك من خلال قصيدته التي يرثي بها ابنه إذ يقول:

جَارِيَتِنِي فَبَلَغْتَ قَبْلِي غـــَايَةً لِلْحَقِّ لَمْ يَبْلُغْ أَبُوكَ مَـدَاهَـــــا

إلى قوله :

إِنْ كُنْتَ أَحْلَلْتَ الْجِنَانَ مُنَعَّماً فَأَبُوكَ حَلَّ مِنَ الْهُمُومِ لَظَاهَـــــا [6]

وهذه القصيدة تدل على أنه كان متزوجا، ولكننا لا نعرف متى تزوج أو من تزوج، كما لانعلم شيئا عن أخبار أولاده سوى من تحدث إلينا عنه في هذه القصيدة.

كان أول من انتقل إلى شيراز من أفراد هذه الأسرة علي أبو سعيد النصيبيني ، وأول من

---

(١) الديوان ، ص٣٦.

(٢) ابن معصوم ، سلافة العصر ، ص٣٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٦.

(٤) المحبي ، نفحة الريحانة ، ١٩٦/٤.

(٥) الديوان ، ص٢٩٧.

(٦) المصدر نفسه ، ص٤٧٩-٤٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غادر شيراز إلى مكة المكرمة السيد محمد معصوم،وذلك بعد انتقال عمه وختَنه الأمير نصير الدين حسين إليها على حد قول شاعرنا في رحلته [١].

٣- نشأته ومراحل حياته

لا تقدم لنا المصادر القديمة معلومات وافية عن نشأته، وكل مانعرف عنه أنه نشأ في كنف والدته وأخواله، حيث سافر والده عام ١٠٥٤هـ إلى الديار الهندية – قبل أن يتجاوز شاعرنا سن الصبا– بطلب من عبد الله بن محمد قطب شاه صاحب حيدرآباد ، حيث زوّجه السلطان ابنته ، وولاّه الأمور الإدارية هناك كما تقدم [٢].

يتحدث ابن معصوم عن سبب مغادرة والده ويقول: «وكان السبب في تجرع مرارات النوى، وتحمل حرارات الجوى، وفراق الأهل والوطن ...مدعوا إلى الدّكن من الديار الهندية،مجلواً على السكن في ظلالها الندّية ، ففارقنا... وذلك عام أربعة وخمسين وألف من الهجرة النبوية »[٣].

نستطيع أن نقسم حياة ابن معصوم إلى مرحلتين ؛ تنحصر المرحلة الأولى في الحجاز حيث قضى طفولته هناك ، ولا تتحدث المصادر لنا عن تلك الفترة ، ويبدو أن ابن معصوم خلال هذه الفترة رحل من المدينة المنورة إلى مكة[٤]، وأما المرحلة الثانية ، فهي التي عاش فيها ألم الفراق والبعد عن الديار، حيث كان بعيدا عن وطنه ممضنيا جل عمره في الهند ،وفي مدينة شيراز بإيران.

سافر شاعرنا إلى الهند بطلب من والده كي يستقر عنده في الهند، ويتحدث عن إجابته دعوة والده مبديا مشاعره إزاء وطنه بسبب فراقه له ، ويشبه هذه المفارقة بمفارقة الأرواح للأبدان مشيرا إلى ذلك بقوله :« ...فلم نربدا من الإجابة كي لا يجيء الخطأ من باب الإصابة، فأخذنا في أهبة السفر... ثم فارقنا تلك الأوطان مفارقة الأرواح للأبدان.»[٥].ويشير إلى ذلك في موضع آخر معبرا عن مشاعره تجاه الغربة فيقول:« ولقد منيت بكربة الغربة ،

(١) ابن معصوم ، سلوة الغريب ، ص٨٥.

(٢) انظر الرسالة ،ص١٤.

(٣) ابن معصوم ، سلوة الغريب، ص٢٩.

(٤) الأمين ، أعيان الشيعة ، ٣٩/٤١.

(٥) ابن معصوم ، سلوة الغريب ، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتشعث الحال... رمتني مرامي النوى بجهدها، وأبدلتني عن خير بلاد الله المشرفة بأرض هندها... ولكن قضاء حتم ، وأمرلزم فأين المفر»[١].

جهز والده وفدا برئاسة المعتمد وزير عبد الله قطب شاه ليرافق شاعرنا في سفره إلى الهند [٢]، وغادر شاعرنا مكة متوجها إلى الهند، ويتحدث ابن معصوم عن سفره هذا معتبرا إياه نقطة تحول في حياته ، وذلك من خلال ما قاله في رحلته :« فكان خروجنا من مكة المشرفة ليلة السبت لست خلون من شعبان المعظم عام ستة وستين وألف، وذلك بعد أن تمليت من تلك المآثر الكرام...فسرنا على اسم الله ، ...والمدامع تذري هواطل دمعها على أجياد...»[٣].

من ذلك نراه يتعذب ويتألم بعذاب البين والنوى بسبب فراقه مكة المحببة عنده، مثل فراق الأم لولدها، فيعبر لنا عما يختلج في نفسه من مشاعر صادقة تجاه وطنه إذ يقول:« وما ذاك إلا لفراق تلك الديار الشريفة،والانتقال عن هاتيك الأقطار الوريفة، مع ما طبعت عليه النفوس من حب الوطن ،والجزع لفقد السكن »[٤].

وفي موضع آخر يشير إلى حزنه وألمه بسبب الفراق من خلال استشهاده بالشعر إذ يقول:«وفي هذا الفراق أقول من بعض أشعار الصِّبا وهي كما يقول شرف السادة :

فَارَقْتُ مَكَّةَ وَالْأَقْدَارُ تُقْحِمُنِـي ... وَلِي فُؤَادٌ بِهَا ثَاوٍ مَدَى الزَّمَـــنِ

فَارَقْتُهَا لاَ رِضىً مِنّي وَقَدْ شَهِـدتْ ... بِذَاكَ أَمْلاَكُ ذَاكَ الحِجْرِ وَ الرُّكـــنِ

فَارَقْتُهَا وَبِوُدِّي إِذْ فَرَقْتُ بِهـــا ... لَوْكَانَ قَدْ فَارَقَتْ رُوحِي بِهَا بَدَنِـــي [٥]

وصل ابن معصوم إلى الديار الهندية بعد سفر – شاق متعب طويل– دام سنتين، وذلك عام ١٠٦٨هـ[٦]،ويخبرنا عن وصوله إلى مملكة قطب شاهي ولقائه مع والده إذ يقول: «ثم لم نزل نصل المسير بالسرى حتى طوينا جملة تلك المراحل ،... فلما أسفر الفجر عن صبح يوم الجمعة المبارك ، لثمان بقين من شهر ربيع الأول قضى الله بانقضاء مدة هذا السفر المطول ، فسرنا وقد

(١) ابن معصوم، سلوة الغريب ،ص١٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٧.

(٤)المصدر نفسه، ص٣٦.

(٥) المصدرنفسه ، ص٣٨-٣٩.

(٦) النجفي، الغدير، ٣٤٩/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استقبلتنا المواكب حتى وافينا قلعة كولكندة ، وهي غاية الجهة التي قصدناها... و اجتمعنا بالوالد في ذلك اليوم اجتماعا لم يخطرببال في يقظة ولا نوم،فأقر الله به العين، وأراح من مشاق السفر ومتاعب البين ، وبها ألقينا عصا الترحال .»[١].

تربى شاعرنا تحت كنف والده– الذي شغل مناصب إدارية هامة في الدولة –وأمضى فترة من عمره تناهز ثمانية عشر عاما في حيدرآباد عاصمة دولة قطب شاهي في إقليم كولكندة،وتولى خلال هذه السنوات مناصب مهمة في سلم الإدارة لمملكة قطب شاهي [٢]، ولكن الأمور ما لبثت أن تغيرت بالنسبة إلى ابن معصوم بعد أن توفي السلطان عبد الله قطب شاه مما أدى إلى سيطرة أبي الحسن قطب شاه آخر سلاطين قطب شاهي على مقاليد الحكم في الدولة، إذ تعرض والده إثر ذلك لمصاعب شتى وانتهى به المطاف سجيناً في أخريات عمره، وتحمل كثيراً من المشاق وظل محبوسا حتى توفي [٣] عام ١٠٨٥ هـ في حيدر آباد[٤] .

ورثى ابن معصوم والده بقصيدة نظمها معبرا فيها عن مشاعره الصادقة تجاه وفاة والده ومطلعها:

هَدَّ الْحِمَامُ لآلِ عَبْدِ مَنَافِ جَبَلاً أَنَافَ عُلاهُ أَيَّ مَنَافِ[٥]

وفي مكان آخر من هذه القصيدة نعرف أن والده كان يحتل مكانا كبيرا عنده، وبعبارة أدق كان والد شاعرنا كل شيء بالنسبة إليه إذ يشير إلى ذلك بهذه الأبيات المعبرة عن حاله :

يَا سَيِّدَ الْآبَاءِ سَـــمْعاً لابْـــنِكَ الْـ.....مُضْنَى فَقَدْ أَضْنَاهُ طُولُ تَجـافِ

قَدْ كُنْتَ بِي بَرّاً وَكُنْتَ مُوَاصِلاً وَجَمِيلُ بِرِّكَ كَافِلٌ لِي كَـــافِ[٦]

وبعد وفاة والده بمدة قصيرة ،توالت عليه المصائب وكأن الدينا انقلبت عليه ، فضلا عن أن أعداءه اهتبلوا الفرصة للقضاء عليه عقب وفاة والده ، ووفاة قطب شاه ، إذ فرض عليه أبو الحسن قطب شاه الإقامة الجبرية ، وتحمل كثيراً من المشاق والصعوبات التي تعرض لها[٧].

---

(١) ابن معصوم ، سلوة الغريب ، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) ابن معصوم ، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق، شاكر هادي شكر ، ط١، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٦٨م، ١/٨.-ويشار إليه بـ: ابن معصوم ، أنوار الربيع-.

(٣) المحبي ، نفحة الريحانة ، ٤/١٧٩.

(٤) الديوان ، ص٣٠١.

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٠١.

(٦)المصدر نفسه ، ص٣٠٣.

(٧) المصدر نفسه ، دراسة المحقق، ص٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبّر عما كان عليه من أحوال في قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ مستنجدا به :

يَا أَشْرَفَ الرُّسْلِ وَالْأَمْلَاكِ قَاطِبَةً ... وَمَنْ بِهِ شَرَّفَ اللَّهُ النَّوَاسِيَتَـــا
سَمْعاً لِدَعْوَةِ نَاءٍ عَنْكَ مُكْتَئِـــبٍ ... فَكَمْ أَغَثْتَ كَئِيباً حِينَ نُودِيتَـــا
يَرْجُوكَ فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا لِمَقْصِدِهِ ... حَاشَا لِرَاجِيكَ مِنْ يَأْسٍ وَحُوشِيتَـــا[1]

يتضح لنا من هذه الأبيات أنه عانى كثيرا من المؤامرات التي قام بها أعداؤه، فأراد أن يُسمع صوته الرسول ﷺ، كي يغيثه لخلاصه من الأذى الذي تعرض له في الهند، ويرى أن الرسول ﷺ هو الملجأ الوحيد في نجاته من محنته.

وفي موضع آخر نلاحظ أنه تعرض إلى الافتراءات والمكائد التي دبرها أعداؤه مما أدى إلى طول أسره في البلاد النائية عن وطنه فنفد صبره، وأراد إيصال صوته إلى الرسول ﷺ كي يصغي إليه ويغيثه للخلاص مما كان عليه، إذ يراه موئله الوحيد من البشر في الدنيا والآخرة،وليس هناك من يساعده وينجيه من هذه المعاناة التي أحاطت به سوى الرسول ﷺ في نظر شاعرنا ، ولذلك يشكو إليه همَّه من خلال قصيدته التي مدحه بها حيث يقول:

حَدِيثُهَا مَا كَانَ بِالْمُفْتَـــرَى ... وَ الصُّبْحُ لا يَخْفَى وَ لاَ يَجْـحَدُ
فَيَا رَسُولَ اللّهِ يَا خَيْرَ مَـــنْ ... يَقْصُدُهُ الْمُتهِـمُ وَ الْمُنْجِـــــدُ
سَمْعاً فَدَتْكَ النَّفْسُ مِنْ سَامِعٍ ... دَعْوَةَ دَاعٍ قَلْبُـهُ مُكْمَـــــدُ
دَعَاكَ وَالْوَجْدُ بِهِ مُحْـــدِقٌ ... لَعَلَّ رُحْمَاكَ لَـهُ تُنْجِـــــدُ
طَالَ بِيَ الْأَسْرُ وَطَالَ الْأَسَى ... وَمَا عَلَى ذَلِكَ لِـــي مُسْعِـــدُ
قَد نَفَدَ الصَّبْرُ لِمَا نَـالَنِـــي ... وَكَيْفَ لا يَفْنَـــى وَ لا يَنْفَـــدُ

(١) الديوان ،ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى قوله :

وَأَنْتَ فِي الدَّارَيْنِ لِي مَوْئِلٌ إِذَا جَفَا الْأَقْرَبُ وَ الْأَبْعَدُ [١]

وفي مكان آخر يعبر عن ألمه من الأسر ، ورغبته في فك أسره،والخلاص منه، متوجها إلى الرسولﷺ وهو يلجأ اليه في السراء والضراء ويراه أملا له. ويحكي له المحن التي مرّبها ، ويرجو منه أن يسانده في طريقه المؤدي إلى النصر على أعدائه وذلك من خلال قصيدته التي مدح بها النبيﷺ إذ يقول:

وَهَا أَنَا فِيكَ قَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي فَحَاشَا أَنْ تُخَيِّبَ فِيكَ ظَنَّا

وَكَيْفَ يَخَافُ رَيْبَ الدَّهْرِ عَبْدٌ تَكُونُ لَهُ مِنَ الْحَدَثَانِ حِصْنَا

أَرُومُ فُكَاكَ أَسْرِي مِنْ زَمَانٍ عَلِقْتُ بِكَفِّهِ الشَّلَّاءِ رَهْنَا

وَكَمْ لِي فِيكَ مِنْ أَمَلٍ فَسِيحٍ سَتُنْجِحُهُ إِذَا مَا الدَّهْرُ ضَنَّا[٢]

ونرى شاعرنا كثير الحنين والشوق إلى وطنه، ويزداد شوقه يوماً بعد يوم مشيرا إلى ذلك بقوله:

وَحَنَّ فُؤَادُهُ شَوْقاً لِنَجْدٍ وَأَيْنَ الْهِنْدُ مِنْ نَجْدٍ وَ أَنَّى [٣]

وفي موقع آخر تتضح لنا شدة عذاب الفراق الذي تحمل فيه صروف الدهر بالصبر والتأني حيث يقول:

وَ أَصْرِفُ بِالتَّأَنِّي صَرْفَ دَهْرِي وَ أَعْلَمُ أَنْ سَيَظْفَرُ مَنْ تَأَنَّى[٤]

وعندما علم شاعرنا أن أعداءه يقومون بتدبير المؤامرة للقضاء عليه ، والتخلص منه، قرر الخروج من حيدر آبادسرا هاربا من أعدائه متوجها إلى مقر السلطان أورنكزيب إمبراطور الدولة المغولية في الهند،وكان حينئذ موجودا في مدينة برهانبور. وحاول خصومه اللحاق به من أجل

---

(١) الديوان ،ص١٣٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٤٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٣٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القضاء عليه، ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق غايتهم ، كما يشير ابن معصوم إلى هذه الحادثة بقوله:

وَحَثّوُا الْجِيَادَ السَّابِحَاتِ لِيَلْحَقُوا ... وَهَلْ يَلْحَقُ الْكَسْلاَنُ شَأْوَ أَخِي الْمَجْدِ

فَسَارُوا وَعَادُوا خَائِبِينَ عَلَى رَجَا ... كَمَا خَابَ مَنْ قَدْ بَاتَ مِنْهُمْ عَلَى وَعْدِ[1]

ولما وصل ابن معصوم إلى السلطان أورنكزيب لقي منه ترحيبا حارا حيث استقبله ، وقلده قيادة فرقة من الجيش مُلقبا إيّاهُ بالسيد علي خان، ومنذ ذلك الحين نوُدي بهذا اللقب واشتهر به ، واصطحبه السلطان إلى مدينة أورنك آباد[*]، وجعله حارسا عليها عندما ترك أورنك آباد متوجها إلى أحمد نكر، وبعد إقامته فيها مدة قصيرة توجه إلى مدينة لاهور حيث عينه السلطان واليا على مدينة لاهور وما حولها وطلب شاعرنا من السلطان أورنكزيب إعفاءه من هذا المنصب بعد أن أمضى فيه فترة طويلة، فأجابه السلطان بقبول حسن وعينه رئيسا على ديوان برهانبور[2].

وشغل ابن معصوم هذا المنصب إلى أن طلب إعفاءه من السلطان أورنكزيب عام ١١١٤هـ،كي يتسنى له زيارة الأماكن المقدسة في إقليمي الحجاز وإيران [3]،فضلا عن أنه كان مشتاقا إلى مسقط رأسه، ويعبر لنا عن مشاعره ، فقد كان محترقا بلوعة النوى بسبب بعده عن وطنه ، وذلك من خلال قصيدته التي يذكر فيها حنينه إلى وطنه إذيقول:

أَصْبُو مِنَ الْهِنْدِ إِلى نَجْدٍ هَوىً ... وَأَيْنَ نَجْدٌ مِنْ دِيَارِ الْهِنْـدِ

وَأَلْتَقِي كُلَّ رِيـَاحٍ خَطَـرَتْ ... أَحْسَبُهَا لَيْلاً نَسِيمَ نَجْـدِ[4]

فما هي الدوافع التي أدت إلى رغبة شاعرنا في المغادرة من الهند بينما كان يتولى رئاسة ديوان برهانبور،وكان رجلا مرموقا في الهند.

نستطيع أن نجمع هذه العوامل في ثلاث مجموعات وهي :

أولاً: أنه كان شديد الاشتياق إلى البيت الحرام ورؤيته التي تروقه مع حنينه إلى الوطن بعد

---

(١) ابن معصوم ، أنوار الربيع ، ١/٧

(*) هي مدينة في ولاية بومباي، كانت تعرف من قبل خركي ، قصبة سلطنة أحمد نكر في عهد ملك عنبر .وقد حرقها المغول كلها سنة ١٠٢١ هـ، ثم أعيد بناؤها وأطلق عليها اسم جديد هو أورنك آباد نسبة إلى أورنكزيب الذي كان يعيش فيها أثناء توليه منصب سلطنة الدكن للمرة الثانية. (دائرة المعارف الاسلامية ، ٥/١٩٦.)

(٢) ابن معصوم ، أنوار الربيع ، ١/٧.

(٣) النجفي ، الغدير ، ١١/٣٤٩.

(٤) الديوان ، ص١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن طال بقاؤه في الهند.

ثانيا: كثرة خصومه وحساده بسبب مكانته المرموقة لدى السلطان أورنكزيب حيث حاولوا تجهيز مصيدة لإيقاعه فيها للتخلص منه والقضاء عليه.

ثالثاً: بدء إصغاء السلطان إلى أقوال الواشين وأعدائه حيث بدأ يضيق ذرعا به مع مساورته الخوف والقلق بما كان يدور حوله من دسائس.

وصف لنا شاعرنا هذه الدوافع وصفا دقيقا من خلال قصيدة يمدح بها الرسول ﷺ حيث يتحدث فيها عن الظروف القاسية التي أحاطت به مما أدى إلى استنجاده بالرسول ﷺ إذ يقول:

إِذَا مَا امْتَطَيْتُ الْفُلْكَ مُقْتَحِمَ الْبَحْرِ ... وَوَلَّيْتُ ظَهْرِي الْهِنْدَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ

فَمَا لِمَلِيكِ الْهِنْدِ إِنْ ضَاقَ صَدْرُهُ ... عَلَيَّ يَدٌ تَقْضِي بِنَهْيٍ وَلا أَمْرِ

أَلَمْ يُصْغِ لِلأَعْدَاءِ سَمْعاً وَقَدْ غَدَتْ ... عَقَارِبُهُمْ نَحْوِي بِكَيْدِهِمْ تَسْرِي

فَأَوْتَرَ قَوْسَ الظُّلْمِ لِي وَهْوَ سَاخِطٌ ... وَسَدَّدَ لِي سَهْمَ التَّغَطْرُسِ وَالْكِبْرِ

وَسَدَّ عَلَيَّ الطُّرْقَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وَهَمَّ بِمَا ضَاقَتْ بِهِ سَاحَةُ الصَّبْرِ

إِلَى أَنْ أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَاذَ أَمْرِهِ ... عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُ فِي مَشِيئَتِهِ أَمْرِي

فَرَدَّ عَلَيْهِ سَهْمَهُ نَحْوَ نَحْرِهِ ... وَقَلَّدَ بِالنَّعْمَاءِ مِنْ فَضْلِهِ نَحْرِي

وَأَرْكَبَنِي فُلْكَ النَّجَاةِ فَأَصْبَحَتْ ... عَلَى ثَبَجِ(*) الدَّأْمَاءِ(*٢) سَابِحَةً تَجْرِي

فَأَمْسَيْتُ مِنْ تِلْكَ الْمَخَاوِفِ آمِناً ... وَعَادَتْ أُمُورِي بَعْدَ عُسْرٍ إِلَى يُسْرِ

وَكَمْ كَاشِحٍ قَدْ رَاشَ لِي سَهْمَ كَيْدِهِ ... هُنَاكَ فَأَضْحَى لا يَرِيشُ وَلا يَبْرِي

وَمَا زَالَ صُنْعُ اللَّهِ مَا زَالَ وَاثِقاً ... بِهِ عَبْدُهُ يُنْجِيهِ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي

كَأَنِّي بِفُلْكِي حِينَ مَدَّتْ جَنَاحَهَا ... وَطَارَتْ مَطَارَ النَّسْرِ حَلَّقَ عَنْ وُكْرِ(١)

ونستشف من هذه القصيدة دليلا على أنه نجا من أعدائه بفضل الله تعالى واستطاع مغادرة

(*) ثبج : وسط الشيء ، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ) لسان العرب، ط٣، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ،١٩٩٣، ٢/٨٠. ويشار إليه بـ:ابن منظور،لسان العرب-

(*٢) الدأماء : البحر ،المصدر نفسه، ٤/٢٧٥.

(١) الديوان ، ص١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهند وهو منشرح الصدر.

غادر ابن معصوم الديار الهندية بعد أن قضى فيها ستا وأربعين سنة متوجهاً إلى مكة المشرفة مع أسرته عام ١١١٤هـ لتأدية مناسك الحج [١]،فأصبح مرتاح البال،مطمئن القلب بهذه الزيارة لبيت الله الحرام، حيث يشير إلى ذلك بقصيدة مدح بها النبي ﷺ،إذ يقول:

هُنَالِكَ أَلْفَيْتُ الْمَسَرَّةَ وَالْهَنَا ... وَفُزْتُ بِمَا أَمَّلْتُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

وَقُمْتُ بِفَرْضِ الْحَجِّ طَوْعاً لِمَنْ قَضَى ... عَلَى النَّاسِ حَجَّ الْبَيْتِ مُغْتَنِمَ الْأَجْرِ [٢]

ثم أمّ المدنية المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ، وبعد أن زار المدينة سافر إلى العراق،فأقام فيها مدة قصيرة بحث خلالها عن بيئة مناسبة للقيام بالعمل في التدريس والتأليف، ولكن العراق خيبت آماله فيما أراد القيام به هناك، وزار خلال إقامته مراقد الأئمة في العراق وذلك في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء.ومن ثم قرر مواصلة السفر تجاه منطقة خراسان قاصدا زيارة الإمام علي بن موسى الرضا [٣]،مؤرخا عام سفره بقصيدته التي يمدح بها الشاه حسين الصفوي حيث يقول:

فَقَدْ أَتَى مُفْصِحاً تَارِيخَ زَوْرَتِهِ ... (نَوْلُ الرِّضَا) وَهْوَ تَارِيخٌ لَهُ خَطَرُ [٤]

تبين لنا من هذه القصيدة أنه أتى إلى خراسان في عام ١١١٨هـ، وليس في سنة ١١١٧هـ كما ذكره غلام علي آزاد صاحب سبحة المرجان.وبعد أن أتم زيارته لضريح الإمام الرّضا علي ابن موسى توجه إلى أصفهان عاصمة الدولة الصفوية في عهد السلطان حسين الصفوي، فأقام فيها مدة قصيرة حيث لم يرق له البقاء هناك بسبب عدم وجود ظروف ملائمة كي يتفرغ للتدريس والتأليف، واختار أخيرا مدينة شيراز مقرا لسكناه، فأقام بالمدرسة المنصورية التي بناها جده غياث الدين منصور، وانصرف تماما إلى التدريس والتأليف [٥]. ولا نعرف شيئا عنه في هذه المرحلة التي كان يقضي بها أواخر عمره.

---

(١)ابن معصوم ، أنوار الربيع ، ١/٨.

(٢)الديوان، ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٨.

(٤)المصدر نفسه ، ص ١٧٦.

(٥) ابن معصوم ، أنوار الربيع ، ١/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- دراسته وثقافته

لا نعرف شيئا كثيرا عن دراسته في المرحلة الأولى من نشأته ، حيث تفتقر المصادر إلى أخبارها، ولكننا نستطيع القول : إنه تلقى دراسته الأولى في مكة قبل سفره إلى الهند، ويؤيد ذلك ما ذهب إليه محقق الديوان حيث يقول إنه كان مزودا بالكثير من مقدمات العلوم العربية،ومنها الدينية مستشهدا بوجود القصائد والمقطوعات الجيدة، وهي من نظمه قبل سفره، فضلا عن كتابه الذي يتحدث فيه عن رحلته إلى الهند، وكان عمره آنذاك أربع عشرةسنة[١] .

ونجد إشارات متفرقة حول دراسته قبل مغادرته إلى الهند، إذ يذكر شاعرنا بعض أسماء العلماء الذين صادفهم في مكة ، وربما تأثربهم ، واستفاد من علمهم من خلال حلقات الدروس التي كانوا يعقدونها في مكة.

نستطيع أن نذكر من هؤلاء العلماء الذين أشار إليهم ابن معصوم ،« محمد باقر الخراساني»[٥] الذي يعده ابن معصوم أحد المجتهدين في علوم الدين وغيرها من فنون العلوم مشيرا إلى رؤيته في مكة بقوله : «ورد مكة المشرفة عام ثلاثة وستين ، وجاوربها ، فتشرفت برؤيته ، ولم يتفق لي الأخذ عنه، إلا أني حضرت مجلسه ومباحثه مرارا»[٢].

وزين الدين بن حسن الشامي العاملي[٥٢]، ويثني ابن معصوم على علمه وفضله مشيرا إلى أنه قابله في مكة [٣]. وعلي بن أبي الحسن الشامي العاملي[٥٣]، وقد رآه ابن معصوم في مكة في أخريات عمره[٤].والشيخ عبد الله باقشير المكي ، وقد رآه غير مرة في مسجد الحرام في حلقة درسه،وأصغى إليه مشيرا إلى ذلك بقوله:«... رأيته غير مرة بالمسجد الحرام في حلقة درسه ... وقد أصغت الأسماع إليه.»[٥].

---

(١) الديوان ، ص٨-٩ (دراسة المحقق).

(٥) لم أقف على ترجمته .

(٢)ابن معصوم ،سلافة العصر ، ص٤٩١.

(٥٢) هو زين الدين بن محمد حسن بن زيد الدين الشامي العاملي(...-١٠٦٢هـ) ، من علماء الحجاز وشعرائه. (المحبي ، خلاصة الأثر،٢/١٩١) .

(٣) ابن معصوم ،سلافة العصر ، ص٣٠٨.

(٥٣) هو السيد علي بن أبي الحسن الملقب بنور الدين الحسيني الشامي العاملي(...-١٠٦٨هـ)، من علماء الحجاز وشعرائه. (المحبي ، خلاصة الأثر، ٣/١٣٢).

(٤) ابن معصوم ، سلافة العصر ، ص٣٠٨.

(٥) المصدر نفسه ، ص٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستطيع أن نتوصل من خلال هذه الشذرات المتفرقة المتصلة بتعليمه إلى أنه استفاد إلى حد كبير من جميع هؤلاء العلماء،وانتفع بعلمهم من خلال حلقات دروسهم في مكة ، ولكننا لا نعرف كيف تلقى العلم واستفاد من هذه الحلقات ،ومدى انتفاعه بها، ويمكننا القول إن هؤلاء العلماء الأفاضل قد وضعوا لبنة أساسية في دراسة شاعرنا، ولعبوا دورا كبيرا في المرحلة الأولى من نشأته العلمية.

أما المرحلة الثانية من دراسته ، فهي المرحلة التي تحمل آفاقا جديدة لشاعرنا بعد سفره إلى الهند حيث كان والده هناك.وجد ابن معصوم نفسه بين نخبة من العلماء والأدباء المتميزين الذين كانوا يحيطون بأبيه، وقد كان والده نفسه من العلماء البارزين المرموقين لدى الأوساط الثقافية آنذاك ويقول ابن معصوم معبرا عن ذلك : «واجتمعت في حضرة الوالد بجماعة من الأعيان ورؤساء العصر والأوان، ممن حلّى بهم الدهر جيده » .وسره وجود هذه النخبة حول أبيه مشيرا إلى ذلك بقوله :« فاكتحل برؤياهم جفني القريح»[1].

وما من شك أن هذه الجماعة البارزة من العلماء والأدباء لعبت دورا كبيرا في تنشئة شاعرنا العلمية والثقافية في شتى الميادين الثقافية في الهند حيث ألقى بها عصا الترحال.

وينبغي أن نلقي النظرة على من ساهم في تنشئته الثقافية معتمدين على ما ذكره ابن معصوم عنهم. فمن أساتذته « محمد الشامي الحَشْري العاملي»[*] الذي درّس ابن معصوم الفقه، والنحو، والبيان،والحساب، وفنون الأدب من نثر ونظم، كما اعتنى أستاذه بتهذيبه وتأديبه، وله فضل كبير في تنشئته العلمية والتربوية، حيث يعبر ابن معصوم عن علاقته به،وفضله عليه مشيرا إلى ذلك بقوله:« وله علي من الحقوق الواجب شكرها... وهو شيخي الذي أخذت عنه في بدء حالي... واشتغلت عليه فاشتغل بي، وكان دأبه تهذيب أدبي، ووهبني من فضله ما لا يضيع، وحنا علي حُنُوّ الظئر على الرضيع، ففرش لي حِجْرَ علومه... رأيته بحضرة الوالد... فأمرنا بالاشتغال عليه، والاكتساب مما لديه، فقرأت عليه الفقه، والنحو، والبيان، والحساب، وتخرجت عليه في النظم والنثر، وفنون الآداب»[2]. كما تُظهر لنا مشاعر ابن معصوم تجاه أستاذه تأثره الواضح به إلى

---

(١)ابن معصوم، سلوة الغريب، ص٢٠٦.

(*) هو محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن محمد بن إبراهيم الشامي العاملي الشهير بالحشري (...-١٠٩٣هـ) ،أديب شاعر،استوطن الهند. (المحبي ، خلاصة الأثر ، ٤/٦٥) .

(٢) ابن معصوم ،سلافة العصر . ص٢١٧.والمحبي ، خلاصة الأثر،٤/٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

درجة كبيرة حتى نستطيع أن نقول إن هذا التأثر استمر طوال حياته.

وممن شارك في تثقيف شاعرنا «الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني»(*). فقد وصفه ابن معصوم بشيخنا الشيخ أو شيخنا العلامة ،ويمدحه ،وعدّه من الأئمة الأفاضل(١). ويمكن أن يستدل من ذكر ابن معصوم له على مدى التأثر الكبير به حيث يرجع له فضل كبير في إتمام دراسته على أكمل وجه دون الإشارة إلى العلوم التي تلقاها منه.

ومن هنا نستطيع أن نلخص العوامل التي أسعفت على تكوين شاعرنا العلمي وبناء ثقافته ومعرفته الواسعة كما يلي: إن والد ابن معصوم كان عالما وأديبا، وكان إلى جانب ذلك متمتعا بمكانة رفيعة لدى البلاط السلطاني في «دولة قطب شاهي » مما أدى إلى تحلق نخبة من العلماء والأدباء الأفاضل حوله سواء أكانوا وافدين من البلاد الناطقة بالضاد إلى الهند، أم كانوا من الهند نفسها، أم من البلدان القريبة منها مثل إيران والسند.

والبيئة لها أهمية كبرى في تنشئة المرء وتثقيفه،متأثراً بها سلبا أو إيجاباً بحسب الظروف الاجتماعية والعلمية. في الواقع كان شاعرنا محظوظا من هذه الناحية ،فترعرع وسط جماعة متميزة من العلماء والأدباء الذين ما انفكوا يعقدون حلقات الدروس، وإلقاء المحاضرات ، وإبداء الآراء في شتى المواضيع من العلوم المتباينة سواء كانت دينية أو غيرها ، وذلك من خلال المساجد والمجالس العلمية .

نستطيع مما سبق أن نستنتج ما يلي:

أولا: كانت ثقافة ابن معصوم متنوعة في ألوانها متشعبة في فروعها ، وذلك لكثرة مشاربها حيث نستدل على ذلك من تنوع ثقافة أساتذته الذين درسوه وكذلك تنوع مؤلفاته ، فتارة في الأدب بلاغة ونحوا، وتارة في الفقه وغير ذلك.

ثانياً: غلب عليه الطابع الأدبي واللغوي، لقد سطع نجم ابن معصوم في العلوم الأدبية بشكل أكبر من باقي الفروع العلمية التي لم تختف من ثقافته ولم يهملها، ولكنه كما نرى من

(*) لم أقف على ترجمته.

(١) ابن معصوم ، سلوة الغريب، ص٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجموع ما ألف ، انكبابه على الأدب حيث له في هذا المجال مؤلفات أكثر من باقي الفروع العلمية[١] .

ثالثاً: معرفته باللغات، هو عالم متضلع باللغة العربية وفقهها ، وهذا واضح جلي من مؤلفاته، أما غير العربية ، فنرى الفارسية التي لابد من أنه كان على اطلاع واسع فيها، لأنه شغل مناصب في عهد أورنكزيب وكانت اللغة الرسمية في هذه الدولةهي الفارسية ، ثم نراه يختار نماذج من الشعر الفارسي[٢] متمثلا بشعر الميرزا بن الميرزا إبراهيم الهمداني[*]، وهذا يدل دون أدنى شك على علمه بهذه اللغة. أما الهندية فلم يصل إلينا شيء يثير تساؤلات حول معرفته لها أو إجادتها سوى وجوده وإقامته الطويلة في الديار الهندية .

٥-مذهبه

تحدثت في التمهيد التاريخي عن المذهب الذي كانت تعتنقه الدول الموجودة في إقليم الدكن بالهند ، مشيرا إلى أنها كانت تتبع مذهب الإمامية من الشيعة .

إذا أمعنا النظر في آثار ابن معصوم لنرى مذهبه الذي يعتنقه وهو «الإمامية » أو «الاثنا عشرية» من الشيعة ، كما يشير إلى ذلك بقوله :«كنت في حدثان السن ... أقدر في خلدي جمع طبقات عالية تحتوي عيون أخبار الفرقة الناجية، أعني الإمامية ، والفرقة الاثني عشرية...»[٣].

ونجد إشارة أخرى حول مذهبه الإمامي في معرض حديثه في مقدمة كتابه «الدرجات الرفيعة» إذ يتطرق إلى المعاناة والأذى الذي تعرض له أهل البيت وشيعته مشيرا إلى مطاردتهم وقتلهم وسلب حقوقهم ، ومبينا بأن جماعة كذبت وافترت عليهم من أجل أن يتقربوا بذلك إلى السلطة الأموية الحاكمة، فأحدثت الأقوال الموضوعة مما أدى إلى مطاردتهم وقتلهم في كل مكان ، ويذكر فيما بعد قيام الخطباء بالتلعين والتبرؤ من الإمام علي ، وذلك من فوق منابر المساجد ويضيف إلى ذلك أن معاوية طلب إلى عماله عدم قبولهم لأحد من شيعة الإمام علي وأهل بيته شهادة ، كما طلب إلى أن يقربوا ويكرموا ويشفعوا ويدنوا إلى مجالسهم ممن أتى

---

(١) انظر قسم الآثار من الرسالة،ص٤١.

(٢) ابن معصوم ، سلافة العصر ، ص٤٨٠-٤٨١.

(*) هو الميرزا بن الميرزا إبراهيم الهمداني ، عالم ، أديب توفي عام ١٠٢٦هـ .(ابن معصوم ، سلافة العصر ،ص٤٨٠).

(٣) ابن معصوم ، الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة ، تقديم ، محمد صادق بحر العلوم ،المطبعة الحيدرية، النجف ، ١٩٦٢م،ص٥.- ويشار إليه بـ: ابن معصوم ، الدرجات الرفيعة -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهم برواية تنقل فضائل عثمان ومناقبه [١].

إن الآراء التي طرحها ابن معصوم حول تعريف الصحابة ، ومعركة صفين والمنازعات التي دارت حولها بين الصحابة في ذلك الوقت توضح لنا مذهب الإمامية دون أي التباس [٢]. ونرى لون مذهبه في شعره من خلال القصائد التي نظمها في مدح علي بن أبي طالب، إلى جانب رثائه للحسين. ويبدو لنا في هذه القصائد إيمانه التام بمبادئ مذهب الإمامية إذ دافع عنها بحماس، إذ يقول في مدح علي معتبرا إياه وصي الرسول ﷺ:

عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَصِيُّهُ ... إِلَيْهِ انْتَهَى كُلُّ النُّهَى وَالتَّكَرُّمُ [٣]

ويتحدث في قصيدة أخرى عن الحادثة التي وقعت في غديرخم التي ترى الشيعة أن الرسول ﷺ أعطى من خلالها ولاية الأمر إلى علي بن أبي طالب بعده حيث يقول :

وَغَدِيرَ خُمٍّ وَهْوَ أَعْظَمُهَا ... مَنْ نَالَ فِيهِ وِلاَيَةَ الْأَمْرِ [٤]

ويشير ابن معصوم في مكان آخر إلى عقيدة العصمة في الشيعة بقوله الطهر، إذ يقول:

هَيْهَاتَ يَأْبَى الْغَدْرَ لي نَسَبٌ ... أُعْزَى بِهِ لِعَلِيٍّ الطُّهْرِ [٥]

يتضح لنا مذهبه في رثائه للحسين من خلال تطرقه إلى الفجيعة التي حدثت في كربلاء معبرا فيها عما تعرض له أهل البيت من أذى ، وداعيا على ابن زياد مع تحميله المسؤولية بني أمية حيث يقول:

يَا وَقْعَةَ الطَّفِّ خَلَّدْتِ الْقُلُوبَ أَسىً ... كَأَنَّمَا كُلَّ يَوْمٍ يَوْمُ عَاشُورِ

إلى قوله :

وَأَيْنَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ تَنْظُرُهُ ... وَأَهْلُهُ بَيْنَ مَذْبُوحٍ وَمَنْحُورِ

إلى قوله:

تَبَّتْ يَدُ ابْنِ زِيَادٍ مِنْ غَوِيٍّ هَوىً ... وَمَارِقٍ فِي غِمَارِ الْكُفْرِ مَغْمُورِ

---

(١) ابن معصوم ، الدرجات الرفيعة، ص٥-٦.

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص٩-٢٠.

(٣) الديوان ، ص٣٨٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٦٩.

(٥) المصدر نفسه ، ص١٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى قوله :

بَنِي أُمَيَّةَ هَبُّوا لاَ أَبَاً لَكُـــمُ فَطَالِبُ الْوِتْرِ مِـنْكُمْ غَيْرُ مَوْتُورِ

نَسِيتُمُ أَمْ تَنَاسَيْتُمْ جِنَايَتَـكُمْ فَتِلْكَ وَاللَّهِ ذَنْبٌ غَيْرُ مَغْفُـــورِ[١]

ما بدا مما سبق أن ابن معصوم كان صادقا في مذهبه حيث قام بالدفاع عن مبادئه بكل حماس، مفتخرا باعتناقه الإمامية ، كما كان يفتخر بانتمائه إلى آل البيت دائما.

وأخيرا كنت أريد أن أورد آراء ابن معصوم مقارناً إياها بالخلافات التي جرت بين أهل السنة وأهل الشيعة.ولكن طبيعة موضوع البحث واتساع هذه الخلافات يحولان دون الولوج فيها تفصيلا، ولذلك اكتفيت بسرد آرائه المذهبية دون مناقشة مدى صحتها.

٦- وفاته

نلاحظ أن خلافات كثيرة دارت حول تاريخ وفاة شاعرنا، ونرى أن ثمة أربع روايات تقدم لنا أربعة تواريخ وهي؛عام ١١١٧هـ [٢]،و١١١٨هـ[٣]،و١١١٩هـ[٤]،و١١٢٠هـ[٥].وندرس التواريخ لنجد بأنه كان على قيد الحياة عام ١١١٩هـ مستدلين على ذلك من خلال قصيدته التي أرخ فيها عام بناء المدرسة التي أنشأها السلطان حسين الصفوي بأصفهان سنة ١١١٩هـ حيث يقول:

آوَى بِهَا كُلُّ الْعُلُومِ فَأَصْبَحَتْ وَطَناً لَهَـا إِذْ أَقْفَـرَتْ أَوْطَانُهَـــا

فَلِذاَ أَتَى تَارِيخُ عَامِ تَمَامِهَـا (مَغْنىً هُدىً) فَحْوَى الْهُدى بُنْيَانُهَا [٦]

وانطلاقا من هذه القصيدة نرى أنه توفي على الأرجح في سنة ١١٢٠هـ مستندا إلى أنه لا توجد رواية تبعد موته أكثر من هذا التاريخ، ودفن بحرم الشاه جراغ أحمد بن الإمام موسى بن جعفر عند جده غياث الدين المنصور صاحب المدرسة المنصورية[٧].

---

(١) الديوان ، ص٢٠٣-٢٠٥.

(٢) ابن معصوم ، أنوار الربيع، ٣٢/١ (نقلا عن سبحة المرجان) ،هدية العارفين ، ٧٦٣/١ .

(٣) الميرزا ، رياض العلماء ، ٣٦٧/٣ ، جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، دار مكتبة الحياة ،بيروت ،١٩٨٣م،٢٩٨/٣.-ويشار إليه بـ: زيدان ، تاريخ آداب-

(٤) القمي ، سفينة البحار ، ص٢٤٦.

(٥) الموسوي ، نزهة الجليس، ٢١٠/١، النجفي ، الغدير ، ٣٥٠/١١ ،محمد باقر الموسوي الخوانساري ، ط١،روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ط١، الدار الإسلامية ، بيروت ، بلا تاريخ ، ٣٨١/٤.- ويشار إليه بـ: الخوانساري، روضات الجنات - BROCK, GAL , S.2/627 .

(٦)الديوان ، ص٤٦٤.

(٧) النجفي ، الغدير ، ٣٤٩/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آثاره

خلف ابن معصوم مؤلفات كثيرة ذات أهمية في مجالات شتى .وسأتناول تبيان هذه المؤلفات كل على حدة ، غير أن بعضا منها لم تصل إلى أيامنا هذه ، وبقيت أسماء غابرة نسمع عنها ولا نراها.

سأورد هذه المؤلفات من خلال التصنيف التالي:

أ – الآثار التي وصلت إلينا،وتضم العلوم اللغوية والأدبية والدينية .

ب – الآثار المفقودة ، وتضم العلوم اللغوية والأدبية والدينية.

ج – الآثار المفقودة مجهولة المضمون.

أ–الآثار التي وصلت إلينا:

-في مجال العلوم اللغوية والأدبية:

١–ديوان شعره:

أكدت المصادر والمراجع وجود ديوان مخطوط لابن معصوم يتحدث عنه صاحب الغدير من خلال تصنيف كتبه فيقول: « ديوان شعره ،وله شعر كثير لا يوجد في ديوانه السائر الدائر»[١].

ويقول محسن الأمين : «له ديوان شعر»[٢]،ويقول البغدادي:«له ديوان شعر»[٣] ،ويورد داود الجلبي ديوانه المخطوط تحت الرقم ١٠٢٦ في مكتبة المدرسة الإسلامية [٤].ويتحدث الزركلي عن ديوانه بقوله: «له ديوان شعر ، وفيه رقة»[٥]، كما يشير إليه كحالة بقوله:« له ديوان شعر»[٦]،وذكر بروكلمان ديوانه المخطوط تحت الرقم: I,702,144في مكتبة آصفية بمدينة حيدرآباد[٧].

---

(١) النجفي، الغدير ، ٣٤٨/١١.

(٢) الأمين ، أعيان الشيعة ،٤٠/٤١.

(٣) هدية العارفين ،٧٦٣/١.

(٤) داود الجلبي الموصلي، كتاب مخطوطات الموصل، مطبعة الفرات، بغداد ،١٩٢٧،ص٤١ .–ويشار إليه بـ: مخطوطات الموصل –

(٥) الأعلام ، ٢٥٩/٤.

(٦) عمر رضا كحالة ،معجم المؤلفين ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٩٣،٤٠١/٢ .–ويشار إليه بـ: معجم المؤلفين –

(٧) BROCK ,GAL , S.2/628.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد طبع ديوان ابن معصوم في بيروت سنة ١٩٨٨ بتحقيق شاكر هادي شكر الذي قام قبل ذلك بتحقيق كتابين آخرين لابن معصوم وهما:«أنوار الربيع في أنواع البديع»،و«سلوة الغريب وأسوة الأريب».

ومن خلال دراستي لديوان الشاعر تشكلت لدي بعض الملاحظات حوله أوجزها فيما يلي:

* اعتمد المحقق في تحقيقه على أربع نسخ موجودة في مكتبات العراق،وهي : النسخة الموجودة في مكتبة مديرية الآثار العامة ببغداد،وتحمل الرقم ٣٢٨،وفي مكتبة الأوقاف العامة في الموصل تحت الرقم ١٢/٥ إسلامية،وفي مكتبة المرحوم محمد علي اليعقوبي، وفي مكتبة المدرسة الشبرية في النجف.ولقد أهمل النسخة التي ذكرها بروكلمان،ولم يشر إليها لامن قريب ولا من بعيد، كان ينبغي أن يذكرها وإن لم يستطع أن يتوصل إليها. لأن هذه النسخة حسب رأيي من أهم نسخ الديوان ، وذلك لقضاء ابن معصوم فترة غير يسيرة (١٨عاما) في حيدر آباد وجل عمره في الهند بشكل عام. وذلك من متطلبات المنهج السليم في التحقيق.

ومن الجدير بالذكر أنني حاولت الحصول على هذه النسخة المشار إليها من أجل المقارنة مع الديوان المحقق لكي أصل إلى أعلى درجة في صحة الدراسة، إلا أنني لم أتمكن من التوصل إليها .

*لم يقم المحقق باستخراج أوزان القصائد الواردة في الديوان.

*لم يبوب القصائد حسب موضوعاتها.

*أهمل تعريف بعض الأماكن الواردة في الأبيات. وكذلك أخل بمنهج التحقيق العلمي الصحيح من خلال إيراده جملة «الظاهر أنه كذا» وذلك للتدليل والتعريف ببعض الأماكن رغم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجود ذكر لهذه المواقع في المراجع المختلفة[1].

*وجود بعض التصحيفات والأخطاء المطبعية والأخطاء الصادرة عن المحقق،ومن ذلك:

الخطأ	الصواب	الصفحة
عل	على	٥٢
مخاليب	مخالب	٥٤
بأحست	بأحسن	٥٦
باللآلي	باللآليء	٦٥
عل	على	٨٤
بدراسة	بدارسة	٩٠
رشاء	رشأ	١٠٤
اذُ	إذْ	١٠٤
فلم يرأمُ الدهر	فلم يرأمِ الدهر	١١٠

(١) انظر الديوان ، ص١٨٩،٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخُودُ	الخَوْدُ	١١١
لآلي	لآليء	١١١
يَمْلَا	يَمْلأ	١١٨
الشـهِبُ	الشـهُبُ	١٣٥
تَسـآل	تِسـآل	١٤٩
النِّيران	النَّيِّران	١٧٥
قِمنٍ	قَمَنٌ	١٧٧
رَسْتَه	دَسْتَه	١٨٢
بينا	بَينما	١٨٢
الحُسام	الجِسَام	١٨٥
الشِّعْري	الشِّعْرى	٢٠٧
ساؤا	ساؤوا	٢١٧
انفساسها	أنفاسها	٢٣٩
شَحْط	شَحْط	٢٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طربتّ	طربتُ	٢٧٥
أذيالُ	أذيالِ	٢٩٩
أذْ	إذْ	٣٣٧
مِدَتْ	مُدَّت	٣٤٠
نَطمتَ	نَظَمْتَ	٤٠٠

* لاحظت النقص في بعض الأبيات ، ولم يتحدث المحقق عن ذلك ، مثال:

مَا لِقَلْبِي وَالصَّبَا وَيْحَ الصّـــــــبا كُلَّـــمَا مَرّتْ بِهِ زَاد....[1]

أما المحاسن التي قام بها المحقق فهي تخريجه للأبيات والقصائد التي لم ترد في نسخ الديوان المخطوطة من خلال مؤلفات ابن معصوم والمصادر المتعلقة بأخبار شاعرنا ، فهي :«أنوار الربيع في أنواع البديع» ،و«سلوة الغريب وأسوة الأريب»، و«سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر»، و«الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة . و«نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحان»و«خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي، و«الغدير »للنجفي،و«نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس»للموسوي، و«البدر الطالع»للشوكاني .وكان مجموع عدد الأبيات التي ألحقت تكملة للديوان واحدا ومائتي بيت.

---

(١) الديوان ، ص١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-أنوار الربيع في أنواع البديع[١]: نظم ابن معصوم بديعية مدح بها الرسول ﷺ على بحر البسيط وروي الميم على غرار الشعراء الذين نهجوا في بديعياتهم هذا النهج. ضمن ابن معصوم هذه البديعية معظم أنواع البديع مع ذكر كل نوع باسمه في كل بيت منها. فجاء هذا الكتاب شرحا لبديعيته، وأسماه ابن معصوم بـ: «أنوار الربيع في أنواع البديع»[٢].

وقد قارن ابن معصوم فيه بين بديعيته ، وبين بديعيات صفي الدين الحلي [٥]،وابن جابر الأندلسي[٦]،وعزالدين الموصلي[٣] ،وابن حجة الحموي [٤]،وعبد القادر الطبري[٥]، وشرف الدين المقرئ[٦]،بعد أن ناقش آراءهم المتعلقة بأنواع البديع ، فأتى بقوله في كل موضع من الاستشهادإما مؤيدا له أو معارضا.

أرخ لنا شاعرنا ختام بديعيته مع شرحها بهذين البيتين :

بِعَوْنِ اللّهِ تَمَّ الشَّرْحُ نَظْمــاً وَنَثْراً مُخْجِلاً دُرَّ النِّظــامِ

---

(١) طبع هذا الكتاب مرتين : الأولى في ايران عام ١٣٠٤هـ،ووقع في مجلد واحد، والثانية :في العراق بمطبعة النعمان عام ١٩٦٨م،ويقع في سبعة مجلدات وخصص المجلد السابع للفهارس، قام بتحقيقه شاكر هادي شكر ، معتمدا في تحقيقه على النسخة الموجودة لديه دون اللجوءإلى وصفها كما أنه لم يشر إلى النسخ الموجودة للكتاب في المكتبات الأخرى بالعالم ، وهي :مكتبة برلين :٧٣٨٤ ،ومكتبة ليدن: ٣٤٠،ومكتبة باريس :٣٢٥٥، ومتحف بريطاني ثان: ١/٩٩٠، ومكتبة راغب باشا: ١٠٧٤ ،ومكتبة حميدية :١٢١٦ ،ومكتبة علي أميري٣٥٦٣،ومكتبة القاهرة:٤/٢٠٩، وبنكي بور:٢٣/٢٥٩،٦/٣٥٥٣.(انظر : 2/555 :BROCK ,GAL).

(٢) انظر ابن معصوم ، أنوار الربيع،١/٢٩.

(٥)هو عبد العزيز بن سرايا بن الحلي صفي الدين ،ولد في سنة ٦٧٧هـ،فمهر في فنون الشعر كلها ، وفي علم المعاني ،والبيان ، والعربية . وله بديعية مشهورة،توفي في سنة ٧٥٢هـ.(الشوكاني ، البدر الطالع، ١/٣٥٨).

(٦*) هو أبو عبد الله بن جابر محمد بن جابرالضرير ، من أهل المرية ، صاحب البديعية المعروفة ببديعية «العميان» ، توفي في٧٧٩هـ. (أحمد بن المقري التلمساني (ت:١٠٤١هـ) ، نفح الطيب م ن غصن الأندلس الرطيب، تحقيق :إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٨٨ ، ٢/ ٦٦٤، و٥/ ٢٠٢.-ويشار إليه بـ: المقري ، نفح الطيب-) .

(٣*)هو علي بن الحسين بن أبي الخير عزالدين الموصلي، له بديعية مع شرحها سماه«التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع». توفي في سنة ٧٨٩هـ . (العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت:٨٥٢هـ) ، الدرر الكامنة في أعيان المائه الثامنة ، تحقيق: محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ١٩٦٦، ٣/١١٢-ويشار إليه بـ: الدرر الكامنة -وانظر هدية العارفين ،١/٧٢٥).

(٤*) هو أبو بكر علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة ، ولد في عام ٧٦٧هـ . بحماه ونشأبها وأخذ فنوناً من العلم ومعاني الأدب ، اشتهر ببديعيته ، توفي في عام ٨٣٧هـ . (الشوكاني ، البد ر الطالع ،١/١٦٤) .

(٥*) هو عبد القادر محمد الطبري المكي الشافعي،ولد في سنة ٩٧٢هـ،وبرع في جميع الفنون وفاق،وله بديعية وشرحها وسماها «علو الحجة بتأخير أبي بكر بن حجة» وتوفي في ١٠٣٢هـ.(الشوكاني ،البدر الطالع ١/٣٧١).

(٦*) هو إسماعيل بن أبي بكر بن إبراهيم المعروف بالمقرئ الزبيدي، ولد في سنة ٧٥٤هـ،تضلع في الفقه ،والعربية،والأصول .وله بديعية التزم في كل بيت منها تورية باسم النوع البديعي .توفي في ٨٣٧هـ.(الشوكاني ، البدر الطالع ، ١/١٤٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمِسْكُ خِتَامِهِ مُذْطَابَ نَشْراً أَتَى تَارِيخُهُ (طِيبَ الْخِتَامِ)[١]

يعد هذا الكتاب من المصادر المهمة المؤلفةفي فن البديع، لأنه جمع معظم ما ورد من أقوال سبقته في هذا الموضوع. كما أن ابن معصوم أورد خلال حديثه عن أنواع البديع شواهد شعرية بلغ عددها أكثر من اثني عشر ألف بيت حسبما أحصاها المحقق. ونرى إلى جانب ذلك الطرائف الأدبية والحوادث التاريخية ، وبذلك يكون الكتاب موسوعة أدبية كبيرة. فهذا يوصلنا إلى نتيجة مفادها:إما أن شاعرنا مؤلف هذا الكتاب بطبيعة الحال قد كان نابغا متفوقا لما اجتمع له من ظروف مغايرة لأجواء العصر العامة أو أن هناك كتبا مصدرية قيمة في رفوف المكتبات لم تحقق بعد كما جرى لكتابنا هذا في فترة طويلة إلى أن خرج إلى النور سنة ١٩٦٦م.

٣-سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر[٢] :وهو كتاب مهم يتحدث عن أعلام القرن الحادي عشر الهجري ، نحا ابن معصوم في تأليفه منحى «يتيمة الدهرفي محاسن أهل العصر » للثعالبي،و«دمية القصر وعصرة أهل العصر»للباخرزي،من كتب التراجم، إذيقول:«وكثيرا ما عنّ لي أن أجمع ديوانا يشتمل على محاسن أهل العصر ، أسلك فيه سبيل«يتيمة الدهر»، و«دمية القصر»،وغيرها من الكتب المقصورة على هذا الغرض»[٣].ويعدهذا الكتاب ذيلا لـ« ريحانة الأَلِبّا وزهرة الحياة الدنيا »للخفاجي[٤].وقد ملأ كتاب «سلافة العصر»فراغا كبيرا في هذا المجال لتقديمه لنا تراجم في العصر العثماني إلى جانب كتب التراجم الأخرى ، مثل«ريحانة الألبا»،و«نفحة الريحانة» ، و«خلاصة الأثر».

رتب ابن معصوم سلافته على خمسة أقسام هي ؛

١-في محاسن أهل الحرمين الشريفين .

---

(١) ابن معصوم ، أنوار الربيع،٦/٣٣٢.

(٢) طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٨هـ، وأعيد طبعه مرتين ، الأولى في قطر ، والثانية في إيران ، انظر ابن معصوم ،أنوار الربيع ، دراسة المحقق ،١/١٠.

(٣) ابن معصوم ، سلافة العصر ، ص٧.

(٤) انظر المصدر نفسه، ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-في محاسن أهل الشام ومصر ،ونواحيهما.

٣-في محاسن أهل اليمن .

٤-في محاسن أهل العجم ، والبحرين ، والعراق .

٥-في محاسن أهل المغرب[١].

وقد انتهى ابن معصوم من تأليف هذا الكتاب في سنة ١٠٨٢هـ على حد قوله [٢].وتعود أهمية «سلافة العصر» إلى جمع شاعرنا عدداً كبيراً من أعيان القرنين العاشر والحادي عشر الهجري من الأدباء والشعراء حيث يصل مجموع عددهم إلى ١٣٩علما. وقد تحدث ابن معصوم عنهم مشيرا إلى مكانتهم العلمية والأدبية. ونستطيع من خلاله أن نرى أدب تلك الحقبة ، حيث قدم لنا ابن معصوم في هذا الكتاب نماذج كثيرة من أشعار هؤلاء الأعلام إذ يقودنا هذا إلى أن نعد كتابه مختارات في الشعر العربي لتلك الحقبة من تاريخ الأدب العربي. وبعبارة أخرى، إن هذا الكتاب يضيء لنا حقبة من حقب الأدب العربي، كما أنه يعطينا معلومات عن تاريخ الحجاز والنشاط الثقافي المنتشر آنذاك .

ومن المآخذ التي يؤاخذ عليها ابن معصوم في « السلافة» هي ، ميله إلى المبالغة في مدح الأعلام ولجوؤه إلى زخرفة الأسلوب الذي يؤدي أحيانا إلى عدم الوضوح فيما يقصده، وضياع سلاسة جمله الطبيعية .

٤- سلوة الغريب وأسوة الأريب[٣]: تحدث شاعرنا في هذا الكتاب عن رحلته التي قام بها من الحجاز إلى الهند، متطرقا فيه إلى موضوعات تاريخية ، وجغرافية ،وأدبية حيث يعطي لنا وصفا تفصيليا عن الأماكن التي مربها الشاعر خلال رحلته [٤]،وتحدث شاعرنا عن تراجم بعض العلماء والأدباء والسلاطين مسجلا ما تركوا لنا من آثار نظما ونثرا ، كما جاء باستطرادات أدبية ذات مواضيع متنوعة،حيث يقول عن غرض تأليف الكتاب وتسميته:«فجهدت على أن لا

---

(١) انظر ابن معصوم ، سلافة العصر ، ص٩.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص٥٩٩.

(٣) وقدحققه شاكرهادي شكر، واعتمد في تحقيقه على النسخ الموجودة في العراق ، وقد أغفل النسخة الموجودة في مكتبة برلين تحت الرقم : ٦١٣٦-انظر BROCK,GAL 2/555 ، كما لم يشر إلى ذلك في مقدمة الكتاب. قام المحقق بنشره أول مرة في مجلة المورد العراقية عام ١٩٧٩-١٩٨٠م،فطبع الكتاب في سنة ١٩٨٨بتحقيقه أيضا ، وصدر في بيروت من بين منشورات مكتبة النهضة العربية .

(٤) انظر ابن معصوم ، سلوة الغريب، ص٤١،٤٧،٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أظفر بنكتة طريفة إلا نمقتها، أوفائدة ظريفة إلا علقتها، أو شعر فائق إلا كتبته ، أو نثر رائق إلا أثبته ... فاجتمع لدي من نخب اللطائف ما رَقّ وراق، واقتطفته النواظر من ثمرات الأوراق ، وانتخبته نتائج الأفكار ، وجنحت إليه جنوح المفرخ إلى الأوكار ... فأزمعت على أن أجمع ما وقع لي من ذلك رحلة.. سمتيها:« سلوة الغريب وأسوة الأريب»وفيها أقول:

رِحْلَتِي الْمشْتَهَاةُ تُزْرِي بِالرَّوْضِ عِنْدَ الْفَتى الْأَرِيبِ

فَإِنْ تَغَرَّبْتَ فَاصْطَحِبْهَا فَإِنَّهَا سُلْــوَةُ الْغَــرِيــبِ (١)

انتهى ابن معصوم من تأليف هذا الكتاب عام ١٠٧٥هـ على حد قوله(٢).وقدساهم بكتابه هذا في أدب الرحلة في الأدب العربي. ويعد هذا الكتاب من المصادر الأدبية لإيراده تراجم شخصيات أدبية، وإتيانه بنماذج من أشعارهم نظما ونثرا ، ويعطينا هذا الكتاب فكرة عن وضع الأدب العربي في الهند آنذاك ، وكان إلى جانب ذلك مصدرا مهما بالنسبة لحياة شاعرنا. أما بالنسبة لأسلوب الكتاب فنرى ابن معصوم قدمال فيه إلى الزخرفة سالكا فيه مسلكه الذي رأيناه في كتابه «سلافة العصر».

-في مجال العلوم الدينية :

١- الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة (٣) : يتحدث فيه شاعرنا عن أحوال الأعلام الذين بزغت نجومهم في الإمامية من الشيعة اعتبارا من صدر الإسلام إلى نهاية القرن العاشر الهجري. ويبدو أن شاعرنا رأى حاجة ملحة لتأليف كتاب يحتوي على أعيان الإمامية وعلى أعمالهم كما ينبغي أن يكون ، لأنه لم ير كتابا وافيا قام في هذا المجال كما يقول(٤).

راعى ابن معصوم في تأليفه هذا أن يأتي بأخبار من أعيان الشيعة في قالب الإيجاز، والإحكام مع التزامه بالأخبار الصحيحة بما يجب ذكره في محاسن كل إنسان مما يليق به من إحسان أو مكرمة ، وذلك بعد الإثبات والتحري في النقل(٥).

---

(١) ابن معصوم ، سلوة الغريب ، ص١٨-١٩.

(٢) المصدر نفسه ،ص٣٢٨.

(٣) وقد طبع هذا الكتاب في النجف بمطبعة الحيدرية في سنة ١٩٦٢م، وقدم له السيد محمد صادق بحر العلوم .

(٤) انظر ابن معصوم ، الدرجات الرفيعة ، ص٣.

(٥) انظر المصدر نفسه ، ص٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انقسم هذا الكتاب إلى اثنتي عشرة طبقة كما يذكرها ابن معصوم ، وهي ؛

١-الصحابة.

٢-التابعون.

٣- المحدثون الذين رووا عن الأئمة.

٤- العلماء من سائر المحدثين والمفسرين والفقهاء.

٥- الحكماء والمتكلمون.

٦- علماء العربية.

٧- السادة من الصفويين.

٨- الملوك والسلاطين .

٩- الأمراء.

١٠- الوزراء.

١١- الشعراء.

١٢- النساء[١].

ومن المؤسف اقتصار هذا الكتاب على الطبقة الأولى وشيء يسير من الطبقة الرابعة والحادية عشر، وبقية الطبقات المذكورة مخرومة ، ولا نعرف شيئا عن عاقبتها.

إن هذا الكتاب مهم بالنسبة إلى الإمامية وتبيان مذهب شاعرنا. ونرى أسلوبه في الكتاب الأسلوب نفسه في آثاره السابقة.

ب- الآثار المفقودة :

-في مجال العلوم اللغوية والأدبية:

١- الحدائق الندّية في شرح الرسالة الصمدية [٢] : تحدث عنه صاحب « روضات الجنات»، إذ يقول : «إنه في النحو لشيخنا البهائي، طويل الذيل حسن الفوائد ، لم يعمل مثله في عالم النحو ، وقد فصل فيه أقوال جميع النحاة من كتب كثيرة عربية »[٣].

---

(١) ابن معصوم ، الدرجات الرفيعة ، ص٤.

(٢) انتهى ابن معصوم من تأليفه سنة ١٠٧٩هـ.

(٣) الخوانساري ، روضات الجنات ، ٣٧٩/٤، والأمين ،أعيان الشيعة، ٣٩/٤١،والنجفي ،الغدير ، ٣٤٨/١١،وهدية العارفين، ٧٦٣/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- **الطراز في اللغة:** يقول الخوانساري عنه: « وقد كان مشتغلاً بتأليفه إلى يوم رحلته من الدنيا ، ولم يتمه بعد ، وقد خرج منه قريب من النصف»(١).

٣- موضع الرشاد في شرح الإرشاد في النحو (٢).

٤- المخلات في المحاضرات (٣) . في النحو.

٥-الزهرة في النحو (٤).

٦- رسالة في أغاليط الفيروز آبادي في القاموس(٥).

٧-ملحقات السلافة : مشحونة بكل أدب وظرافة (٦).

٨- رسالة في فن المعمى: ذكرها لنا ابن معصوم ويقول عنه« وقدذكرت جملة مقنعة في مستحسنات التصحيف في الرسالة التي ألفتها في المعمى ، فمن أراد ذلك فعليه به »(٧).

٩- محك القريض: يقول ابن معصوم عنه:« وقد أمليت كتابا لطيفا ، وديوانا ظريفا في مقاصد الشعر، ترجمته بـ:« محك القريض» ، أوردت فيه من مدح الشعر والشعراء ما فيه مقنع لمن كان منه بمرأىً ومسمع»(٨).

١٠- شرحان على الصمدية : المتوسط والصغير(٩).

---

(١) الخوانساري ، روضات الجنات ، ٣٧٩/٤ ، الأمين ، وأعيان الشيعة ، ٣٩/٤١، النجفي ، الغدير ، ٣٤٨/١١ ،وهدية العارفين١/٧٦٣، وأسعد طلس، «نفائس المخطوطات العربية »، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق ، المجلد ، ٢٢،١٩٤٧.

(٢) الأمين ، أعيان الشيعة ، ٣٩/٤١، والنجفي ، الغدير ، ٣٤٨/١١، وهدية العارفين ، ٧٦٣/١.

(٣) الخوانساري ، روضات الجنات ، ٣٨٠/٤، والأمين ، أعيان الشيعة ، ٤٠/٤١ ،و النجفي ،الغدير ، ٣٤٨/١١.

(٤) الأمين ، أعيان الشيعة، ٤٠/٤١ ، والنجفي ، الغدير ، ٣٤٨/١١ ، وهدية العارفين ، ٧٦٣/١.

(٥) الخوانساري ، روضات الجنات ، ٣٧٩/٤، والأمين ، أعيان الشيعة، ٣٩/٤١، والنجفي ، الغدير ، ٣٤٨/١١، وهدية العارفين، ٧٦٣/١.

(٦) النجفي ، الغدير ، ٣٤٨/١١.

(٧) ابن معصوم ، أنوار الربيع، ١٧٥/١.

(٨) المصدر نفسه، ١٨٥/١.

(٩) الخوانساري ، روضات الجنات ، ٣٧٩/٤، والنجفي ، الغدير ، ٣٤٨/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- في مجال العلوم الدينية:

١- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين : ألفه شاعرنا باسم السلطان حسين الصفوي ، من أحسن الشروح وأطولها، وقد جاء فيه بفوائد كثيرة مستفيدا من الكتب الكثيرة ، وصدر شرح كل دعاء على حدة بخطبة وديباجة[١].

٢- الكلم الطيب والغيث الصيب: ذكره الخوانساري وآخرون ، وهو مشتمل على أدعية مأثورة من النبي ﷺ وأهل البيت ، لم يكمله [٢].

٣- رسالة في المسلسلة بالآباء: شرح فيها الأحاديث الخمسة المسلسلة بآبائه، وانتهى من تأليفه عام ١١٠٩ هـ[٣].

٤- أحوال الصحابة والتابعين والعلماء: لم يكمله خرج منه مجلد في شطر من أحوال الصحابة [٤].

جـ- الآثار المفقودة مجهولة المضمون:

١- التذكرة في الفوائد النادرة [٥].

٢- حديقة العلم [٦]: يقول عنه صاحب ذخائر التراث العربي بأنه طبع في حيدر آباد عام ١٨٤٩م دون الإشارة إلى مضمونه.

٣- نفثة المصدور[٧].

---

(١) الخوانساري ، روضات الجنات ، ٤/٣٨٠، والأمين ، أعيان الشيعة ، ٣٩/٤١، والنجفي ، الغدير ، ٣٤٧/١١، وهدية العارفين ، ٧٦٣/١.

(٢) الخوانساري ، روضات الجنات ، ٤/٣٨٠،والأمين ، أعيان الشيعة ، ٣٩/٤١، النجفي ،الغدير ، ٣٤٨/١١، وهدية العارفين ، ٧٦٣/١.

(٣) النجفي، الغدير ، ٣٤٨/١١.

(٤) الأمين ، أعيان الشيعة ، ٣٩/٤١.

(٥) الأمين ، أعيان الشيعة ، ٣٩/٤١، والنجفي ، الغدير ، ٣٤٨/١١.

(٦) عبد الجبار عبد الرحمن ، ذخائر التراث العربي الإسلامي ، ط١، مطبعة جامعة البصرة ، بصرة ، ١٩٨١، ٢٤٥/١.-ويشار إليه بـ: عبد الجبار ، ذخائر التراث العربي.-

(٧) ابن معصوم ، أنوار الربيع ، ٣٤٣/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

شعره

دراسة فنونه

نظم ابن معصوم الشعر وهو لم يتجاوز سن الصبا، وقد تطرق إلى كثير من الموضوعات الشعرية المعروفة في الأدب العربي منذ العصور السابقة، فنظم في الغزل، والفخر، والمدح، والإخوانيات، والرثاء، والغربة والحنين إلى الوطن.

كان معظم شعره مرآة لأمور حياته الخاصة من خلال ما جادت به قريحته، ولهذا نستطيع أن نعد شعر ابن معصوم سفرا يؤرخ ما مر به من حوادث وما اعترضه من مواقف، وسجلا حافلا بمشاعره يعرض الفرح تارة والحزن تارة أخرى. فتنوعت أغراض قصائده وكثرت في موضوع، وقلت في آخر.

ولذلك سأستعرض ما جاء منها في شعره مرتبا إياها حسب أكثرها شيوعا في ديوانه باستثناء الفخر الذي جعلته قبل المديح بسبب امتزاج فخره بمديحه.

أولاً: الغزل

الغزل فن أصيل في الأدب العربي، وفي آداب الشعوب الأخرى، حيث احتل حيزاً كبيراً من التراث الشعري العربي، متغنياً بالمرأة منشدا باسمها، وجعلها الشعراء موضع الاستهلال في قصائدهم إلى جانب ما نظموه من القصائد الخاصة المستقلة بها[1].

يعبر الشعر الغزلي عن المشاعر والعواطف التي اعتملت بها نفس الشاعر، ولوعته هياماً ووجدا نحو من يحب، مترجما مشاعره الصادقة تجاه المحبوبة.

كان ابن معصوم من الشعراء الذين حفلت دواوينهم بالقصائد الغزلية، وقد تنوعت قصائد الغزل عنده، وتراوحت بين قصائد، ومقطوعات مستقلة، ومقدمات لقصائد غير غزلية ذوات موضوعات مختلفة.

---

(١) سامي الدهان، الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٥.-ويشار إليه بـ: الدهان، الغزل-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظم شاعرنا قصائده الغزلية بنوعيها الحسي والعذري، وتمثل غزله بالمرأة حبيبة له تارة، وغرضا له للتعبير من خلالها عن مشاعره تجاه خلانه، أو وطنه تارة أخرى. وجديربنا أن نفصل القول عن الغزل بنوعيه عند ابن معصوم لنرى مدى تمكنه منهما.

أ- الغزل الحسي:

وصف ابن معصوم المرأة في قصائده الغزلية وصفا حسيا ، فرسم لنا أعضاء جسمها، ومواطن الجمال فيها، مستمدا ذلك من بحر الصور والتشابيه والمعاني التي جادت بها قرائح الأقدمين من الشعراء كما سنراه لاحقا. فتحدث شاعرنا عن شعر المرأة، ووجهها، وعينيها، وأجفانها، وخدها،وشامتها، وخالها، وثغرها، وشفاهها، وأذنها، وقرطها، وجيدها، وخصرها، ومعصمها، وبنانها، وقدها، وقامتها. فجاءت الصورة واضحة المعالم بكل تفاصيلها ودقائقها.

يصور ابن معصوم شعر المرأة كاسفا للشمس إذا ما نثر لطوله وكثافته إذ يقول:

وَإِنْ نَشَرَتْ يَوْماً ذَوَائِبَ فَرْعِهَا ... فَمَا نَشَرَتْ إِلاّ ظَلاَماً عَلى شَمْسِ[1]

والوجه متصف عنده بالحسن الفائق الذي يخجل الشمس ويَبْهَرُها ، رغم بهورها لعيون البشر كقوله:

لَوْ بَاهَتِ الشَّمْسُ مِنْهُ الْوَجْهَ لاَنْبَهَرَتْ ... مِنْ نُورِهِ وَهْوَ بَاهِي الْحُسْنِ بَاهِرُهُ[2]

ويرى الوجه بدرا منيرا، أو أكثر حسنا من البدر كما يقول:

سَفَرَتْ أُمَيْمَةُ لَيْلَةَ النَّفْرِ ... كَالْبَدْرِ أَوْ أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ[3]

والجبين يصفه بالواضح الناصع كالبدر الوضاء مما يميز الفتاة من بين أترابها، ويزيدها جمالا وفتنة كمايقول:

مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ الْجَبِينِ كَأَنَّهَا ... قَمَرٌ يُنِيرُ مِنَ الْفُرُوعِ غَيَاهِبَا[4]

---

(١) الديوان ، ص٢٤٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢١٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٦٧.

(٤) المصدر نفسه،ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعيون في شعره هي العيون الوسنى، والشفاه نراها شفاها متصفة بتلك الميزة المحببة عند العرب وهي لمى الشفاه إذ يقول في العين والشفة:

أَمَا وَالشِّفَاهِ اللُّعْسِ(٥) وَالْأَعْيُنِ النُّعْسِ لَقَدْ جُبِلَتْ طَبْعاً عَلَى حُبِّهَا نَفْسِي (١)

أما الجفن الذي يتحدث عنه شاعرنا ، فهو الجفن المليء بالسحر لما فيه من وسن ونعاس، حيث يقول:

تَوَزَّعَ قَلْبِي بَيْنَ خَدٍّ مُضَـــرَّجٍ وَجَفْنٍ كَلِيلِ الطَّرْفِ بِالسِّحْرِ نَافِثِ(٢)

ويؤكد تلك الصفة بالجفون الناعسة المسبلة من غير نعاس، حيث يقول:

مَعَاطِفُهَا نَشْوَى وَمَا ذُقْنَ خَمْرَةً وَأَجْفَـانُهَا وَسْنَى وَهُنَّ يَقَـــاظُ(٣)

والخد يراه خداً محمراً كمالو نفر الدم منه. ويصف الشاعر الخد المتورد في الوجه الأبيض ذي الشامة التي تزيد من حسنه ، حيث يقول:

يَا لَبَيْضَاءَ زَانَتِ الْوَجْنَةَ الْحَمْـــ ... رَاءَ مِنْهَـــا بِالشَّـــامَةِ الْخَـضْرَاءِ (٤)

أما الخال الأسود فيشبهه بسويداء القلب التي اجتمع الحب فيها، وهذا يضفي جمالا على قلبه كما يضفي الخال حسناعلى الخد، إذ يقول:

كَأَنَّ اسْوِدَادَ الْخَالِ فِي صَحْنِ خَـدِّهَا لَهُ حُبُّهَا مِنْ حَبَّةِ الْقَلْـــبِ صَائِـغُ (٥)

ويصور الثغر وابتسامته بعد ترك العتاب كالدر المتلألئ كما يقول:

إِلَى أَنْ طَوَتْ نَشْرَ الْعِتَابِ وَأَقْبَـلَتْ تَبَسَّمُ عَنْ ثَغْرٍ هُوَ اللُّؤْلُؤُ الرَّطْـــبُ (٦)

ونرى الأذن والقرط عنده كالنجم اللامع، والجيد وعقده كالثريا في كبد السماء، كما يقول:

سَرَتْ مَوْهِناً وَالنَّجْمُ فِي أُذْنِهَـا قِرْطُ وَعِقْدُ الثُّرَيَّا فِي مُقَـلَّـــدِهَا سِـــمْطُ(٧)

---

(٥) جمع لعساء : سواد اللثة والشفة ،ابن منظور ،لسان العرب ٣٨٩/١٢.

(١) الديوان ، ، ص٢٤٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٦٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٧.

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٨٥.

(٦) المصدر نفسه ، ٦٨.

(٧) المصدر نفسه ، ص٢٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الخصر الذي يتغزل به ابن معصوم ، فهو الخصر الأهيف الذي لا تكاد تميزه لو لا ماعقد عليها من نطاق شده إلى ردفه حيث يقول:

هَيْفَاءُ لَوْلاَ عَقْدُ مِنْطَقِهـــــا (*) لَمْ يَسْتَقِلّ بِرِدْفِهَا الْخَصـــرُ (١)

ويتغنى شاعرنا بالمعصم والأنامل، ومن ذلك وصفه لأنامل جارية تعمل ساقية حين تدير الكؤوس ، إذ يصفها بالنحافة والنعومة . ويصف المعصم بالبض الذي لولا شد الأساور له لاندلق كما يقول:

يُدِيرُهَا بِبَنَانٍ كَادَ مِعْصَمُـهَا يَسِيلُ مِنْ تَرَفٍ لَوْلاَ أَسَـــاوِرُهُ (٢)

ومن حيث القوام والقد، فيصور المرأة ممشوقة تتمايل كغصن البان ، إذ يقول:

مُهَفْهَفَةُ الْقَوَامِ إِذَا تَثَنَّـــتْ ثَنَتْ قَدّاً تَفَـــرَّدَ بِالنَّضَـــارَةِ (٣)

ومما سبق تجتمع لنا أوصاف محبوبته الجسدية فهي ذات الشعر الأسود الطويل، والوجه البراق ذي البشرة اللامعة البيضاء ، والجبين الواسع الناصع البياض، والعيون الناعسة،والشفاه ذات اللمى، والخدود الموردة المزدانة بالشامة أو الخال، والثغر المبتسم ذي الشفاه الندية، والأذن ذات القرط، والجيد المتلفح بالطوق، وذلك لما يضفي كل منهما على صاحبه من حسن وجمال ، والخصر النحيف الدقيق، والمعصم البض، والأنامل الرقيقة الناعمة، والقوام اللين الممشوق.

صورة محبوبته بعدما رأينا من تفاصيلها يجملها لنا وصفا في شكل مكتمل فنراها شمس الضحى المنيرة التي تبدد ظلام الليل، وهي البدر الذي لا يغرب . ومن ثم يصف لنا رشاقتها وليونة جسمها حين يقول إن الغصن يتعلم منها أصول التمايل الذي يقاوم به الريح ، حيث يقول:

فَتَاةٌ هِيَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فِي الضُّحَى وَلَكِنَّهَا تَبْدُو إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَـــا

تَعَلَّمَ مِنْهَا الْغُصْنُ عَطْفَةَ قَدِّهَـــا وَمَا كَانَ أَحْرَى الْغُصْنَ أَنْ يَتَعَلَّمَا (٤)

ونراه مجملا الوصف في مكان آخر حين يصف المرأة المحبوبة بالظبي، وهو ظبي جعل المحبين عبيدا له بجماله ، إذ يقول:

وَبِمُهْجَتِي رَشَأٌ أَغَنَّ إِذَا جَفَـــا جَفَتِ الْعُيُونُ لِصَدِّهِ طِيبَ الْكَـــرَى

(*) المنطق : النطاق ، ابن منظور ، لسان العرب، ١٤/١٨٨.

(١) الديوان ، ص٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٠٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى قوله:

هَذَا الَّذِي جَعَلَ الْقُلُوبَ لِحُسْنِهِ رِقّاً وَمَا ابْتَاعَ الْقُلُوبَ وَلا اشْتَرَى[١]

ومما سبق نرى أن صفات محبوبته التي وردت في شعره إجمالا وتفصيلا ليست سوى تلك الأوصاف التي أطلقها أسلافه من الشعراء على محبوباتهم ، فلا نرى الحديث عن جمال الهنديات في شعره ، ولم يأت بأي وصف لهن ، هذا يقودنا إلى القول إن تغزله المستمر بالمرأة العربية ووصف جمالها وإن كانت غائبة عن عينيه عندما كان في الهند، فهي في داخله صورة لشيء آخر، لعلها صورة وطنه الذي كثر شوقه إليه .

أما أحوال محبوبته وأحواله معها فنراها في شعره واضحة، فحبه لجمالها، وأخبار الوصل والصد،والوفاء ،ومخالفة الوعد، والتدلل، والعتاب، والظلم، والصبر على الفراق، والاعتذار، والسعي في سبيل الحبيب، وترك كلام الواشين وعدم الإصغاء إليه.

يتحدث ابن معصوم عن جمال محبوبته، ويصف لنا لهفة نفسه لتلك التي تغار منها الشمس لحسنها وبهائها، ويقول إنه لا بأس من غبطة فهي خير من الحسد. ويتابع وصف محبوبته وجمالها حين يصف مقدمة شعرها والمتلألئة في غرتها، ورائحة المسك تنبعث مع حركات المشط بين خصلاته ،إذ يقول:

بِنَفْسِي فَتَاةٌ تَغْبِطُ الشَّمْسُ حُسْنَهَا وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحُسْنِ يُسْتَحْسَنُ الغَبْطُ

لَهَا طُرَّةٌ تَضْفُو عَلَى صُبْحِ غُرَّةٍ يُسَاقِطُ مِسْكاً مِنْ غَدَائِرِهَا الْمُشْطُ[٢]

وتطرق شاعرنا إلى وصل الحبيبة وصدها، فيرصد حبيبته تظهر حالتي الوصل والصد،فمحبوبته لا تلبث أن تسكن في موقع حتى تغيره، فحينا تدنيه منها وحينا تبعده. ويصف الشاعر ما فعلته به، فقد أطارت لبه من دون الخمر التي لم تصب منه شيئا، حيث يقول:

وَتُبْدِي حَالَتَيْ وَصْلٍ وَصَدٍّ فَتُحْيِي تَارَةً وَتُمِيتُ تَارَه.

سَكِرْتُ بِحُبِّهَا مِنْ قَبْلِ سُكْرِي وَمَا عَاقَرْتُ مِنْ دَنٍّ عُقَارَه[٣]

ويتحدث ابن معصوم عن إخلاف وعد حبيبته ، ويشكو منها، ويطلب من صاحبه أن يخبر هند–وهي محبوبته – أو رفيقاتها إن رآهن بأنها قدخالفت وعدا قطعته على نفسها حيث يقول:

---

(١) الديوان ، ص٢٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٦٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَإِنْ شَاهَدَتْ عَيْنَاكَ هِنْداً وَتِرْبَهَا فَقُلْ لَهُمَا تَاللّهِ أَخْلَفْتُمَا الْوَعْدَا[١]

ويصور لنا شاعرنا ابن معصوم عتاب الحبيب المزدان بالتدلل، إذ يقول:

وَغَداَ يُعَاتِبُنِي عِتَاباً زَانَهُ دَلٌّ بِلاَ هَجْرٍ وَلا إِفْحَاشِ[٢]

ويتحدث عن عتاب الحبيبة وتدللها بالإضافة إلى الاعتذار لها وطلب الصفح منها فأتت تعاجله بالعتاب واللوم ، فتطيب نفسه بذلك العتاب ويرى فيه زادا لنار الحب تقويه ، لا سيما حين يعتذر لها عما صدر عنه، ويقول إنها لو علمت الحقيقة لأنصفت ، حيث يقول:

فَوَافَتْ تُنَاجِينِي بِعَتْبٍ هُوَ الْمُنَى وَلَيْسَ يَلَذُّ الْحُبُّ مَالَمْ يَكُنْ عَتْبُ

فَمَا زِلْتُ أُبْدِي الْعُذْرَ أَسْأَلُهَا الرِّضَا وَقَدْ عَلِمَتْ لَوْ أَنْصَفَتْ لِمَنِ الذَّنْبُ[٣]

ومن ثم نراه يعتب على محبوبته لإخلافها في وعدها له، حيث يقول:

أَمَا كُنْتُمَا أَعْطَيْتُمَانِي مَوَاثِقاً بِأَنَّكُمَا لاَ تَنْقُضَانِ لَنَا عَهْدَا[٤]

ويتحدث عن ظلم الحبيب في أبيات يناجي بها من ملأت الدنيا فتنة بجمالها، وملكت عليه قلبه، ويرى أنها قد أجحفت في الحكم عليه حين أساءت الظن به وهو لم يرتكب ذنبا، ويعجب من طول صبره على الفراق والصد، حيث يقول:

يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ مَهْلاً قَدْ أَسَأْتِ بِنَا مَالِي عَلَى كُلِّ هَذَا الْبَيْنِ مُصْطَبَرُ

إلى قوله:

فَاقْضِي الَّذِي شِئْتِ مِنْ صَدٍّ وَمِنْ بُعَدٍ ذَنْبُ الْحَبِيبِ عَلَى الْحَالَيْنِ مُغْتَفَرُ[٥]

ويسعى ابن معصوم في سبيل حبه، ويسير إلى محبوبته كما يسير المسلم إلى الحج ناسكا، فهو يطلبها لروحه دون رغبة في الجسد، غير آبه باللائمين والعاذلين ، حيث يقول :

حَجَجْتُ إِلى دَاعِي الْغَرَامِ مُلَبِّياً وَلَمْ أَكُ فِي حَجِّي إِلَيْهِ بِرَافِثِ

---

(١) الديوان ، ص١٤٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص٦٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٤٨.

(٥) المصدر نفسه ، ص١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَلَمْ أَكْتَرِثْ فِي الْحُبِّ مِنْ لَوْمِ لاَئِمٍ وَلَكِنْ سَمَاعُ اللَّوْمِ إِحْدَى الْكَوَارِثِ[١]

ويريد ابن معصوم من حبيبته ألا تصغي إلى أقوال الواشين الذين استمعت إلى كلامهم الكاذب ، ونبأ نسيانه لها، ثم يحدثها عن حاله في الحب، فهو متميز بوفائه ولن تجد مثله في هذا التميز ، إذ يقول:

يُحَدِّثُهَا الْوَاشِي بِأَنِّي سَلَوْتُهَا لَقَدْ حَدَّثَ الْوَاشِي بِأَعْظَمِ حَادِثِ

وَمَا عَلِمَتْ أَنِّي تَفَرَّدْتُ فِي الْهَوَى فَأَنَّى لَهَا مِثْلِي بِثَانٍ وَثَالِثُ[٢]

ويتحدث ابن معصوم عن وداع حبيبته له حين اقتربت ساعة الفراق فيظهر على ملامحها الجزع والخوف من هذه اللحظة ، وليس حاله بأقل من حالتها فقد احترق وجدا ، وزاد ألما لرؤيته الدموع التي تساقطت على خدها، ويصور تلك الدموع بالدر الذي لا يجمعه أحد،إذ يقول:

فَقَامَتْ لِتَوْدِيعِي بِوَجْدٍ مَرُوعَةً وَلِلْوَجْدِ فِي جَنْبَيْ مِنْ لَوْعَةٍ فَرْطُ

وَأَذْرَتْ دُمُوعاً مِنْ لِحَاظٍ سَقِيمَةٍ هِيَ الدُّرُّ لِكنْ مَالِمَنْثُورِهِ لَقْطُ[٣]

يتحدث ابن معصوم في شعره عن مغامراته طالبا اللذة ، وهو شبيه في ذلك بما قام به امرؤ القيس،وعمر بن أبي ربيعة، فيصور مغامرته بأسلوب قصصي، فيبدأ بتسمية القبيلة التي يطرقها، وهي قبيلة سعد، ويحدد الوقت ليلا، ويصور نفسه وكأنه أسد مقدام لايهاب.وهو لا يعرف طريقه إلا عن طريق رائحة المسك التي تفوح من مجلس محبوبته، ويبقى كذلك إلى أن يدخل مخدعها طالبا الوصل مع المحبوبة، فتفزع من اقتحامه مخدعها، وتجري محادثة بينهما ، تقول فيها له إنه مقتول لا محالة، فيخبرها بأنه صريع حبها وصدها، ولذا فهو لا يخشى موت الحراب ، فتعجب بما يقول، وتقول له لا راد لك بعد هذا الإقدام ، ويستمر إلى أن يصف حالهما بعد هنيهات في عناق وضم وساعده وسادة وثيرة تتكئ عليها برأسها فينال من وصلها، كما يبدو في قوله:

وَلَقَدْ طَرَقْتُ الْحَيَّ مِنْ سَعْدٍ تَحْتَ الدُّجَى كَالْخَادِرِ الْوَرْدِ

---

(١) الديوان ، ص٩٧.

(١)المصدر نفسه ، ص٩٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى قوله:

لاَ أَهْتَدِي وَاللَّيْـلُ مُعْتَكِـرٌ ... إِلا بِنَشْرِ الْمِسْـكِ وَالنَّـدِّ
حَتَّى اقْتَحَمْتُ الْخِدْرَ مُجْتَرِئاً ... أُدْلِي بِقُرْبَى الْحُبِّ وَ الْـوُدِّ
فَتَنَبَّهَتْ مُرْتَاعَـةً فَزَعـاً ... رَيَّـا الْمُخَلْخَلِ طَفْلَةَ الْخَـدِّ
قَالَتْ مَنِ الْمَقْتُولُ قُلْتُ لَهَـا ... مَنْ قَدْ قَتَلْتِ بِلَوْعَـةِ الصَّـدِّ
قَالَتْ قَتِيلُ هَوَايَ قُلْتُ أَجَـلْ ... قَالَتْ أُجِلُّكَ عَنْ جَفَـا الـرَّدِّ
فَوَقَفْتُ مُهْرِي غَيْرَ مُرْتَقِـبٍ ... وَنَزَلْتُ مِنْ نَهْدٍ إِلَـى نَهْـدِ

إلى قوله:

ثُمَّ اعْتَنَقْنَا وَهْيَ مُغْضِيَـةٌ ... عَنِّي وَبَاتَ وِسَادُهَا زَنْـدِي[1]

وقد ورد في غزل ابن معصوم أسماء لمحبوباته وقد زاد عددها على تسعة أسماء، منها: أسماء،وظمياء، وليلى ،ومية، وهند وأشباههن[2].ويتحدث ابن معصوم عن علاقته بهن، والأيام التي قضاها معهن.وقد لا يصح اتخاذ هذه الأسماء دليلا على أنه قد تغزل بصاحبات هذه الأسماء،أو أحبهن فعلا، وأغلب الظن أنه قدتغزل بهن جريا على عادة الشعراء، إذ تغزلوا بأسماء خيالية وهميةكما أشار إلى ذلك صاحب العمدة بقوله «وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم، وتحلو في أفواههم، فهم كثيرا ما يأتون بها زورا: ليلى،وهند،وسلمى،ودعد،ولبنى ،وعفراء، وأروى،وريّا،وفاطمة،ومية،وعلوة،وعائشة،والرباب،وجمل،وزينب،ونعم،وأشباههن»[3].

ومن اللافت للنظر أيضا أن شاعرنا قد انتقل من الحجاز عام ستة وستين وألف للهجرة متوجها إلى الهند،- وكان عمره أربعة عشر عاما آنذاك- ولم يرجع اليها إلا بعد أن أمضى في الهند ما يزيد على خمسين عاما من عمره دون انقطاع كما ذكرناه في الفصل الأول.

ولذلك يصعب علينا أن نقرن علاقاته الغرامية فعلا بتلك الأسماء وبتلك الأماكن وهو صغير ما يزال في عهد نعومة أظفاره.

---

(١) الديوان ، ص١٤٥-١٤٦.

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص٣٧،٣٨،٩٠،١٤٨،٢٧٨.

(٣) أبو علي حسن بن رشيق القيرواني (ت:٤٥٦هـ) ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق: محمد قرقزان ، ط١، دار المعرفة ، بيروت،١٩٨٨ ، ٧٦١/٢ .- ويشار إليه بـ: ابن رشيق ، العمدة-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الغزل الحسي الفاحش:

ونرى عند ابن معصوم النوع الثاني من الغزل الحسي، وهو الذي يحتوي الفحش والمجون، وإن كان قليلا جدا. ويبدو هذا الاتجاه في بعض القصائد التي تغنى فيها بحبه ولذاته المادية، مضمنا إحدى القصائد أشطارا وأبياتا من قصيدة المتنبي التي مطلعها:

عَوَاذِلُ ذَاتَ الْخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مِنِّي لَمَاجِدُ [١]

وقصيدة شاعرنا هذه خير مثال لهذا النوع من الغزل ، إذ نراه يتحدث عن مغامرته مع إحدى العذارى، وكيف جرت أحوال تلك الليلة، وذلك بكلام فاحش وعبث لا يحتمل التأويل في غير معناه ،مطلعها:

بِنَفْسِيَ هَيْفَاءُ الْمَعَاطِفِ نَاهِدُ أُرَاوِدُهَا عَنْ نَفْسِهَا وَتُرَاوِدُ [٢]

جـ- الغزل العذري:

أما الاتجاه الثاني في الغزل عند ابن معصوم فهو الغزل العذري العفيف الذي يسكب به لواعج نفسه وشوقه، وما عانى من ضروب في هذا الحب السامي الذي طالما كثرت أشكاله في الشعر العربي، فنراه يلهج بالأماكن التي كان يلاقي بها تلك الحبيبة، فيتذكر الغوير[*] ونجد، وما كان له بها من ذكريات تثير نار الصب والهيام كما يقول:

تَذَكَّرَ وَ الذِكْرَى تُهِيجُ أُخَا الْوَجْدِ مَرَاتِعَ مَا بَيْنَ الْغُوَيْرِ إِلَى نَجْدِ [٣]

---

(١) المتنبي،أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت: ٣٥٤هـ) ، شرح ديوان المتنبي، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠/١/٣٩٠ .- ويشار إليه بـ: ديوان المتنبي.-

(٢) الديوان ، ص١٥١.انظر كذلك ص٢٦٢.

(*) الغوير : هو ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة (انظر : ياقوت بن عبدالله الحموي(ت:٦٢٦هـ)،معجم البلدان ، دار صادر -دار بيروت، بيروت ١٩٨٤/٤/٢٢٠ .-ويشار إليه بـ: معجم البلدان -).

(٣) الديوان ،ص١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر لنا اسم حبيبته سحيرا، ويصور مكان سكناها زرود(*)، بأنها أرض طيبة تنعش من يحل بها إذ يقول:

عَمْرَكَ اللّهَ هَلْ مَرَرْتَ سُحَيْراً بِزَرُودٍ فَزِدْتَ طِيباً وَبَرْداَ (١)

وخير قصيدة تمثل هذا الاتجاه العذري عنده هي قصيدة مطلعها:

لَوْ أَبَانَتْ حِجَابَهَا أَسْمَاءُ مَا أَبَانَتْ عَنْ غَيْرِهَا الْأَسْمَاءُ(٢)

ونرى فيها كل خصائص الغزل العذري، فهو لا يطلب الوصل الجسدي،وإنما الروحي ، ويستهزئ بمن يحاولون الوصل، ويخبرهم بعفتها ومنعتها، ومن ثم ينتقل إلى الموت ، فيصوره غاية في سبيل الوصول إليها فداء لها، أو قربانا لحبها، فما الموت في محراب هذا الحب سوى حياة أخرى، فنجد هذه المعاني في القصيدة كاملة ، ومنها:

عَقَلَ الْعَقْلُ كُنْهَهَا عَنْ وُصُولٍ فَأَقَرَّتْ بِعَجْزِهَا الْعُقَلاَءُ

وقوله:

يَدَّعِي وَصْلَهَا الْجَهُولُ وَحَاشَا أَنْ يَنَالَ الْمَصُونَ مِنْهَا ادِّعَاءُ

وقوله:

وَاتَّبِعْ سُبْلَ مَنْ دَعَتْهُمْ إِلَيْهَا رَغْبَةً لَمْ يَشُبْ صَفَاهَا رِيَاءُ

وَاقْضِ وَجْداً فِي حُبِّهَا تَحْيَ مَا شِئْـ..... ... تَ فَأَمْوَاتُ حُبِّهَا أَحْيَاءُ(٣)

يلاحظ مما تقدم أن الغزل قد شغل حيزا كبيرا في ديوان ابن معصوم ، بنوعيه الحسي الصريح،والعذري العفيف.وقد تحدث في الغزل الحسي مصورا جمال المرأة ومفاتنها ، فمحبوبته بيضاء،ذات الوجنة الحمراء، والشعر الأسود، والخصر الرقيق، وهي كالغزال ، والبدر المنير، والشمس المنيرة وما شابه ذلك.

يذكر ابن معصوم أسماء محبوباته طبقا لما وردت في قصائد سابقيه من الشعراء حيث تغزل بأسماء خيالية- فيما أحسب-مثل ظمياء،وأسماء ، وليلى ، وأشباههن، مصورا لنا حسنهن وبهاءهن بالمسحات الملائكية في جمالهن.

(*) زرود: هو رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة .(انظر: معجم البلدان ، ١٣٩/٣) .

(١) الديوان ، ص١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٨-٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتحدث ابن معصوم عن علاقته بالمرأة ،ويصور جوانب تلك العلاقة ،مثل وصل الحبيبة وصدها،ووفائها،وغدرها ، ومخالفة عهدها ، وتدللها وعتابها، وظلمها ، وصبر الشاعر على فراقها ، ويصور أحوال الواشين الذين حاولوا إثارة الفتنة لدى معشوقاته لإيقاع الخصومة بينهما.

وقد رأينا عند ابن معصوم الغزل الحسي الفاحش الماجن وإن كان نادر الوجود.ويبدو لنا أنه نظم هذا الشعر الفاحش وهو في أيام شبابه مجاريا ومقلدا من سبقه من الشعراء مثل امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة. لأن أسلوبه في هذه القصائد يختلف تماما عن سائر قصائده الغزلية التي اتسمت بالرقة والعذوبة وحلاوة اللفظ والمعنى . كما أن هناك دليلا آخر يشير إلى أن هذا المسلك ليس من مسلك شاعرنا ، حيث نرى أن محبوبته قد صدته حينا وقربته حينا آخر، ولكن هذا البعد والقرب لم يكن سوى اجتماع روحين، فهونافر من الجسد مبتعد عن الفحش، وهو متصف بالعفة والوقار، إذ يقول:

أَغْضَتْ وَأَرْضَتْ بِمَا أَهْوَى وَعِفَّتُنَا تَأْبَى لَنا مَأْثَماً فِي الْحُبِّ يُجْتَرَحُ[1]

أما الاتجاه الثاني الذي رصدناه في غزله فهو العذري العفيف . تحدث فيه ابن معصوم عن حبه ، وألمه ، وصبره ، وأشواقه من خلال ذكرياته التي قضاها مع معشوقاته في أصقاع الحجاز، كما تحدث عن تحول حبه المادي إلى الحب الروحي من خلال محبوبته أسماء، فغلبت عليه الوجدانية الروحانية.

مما سبق نصل إلى نتيجة تكون جوابا عن سؤال هو؛هل كان لابن معصوم حبيبة وحبيبات، وهل كان قوله خَيَا لأ صنعه إلهام شعره؟ وللإجابة عن ذلك علينا أن نتذكر بأنه لم يحب امرأة هندية، فهذا يقودنا إلى القول إن كل محبوباته من العرب وبنات الجزيرة تحديدا، لأنه في معظم قصائده يذكرهن بأسماء مناطقهن في الحجاز. وهو لم يعش في الحجاز أكثر من أربعة عشر عاما كانت في بداية عهده بالدنيا، ومن هنا لانجد متسعا لهذا الفتى الغر بأن يقوم بتلك المغامرات في الحب ، وقد يكون أحب واحدة أو اثنتين ، وهومن بيت طالما اتصف عبر الزمن بالعفة والأخلاق الكريمة محافظاً على علو نسبه . وبعد كل هذا تكونت لدينا صورة عامة عن حبه ،

(١) الديوان ، ص١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن بمراجعتنا لأحاسيسه في شعره نراه صادقا وفيا مخلصا في حبه ، وأغلب الظن أنه أحب أو عاش الحب في حياته الأولى، وإن ما ذكر من أسماء ليست سوى إخفاء لحقيقة اسم تلك المحبوبة ويدل على ذلك قوله :

وَفِي غَرَامِيَ سِرٌّ لا أَبُوحُ بِهِ وَلِلْمُحِبِّينَ أَسْرَارٌ خَفِيَّاتُ [١]

فهو يصرح بشكل واضح من خلال هذا البيت بأنه يكتم سرا لا يبوح به .

ثانيا: الفخر

الفخر من أقرب فنون الأدب إلى فطرة الإنسان ، لأنه صدى تطلع النفس إلى ذاتها، والتعبير عن الأنانية أشد النزعات فيها.والإنسان كما لا يخفى، سجين ذاته منذ الولادة، يديم النظرفي مرآتها، مستجليا محاسنها، ساترا قبائحها بما يجعلها في ميزانه دون قبائح الناس أجمعين، مقايسا فيما بينها وبين غيرها، وهذا الإيثار للنفس إذا تجسد في عبارات شعرية كان فخرا[٢].

لم يحتل الفخر مكانا كبيرا في شعر ابن معصوم ، فقد نظم قصيدتين فقط في هذا المجال، وله أبيات متفرقة جاءت في بعض ما نظم وعلى وجه الخصوص في مدائحه لأبيه.

اجتمعت لابن معصوم أسباب الفخر من كل النواحي، فهو من قوم سادوا الدنيا،ونسب يتصل بالنبي الكريم ، وحظوته بالمكانة الاجتماعية الرفيعة والسياسية [٣]، إلى جانب علمه الذي ملكه.

يفتخر ابن معصوم بقومه مباهيا بأمجادهم ، ومكارمهم، ومناقبهم ، فيقول إنهم بنوا المجد ، وكانوا شديدي البأس على عدوهم، وكريمي النفس واليد إذا ما أصابتهم النعمة، ويفتخر بوفائهم بالعهود، وصفحهم عن الذنوب والزلات، ويصفهم بالقساة إذا ما غضبوا، والنفس الطيبة إذا ما صبروا،فهم من ملكوا الدنا وحكموها وهم الأنجم على هذه الأرض حيث يقول:

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الأُلَى شَيَّدُوا الْعُلَى إِذَا نَقَمُوا ضَرُّوا وَإِنْ نَعُمُوا بَرُّوا
وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوا وَإِنْ أَوْعَدُوا عَفَوا وَإِنْ غَضِبُوا سَاؤُوا وَإِنْ حَلُمُوا سَرُّوا
هُمُ سَادَةُ الدُّنْيَا وَسَاسَةُ أَهْلِهَا وَهُمْ غُرَرُ الْعَلْيَا وَأَنْجُمُهَا الزُّهْرُ [٤]

ويفتخر بآبائه وأجداده بأنهم من آل البيت ، ويتصلون في نسبهم بالنبيﷺ،وعلي بن أبي

---

(١) الديوان ، ص٩٠.

(٢)حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ ، ص٥ .-ويشار إليه بـ: الفاخوري ،الفخر والحماسة-

(٣)انظر الفصل الأول من الرسالة،ص٢٤ .

(٤) الديوان ، ص٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طالب،والحسن والحسين ، وما ينضم تحت لوائهم ممن لهم المرتبة الأولى، والمكانة الرفيعة، والمآثر التي لا تمحى على مدى الزمان.لقد وصلوا إلى أعلى المراتب وأشرفها وأكرمها. ثم يقول: إن أولئك القوم هم آباؤه، فهل يستطيع أحد أن يأتي بنسب إليه أعز من هؤلاء القوم.

إِذَا عُدَّ مِنهُمْ أَحْمَدٌ وَابْنُ عَـمِّهِ ... وَعَمَّاهُ وَ ابْنَاهُ وَبَضْعَتُهُ الطُّهْـــرُ

وَعِتْرَتُهُ الْغُرُّ الْهُدَاةُ وَمَنْ لَهُـــمْ ... مَنَاقِبُ لاَ تَفْنَى وَإِنْ فَنِيَ الدَّهْـرُ

فَقَدْ أَحْرَزُوا دُونَ الْأَنَامِ مَفَاخِراً ... تَضِيقُ لِأَدْنَاهَا الْبَسِيطَةُ وَالْبَحْـــرُ

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِـــمْ ... إِذَا جَمَعَ الْأَقْيَالَ أَنْدِيَةٌ زُهْـــرُ (١)

ويفتخر الشاعر بأبيه فيكتفي به شرفا عاليا إذا ما انتسب إليه، ويقول هذا نظام الدين أبي فإن كان لسادة أن يفتخروا بآبائهم فأين لهم مثل أبي الذي أفتخر به حيث يقول:

حَسْبِي مِنَ الشَّرَفِ الْعُلَيَا أُرُومَتُهُ ... أَنْ أَنْتَمِي لِنِظَامِ الدِّينِ فِي حَسَبِي

هَذَا أَبِي حِينَ يُعْزَى سَيِّدٌ لِأَبٍ ... هَيْهَاتَ مَا لِلْوَرَى يَا دَهْرُ مِثْلُ أَبِي (٢)

وعندما يفتخر بوالده ونسبه يقول بأنه من نسب عظيم طاهر ألا وهو نسب الرسول الكريم ﷺ إذ يقول:

هَذَا نِظَامُ الدِّينِ وَابْنُ نِظَـــامِهِ ... نَسَبٌ يَؤُولُ إِلَى النَّبِيِّ الْأَطْهَرِ (٣)

ويفتخر بنسبه إلى آل هاشم ، وأنه ينتسب إلى صدر آل البيت.وانتسابه إلى آل هاشم يكفيه كي يكون في ذرى المجد وعلياء الفخر، حيث يقول :

عَلَى أَنَّنِي مِنْ هَاشِمٍ فِي صَمِيمِهَا ... وَحَسْبُكَ بَيْتاً فِي ذُرَى الْمَجْدِ سَامِيَا (٤)

ويفتخر ابن معصوم بنفسه بما يمتلك من مواقع الفخر، فنراه يقول إنه يمتلك ميزة وضاءة على جبين الدهر وكأنها شمس منيرة وتساندها مفاخر آل هاشم والرسول الكريم التي تضعه في مرتبة عالية من الشرف والفخر لايدانيه أحد:

وَلِي شِيمَةٌ فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ شَامَةٌ ... تُنِيرُ عَلَى رَغْمِ الصَّبَاحِ الدَّيَاجِيَا .

تُؤَازِرُهَا مِنْ هَاشِـــمٍ وَمُحَمَّـــدٍ ... مَفَاخِرُ لا تُبْقِي مِنَ الْفَخْرِ بَاقِيَـــا (٥)

---

(١) الديوان ، ص٢١٨ . الشطر الأول مضمن من بيت للفرزدق، وعجزه:« إذا جمعتنا يا جرير المجامع».(انظر : الفرزدق (ت:١١٤هـ) ، ديوان الفرزدق، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ ، ٤١٨/١ .-ويشار إليه بـ: ديوان الفرزدق-).

(٢) المصدر نفسه، ص٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٨٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفتخر شاعرنا بما وصل إليه من مجد لم يرق اليه أحد إلا وقضى النحب دونه، وبأنه حلية لعصره وهو لم يزد عمره على الثامنة والعشرين ، إذ يقول:

سَبَقْتُ إِلَى غَايَاتِ مَجْدٍ تَقَطَّعَتْ ... رِقَابُ أُنَاسٍ دُونَهَا مِنْ وَرَائِيَا

وَزِدْتُ عَلَى دَهْرِي وَسِنِّيَ لَمْ تَكُنْ ... تَزِيدُ عَلَى الْعِشْرِينَ إِلَّا ثَمَانِيَا[1]

ويفتخر ابن معصوم بشعره في قصيدة مدح فيها والده، ويراه مطرزا بأحلى الكلام وأجمله، كأنها عروس في ثوب زفافها وكامل زينتها،حيث يقول:

وَخُذْ إِلَيْكَ عَرُوساً طَالَمَا حُجِبَتْ ... زُفَّتْ إِلَيْكَ وَقَدْ صِيغَتْ مِنَ الدُّرَرِ[2]

ومن خلال ما تقدم تبين لنا أن ابن معصوم قد افتخر بقومه آباء وأجدادا،ونسبا ونفسا، وبذلك يكون قداشتمل نظمه على كل ما يطرق عادة من الفخر على الرغم من القلة التي أورثها لقارئيه في هذا الجانب.

ونرى لديه صدق المشاعر وقوة الانفعال، فقد التحم فخره بذاته حيث استعلى وتسامى فيه، ولم يكن يرى فيما يذهب إليه من استعلاء بالغريب أو المستهجن أو البعيد عن الحقيقة والصدق،بل يرى الحق له فيه، إذ كان نسبه أرقى الأنساب وأشرفها، وكذلك الأمر من حيث مكانته الاجتماعية، والسياسية ، والعلمية .فكان ذلك الفخر نتيجة حتمية لهذه المشاعر في داخل شاعرنا.

ولقد كان فخر ابن معصوم جاريا على درب الشعراء من أسلافه، إذ تقيد بموضوعات الفخر التقليدية كالفخر بالنسب، والقوم، والذات بالإضافة إلى الفخر بالشعر،فلم يأت بالجديد أو المتميز في فخره.

ثالثا: المديح

يعد فن المديح من الفنون الشعرية الرئيسية، ومصدر خصب للتراث الشعري في كل العصور الأدبية لأنه :« فن الثناء والإكبار والاحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري... إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء،وشجاعة القواد، وثقافة

---

(١) الديوان ، ص٤٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٩.انظر أيضا ،ص٥٨، ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلماء،فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف عن بعض الزوايا، وأضاف إلى التاريخ –صادقاً أو كاذبا–مالم يذكره التاريخ.»[١]، وهو كذلك ترنم الألسنة بالمزايا الحسنة، وذكر المحاسن، وإظهار المحبة نحو الممدوح.وبعبارة أخرى، فإن فن المديح تعداد للمزايا الجميلة والحسنة، وتصوير للسجايا الكريمة ، وإبراز للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك السجايا[٢]. إلا أن فن المديح لم يأت دائما في تعداد المزايا الجميلة الموجودة عند الممدوح ، بل جاء بوقا لدعاية الملوك والأمراء في كثير من الأحيان، وحفل بالمشاعر الكاذبة في مقابل المنفعة المادية بعيدا عن الإحساس الصادق،والوداد الخالص، والعواطف الحارة التي تدفئ القلوب بحرارتها. يقول المرزوقي في هذا الصدد:« إنهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة، وتوصلوا به إلى السّوَق كما توصلوا به إلى العِلية، وتعرضوا لأعراض الناس، فوصفهم اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريمَ عند تأخر صلته بصفة اللئيم، حتى قيل: الشعر أدنى مروّة السريّ، وأسرى مروّة الدنّي»[٣].لذلك تكمن قيمة المديح في صدق المعاني التي جاء بها الشاعر نحو الممدوح.

ومن هنا يقف أمامنا سؤال يتمثل في الاستفسار حول ما إذا كان ابن معصوم مداحا بالمفهوم الذي أتى به المرزوقي أم لا؟ إنه لم يكن شاعرا مداحا بهذا المفهوم، ولعل مكانة شاعرنا الاجتماعية حالت دون أن يكون مداحا متكسباً من مدحه ، إذ تحدثنا فيما مضى عن مكانته المتميزة في مجتمعه [٤]. وسوف أحاول رصد ذلك من خلال شعره ليظهر مدى صحة ما أذهب إليه.

لقداحتل فن المديح في ديوان شاعرنا حيزا كبيرا إلى جانب الأغراض الشعرية الأخرى،حيث عبر في مدائحه عن مشاعره وعواطفه التي نبعت من أعماق قلبه –كما سنرى–تجاه النبي ﷺ،ووالده ، وإخوانه ، وأصدقائه إذ أظهر فيها محامدهم، ومفاخرهم كما نشر فيها طراز محاسنهم، ناثرا لآلئ أوصافهم في المجالس والمحافل.

---

(١) سامي الدهان ، المديح ، دار المعارف ، مصر ، بلا تاريخ ، ص٥.ويشار إليه بـ: الدهان ، المديح–

(٢) أحمد أبو حاقة ، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ط١،دار الشرق الجديد، بيروت، ١٩٦٢، ص٥.–ويشار إليه بـ: أبو حاقة ،فن المديح–

(٣) أبو علي أحمدبن محمد الحسن المرزوقي (ت: ٤٢١هـ) ، شرح ديوان الحماسة،تحقيق :أحمد أمين –عبد السلام هارون ، ط١، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١،١/١٦–١٧ .– ويشار إليه بـ: المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة–.

(٤)انظر الفصل الأول من الرسالة،ص٢٦–٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد تمحورت قصائده في المديح حول موضوعين أساسيين :

أولاً: المديح النبوي الذي يدور حول الثناء على شخصية الرسولﷺ وذكر مآثره ومحاسنه.

ثانيا: المدائح العامة التي دارت حول شخصية والد ابن معصوم وإخوته ، والسلطان حسين الصفوي، وأصدقائه.

أ-المديح النبوي:

تعد المدائح النبوية لوناً من ألوان التعبير عن المشاعر الروحية والدينية،وباباً من الأدب الرفيع، لأنها لا تنبع إلا عن قلوب مليئة بالصدق ، والإخلاص[1].

كثر المديح النبوي في ديوان ابن معصوم، إذ نظم من القصائد المطولة إحدى عشرة قصيدة بما فيها بديعيته. تفردت منها قصيدتان بالدخول في المدح مباشرة، وإحدى هاتين القصيدتين جاءت لوصف نعل الرسولﷺ فقط، أما القصائد الأخرى فقد أتت متشابهة ومتقاربة الشكل من حيث الاستهلال ،وما طرقه من مواضيع إضافة إلى مدح الرسول ﷺ.ولذلك فضلنا الأخذ بقصيدة نموذجية من بين هذه القصائد لنستجلي ما أتى بها .

القصيدة النموذجية التي اخترناها تقع في واحد وسبعين بيتا، يستهلها بالوقوف على الأطلال،يتذكر فيها رشأ بالحمى واشتعال نار الشوق والحنين إلى نجد فلا وجه للمقارنة بين الهند ونجد،فنجد تعلوها وتسمو عليها، ولا نرى في هذا وقوفا على الرسوم الدارسة،بل تذكراً للمكان وجماله ، إذ يقول:

تَذَكَّرَ بِالْحِمَـى رَشَأً أَغَنَّا ... وَهَاجَ لَهُ الْهَوَى طَرَباً فَغَنَّى

وَحَنَّ فُؤَادُهُ شَـوْقاً لِنَجْدٍ ... وَأَيْنَ الِهنْدُ مِنْ نَجْـدٍ وَأَنَّى[2]

ينتقل بعد ذلك إلى النسيب فيقول إن له في نجد حبيبة ممشوقة في قوامها لا ينازعها أحد في تمايلها، وقد أحبها وهام بها من دون إكراه، ولكن سهام عيونها رمته فقتلته،فصار صريعا لهواها ،

---

(١) زكي مبارك ، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الكتاب العربي، القاهرة، بلا تاريخ ،ص١٧.- ويشار إليه بـ: مبارك ،ا لمدائح النبوية-.

(٢) الديوان ، ص٤٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقلبه راح يظهر هذا الحب تارة،ويخفيه تارة أخرى، حيث يقول:

فَكَمْ لِي فِي رُبَاهُ قَضِيبَ حُسْـــنٍ ... تَفَرَّدَ بِالمَلاَحَةِ إِذْ تَثَنَّـــــى
كَلِفْتُ بِهِ وَمَا كُلِّـفْتُ فَرْضـــاً ... فَأَوْجَبَ طَرْفُهُ قَتْلِي وَسَنَّـــا
وَأَبْدَى حُبُّهُ قَلْبِـي وَأَخْفَـــــى ... فَصَرَّحَ بِالْهَوَى شَوْقاً وَكَنَّـــى [1]

ومن ثم نراه يباشر بمدح الرسولﷺ فيصفه بأنه إمام الأنبياء، وأفضل الأنام ، وبقدومه أصاب السرور الإنس والجن.وهو لكثرة ماله من صفات تقربه من الكمال، حاز أعلى المراتب وأرفعها حين يقول:

إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَيْرُ مَـوْلًى ... بِهِ سَعِدَ الْوَرَى إِنْساً وَجِنَّـــا
رَقَى بِكَمَالِهِ رُتَبَ الْمَعَالِي ... وَحَلَّ مِنَ الْعُلَى سَهْلاً وَحَـزْنَا [2]

ثم نراه ينتقل إلى ذكر مَنَاقِبِهِ فيقول إنه خاتم الأنبياء وصاحب البر والتقوى،وأنه خلع على الأديم نوراً،وأزاح عنه الظلام. ويصور الأرض تفتخر بمولده، ولو أردنا أن نقارن بينه وبين النجم،فإن النجم أدنى بكثير من مقامه، ومهما تقلبت الليالي فسيبقى منيرا لها، ويرى أنه لن يستطيع أحد أن يصل إلى وصفه بالكمال، حيث يقول:

خِتَامُ جَمِيعِ رُسْلِ اللّهِ حَقَّـــاً ... وَمَبْدَأُ كُلِّ إِحْسَانٍ وَحُسْـنَـى
بِمَوْلِدِهِ أَضَاءَ الْكَوْنَ نُـــوراً ... وَأَشْرَقَ فِي الْبَسِيطَةِ كُلَّ مَغْنَـى
وَفَاخَرَتِ السَّمَاءُ الْأَرْضَ لَمَّا ... غَدَتْ بِقُدُومِهِ السَّامِي تُهَنَّـــى
فَخَارٌ لاَ يُسَاوِيـــهِ فَخَـــارٌ ... مَنَاطُ النَّجْمِ مِنْ أَدْنَـاهُ أَدْنَـــى
تَبِيدُ لَهُ اللَّيَالِي وَهْـوَ بَـــاقٍ ... وَيَفْنَى الْوَاصِفُونَ وَلَيْسَ يَفْنَـــى [3]

ونراه بعد ذلك يتحدث عن معجزات النبي ﷺ، فيذكر أكبر معجزاته وأجلها ألا وهي القرآن الكريم الخالد الباقي الذي لم يستطع أحد المجيئ بمثله،أو بمعارضته إلى أن يقول إن هذه المعجزة تتفرد بدوامها على البسيطة بين البشر، يرونها تتألق وتزداد إعجازا بينما ذهبت معجزات الأنبياء ممن سبقوه، حيث يقول:

لِمُعْجِزِهِ أَقَرَّ الضِّدُّ عَجْـــزاً ... وَظَلَّتْ عِنْدَهُ الفُصَـــحَاءُ لُكْنَا

---

(١) الديوان ، ص٤٣٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٣٨.

(٣)المصدر نفسه، ص٤٣٨-٤٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى قوله:

وَزَالَتْ مُعْجِزَاتُ الرُّسْلِ مَعْهُمْ وَمُعْجِزُ أَحْمَدٍ يَزْدَادُ حُسْنَا (١)

ويذكر معجزة الإسراء والمعراج، وهي المعجزة التي خص الله بها الرسول ﷺيقول:

وَصَيَّرَهُ حَبِيباً ثُمَّ أَسْرَى بِهِ لَيْلاً فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَى (٢)

ومن ثم ينتقل إلى الحديث عن مساعدته للناس إجابة لكل سائل،فهو النبيﷺالذي مد يده بكل الخير، وزاد في الإحسان على ماطلبه الناس منه. وهوﷺ موصوف بأجمل الأوصاف بشهود تشير إليه بالثناء والكرم ، إذ يقول:

وَرَامُوا مِنْهُ إِحْسَاناً وَفَضْلاً فَأَوْسَعَهُمْ بِنَائِلِهِ وَأَغْنَى

وَكَمْ لِلْهَاشِمِيِّ جَمِيلِ وَصْفٍ عَلَيْهِ خَنَاصِرُ الْأَشْهَادِ تُثْنِي (٣)

ثم نراه ينتقل إلى التشفع بالرسول ﷺ ،طالبا أن يطلق سراحه من أسر وقع فيه، ويطلب النصر منه على عدوه الذي كان قد أكرمه ابن معصوم ، ولكنه انقلب عليه وأسره، وهو يطلب الشفاعة من الرسول ﷺ للتخلص مما أصابه ، إذ يقول:

أَرُومُ فِكَاكَ أَسْرِي مِنْ زَمَانٍ عَلِقْتُ بِكَفِّهِ الشَّلَّاءِ رَهْنَا

وَ أَرْجُو النَّصْرَ مِنْكَ عَلَى عَدُوٍ مَتَى اسْتَقْبَلْتَهُ قَلَبَ الْمِجَنَّا

رَكَنْتُ إِلَيْكَ فِي أَسْرِي وَنَصْرِي وَحَسْبِي جَاهُكَ الْمَأْمُولُ رُكْنَا (٤)

ويطلب الشفاعة عن طريق الرسول ﷺ ويتمنى أن يسعفه يوم الحشر وأن يكون وسيطه ونصيره لكي يدخل الفردوس،إذ يقول:

وَجُدْ لِي بِالشَّفَاعَةِ يَوْمَ حَشْرِي وَأَسْكِنِيَ مِنَ الْجَنَّاتِ عَدْنَا (٥)

وينتهي بالصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه كل ما غنى طير أو شدا عصفور بلحن وذلك في قوله:

عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا تَغَنَّى حَمَامُ الْأَيْكِ فِي فَنَنٍ وَحَنَّا

---

(١) الديوان ، ص٤٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وآلِكَ وَالصَّحَابَةِ خَيْـرِ آلٍ وَصَحْبٍ مَا شَدَا شَادٍ وَغَنَّى [١]

ومن خلال هذه القصيدة نرى صورة المدائح النبوية لدى ابن معصوم، فهي قد اشتملت على الوقوف على الأطلال، والغزل، والإشادة بالرسولﷺ، وذكر محاسنه، والحديث عن مناقبه ومآثره، والصفات التي أطلقت عليه مثل إمام الأنبياء،وخير مولى، كما جاء في هذه المدائح الكلام عن مولده، ومعجزاته مثل الحديث عن القرآن، والإسراء والمعراج،ومن ثم التشفع به، والتوسل والحديث عن شفاعته له عند الله، ثم انتهت القصيدة بالصلاة على الرسول ﷺ وآله وصحبه.

لم يخرج ابن معصوم في مديحه النبوي عن نطاق المضامين التي رسمها وحددها شعراء المدائح النبوية قبله. ونص العلماء أن الغزل الذي يستهل به المديح النبوي، «يجب على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل، ويتشبب مطربا بذكر سلع، ورامة ، وسفح العقيق، والعذيب، والغوير ،ولعلع ،وأكناف حاجر،ويطرح ذكر محاسن المرد،والتغزل في ثقل الردف، ودقة الخصر،وبياض الساق،وحمرة الخد،وخضرة العذار، وماشابه ذلك»[٢].

رأينا في المدائح النبوية عند ابن معصوم جميع الخصائص التي ذكرت آنفا،إذ ذكر أسماء الأماكن في الحجاز مثل طيبة[*]،ورامة[*٢]،والحمى ، والغضا[*٣] ،ونجد وتغزل بالمرأة ذات الخد الأحمر،والقوام اللين، والخصر الدقيق،وثقيل الردف كما يقول:

مُوَرَّدُ الْخَدِ لَدْنُ الْقَدِّ ذُو هَيَفٍ خَفِيفُ رُوحٍ ثَقِيلُ الرِّدْفِ رَاجِحُهُ[٣]

ويلاحظ من خلال مدائحه النبوية أنه استخدم الصفات والتشبيهات التقليدية في وصف النبي ﷺ،مثل سيد الكونين،وسيد الخلق، وسيد البر،والسيد الأمجد، وخير محمود،وخير قريش، وخير الورى،وخيرالبرية، وأشرف البرايا،وخاتم رسل الله،ورسول الهدى،وأشرف الرسل،وإمام الأنبياء ،و المرجى ، والشهيد، والشفيع ، والأشرف ، والأسعد ، والملجأ ،

---

(١) الديوان ، ص٤٤٠.

(٢) ابن حجة الحموي (ت:٨٣٧هـ) ،خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شعيتو ، ط٢ ، دار الهلال ،بيروت،١٩٩١ ، ٣٦/١-٣٧ -ويشار إليه بـ: ابن حجة ،خزانة الأدب-

(*) طيبة : وهي اسم مدينة رسول الله ﷺ.(انظر :معجم البلدان ، ٥٣/٤).

(*٢) رامة: هي منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ، وهي آخر بلاد بني تميم .(انظر :معجم البلدان ، ١٨/٣).

(*٣) الغضا: هي أرض في ديار بني كلاب ، أيضا هي واد بنجد، أيضا هي من شجر البادية يشبه الأثل، وهو من أجمل الوقود وأبقاه نارا (انظر: معجم البلدان ، ٢٠٥/٤).

(٣) الديوان ، ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمقصد،والمجتبى،والمختار،والمبعوث،والبر،والبحر،وبحر الندى،وكاشف الضر،ومروي الصدى، ومبيد العدى[١].

كما رأينا في مدائحه النبوية المعاني المتكررة التي أتى بها أسلافه من الشعراء، مثل البوصيري[*]،وصفي الدين الحلي.ولم يضف أي جديد إلى معاني سابقيه.

وهناك نوع من المدائح النبوية ظهر في العصور المتأخرة، واتخذ قالبا واحدا ثابتاً،فاقتصر على البحر البسيط،وروي الميم،وعلى استعراض الشاعر لفنون البديع في ثنايا ألفاظ ترصع موضوعها في مدح الرسول ﷺ وهي التي تسمى«البديعيات»[٢].وانطلاقا من هذه القاعدة سنتحدث عن البديعية التي نظمها ابن معصوم في مدح الرسول ﷺ .

نظم ابن معصوم بديعية في مدح الرسول ﷺ ، و نرى في عدد أبياتها اختلافا،فجاءت في الديوان مائة وأربعة وخمسين بيتا،بينما جاءت في «أنوار الربيع»[٣] مائة وتسعة وأربعين بيتا. وهذا الرقم يخالف ما قاله ابن معصوم في مقدمة الكتاب من أن عدد أبيات بديعيته مائة وسبعة وأربعون بيتا[٤]، أي ينقصها بيتان.وقد ذكر ابن معصوم في بديعيته مائة وخمسين نوعا من أنواع البديع، إلا أنه لم ينظم بيتا على نوع «الجمع مع التفريق والتقسيم»[٠٢][٥].أما الأنواع التي لم ترد في أنوار الربيع وجاءت في الديوان فهي خمسة أنواع،هي:الجناس المشوش[٠٣]،والعدول إلى أسلوب الحكيم[٠٤]،والاحتباك[٠٥]،واتصال النتائج[٠٦]،وإحضار الشيء في الذهن [٠٧].ونرى نوع

(١) انظر الديوان ، ص٨٣،١٠٩،١١٢،١٣٥،١٧١،٣٣٧،٣٦٥،٣٨٥،٣٩١،٤٣٧.

(*) هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري المصري، ولد في بهشيم عام ٦٠٨هـ،شاعر ،حسن الديباجة،مليح المعاني. اشتهر بقصيدته البردة في مدح النبي ﷺ ، توفي بالإسكندرية في٦٩٦هـ .(الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت:٧٦٤)،الوافي بالوفيات، باعتناء س.ديدرينغ ،المطبعة الهاشمية، دمشق،١٩٥٣،٣/١٠٥-١١١.-ويشار إليه بـ:الوافي بالوفيات).

(٢)بكري شيخ أمين،مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني،ط٤ ،دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٦،ص٢٦٩.-ويشار إليه بـ:بكري ، مطالعات،وانظر للمزيد: علي أبو زيد ،البديعيات في الأدب العربي، ط١،عالم الكتب ،بيروت، ١٩٨٣،ص٤٦.-ويشار إليه بـ: البديعيات-

(٣) انظر في وصفه الفصل الأول من الرسالة،ص٤٦.

(٤) انظر ابن معصوم ، أنوار الربيع، ١/٣٣.

(٠٢*) وهو أن يجمع المتكلم متعدداً تحت أمر، ثم يفرق،ثم يضيف إلى كل ما يناسبه(المصدر نفسه،١/١٧٦).

(٥) انظرالمصدر نفسه ، ٥ /١٧٦.

(٠٣*) هو إذا كان كل تجنيس تجاذبه طرفان فلايمكن إطلاق اسم أحدهما عليه ، فهو المسمى بالمشوش. (أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٩٨٤، ٢/٨٩-٩٠.-ويشار إليه بـ: معجم المصطلحات البلاغية).

(٠٤*) لم أتوصل إلى معرفته.

(٠٥*) هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه (معجم المصطلحات البلاغية ، ١/٥٦).

(٠٦*) لم أتوصل إلى معرفته.

(٠٧*)لم أتوصل إلى معرفته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«التوزيع»(*)في «أنوار الربيع»حل محله نوع «التقييد بحرف الياء» في الديوان.وبذلك يبلغ عدد الأبيات مائة وأربعة وخمسين بيتا، بينما عدد الأنواع يصل إلى مائة وخمسة وخمسين نوعا.

وضمن ابن معصوم هذه القصيدة أنواع البديع مع ذكر كل نوع باسمه في كل بيت منها. واستعان في بديعيته ببديعيات سابقيه، مثل بديعية صفي الدين الحلي،وعز الدين الموصلي،وابن حجة الحموي،وقام بمقارنة بديعيته ببديعيات هؤلاء.وكنا نريد أن نسهب القول في المقارنة، إلا أن مجال بحثنا لا يتسع إلى هذه المقارنة.

أما بالنسبة لتسمية بديعية ابن معصوم ، فلم نر في مؤلفاته أي اسم يدعى بها. وكل ما وجدناه هو اسم شرح البديعية«أنوار الربيع في أنواع البديع». وقدأطلق أبو زيد على هذه البديعية «تقديم علي »(١)، ولكنه لا يشير إطلاقا إلى المصدر الذي اعتمد عليه في تحديد اسم البديعية .

وتحدث ابن معصوم عن سبب نظم بديعيته ، فيصرح أنه عندما كان يمعن النظر في بديعية ابن حجة وشرحها أتته إشارة فرحت لها نفسه، وكانت عبارة عن مطلع بديعيته،ويقول إنها إشارة من الرسول ﷺ، فاستطابت نفسه لها.وأكمل القصيدة في اثنتي عشرة ليلة (٢).

ونرى أثر البوصيري و ناظمي البديعيات السابقة في بديعية شاعرنا . يذكر البوصيري مناسبة نظم بردته، وهي أن البوصيري أصابه فالج أبطل نصفه، فنظم هذه القصيدة مستشفعا بها إلى الله تعالى وطالبا منه العافية. فرأى في منامه الرسول ﷺ يمسح وجهه بيده المباركة ملقيا عليه بردته، فانتبه وإذا به سالما معافى (٣). كما نرى سببا مشابها في مناسبة نظم بديعية صفي الدين الحلي(٤)،أما ابن معصوم فإنه لم ير في منامه الرسول ﷺ، إلا أنه يقول بأنه تلقى من النبي ﷺ إشارة استبشارية لنظم هذه البديعية وهو في حالة يقظة.ولعله أراد أن يجد له مبررا قويا في

(*) هو أن يوزع المتكلم حرفا من حروف الهجاء في كل لفظة من كلامه نظما كان أو نثرا بشرط عدم التكلف .(معجم المصطلحات البلاغية،٢/٣٩٠).

(١) البديعيات ،ص١٢٣.

(٢) انظر :ابن معصوم ، أنوار الربيع ،١/٢٨-٣٣.

(٣) محمود علي مكي ، المدائح النبوية ، ط١،لونجمان ، مصر ،١٩٩١،ص١١٢.-ويشار إليه بـ: مكي ، المدائح النبوية-

(٤) انظر :بكري ، مطالعات ، ص٣٦٨.وانظر : الوافي بالوفيات،٣/١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظم بديعيته.

استهل ابن معصوم بديعيته بقوله:

حُسْنُ ابْتِدَائِي بِذِكْرِي جِيرَةِ الْحرَمِ لَهُ بَرَاعَةُ شَوْقٍ تَسْتَهِلُّ دَمِي[1]

وهو يقف في أولها على الأطلال والرسوم الدارسة،ثم ينتقل إلى شوقه للأحبة،ومن ثم يتحدث عن أحوال الواشين الذين يحاولون تعكير علاقته مع أحبته،ومن ثم ينتقل إلى شكواه عن اللوعة والحزن.ونراه بعد ذلك ينتقل إلى وصف الحبيب وحال حبه، متطرقا مرة أخرى إلى حديث الوشاة والرد عليهم وهجائه للحساد، ثم يتحدث عن حبه،ولوعته،وصبابته. وتنتهي المقدمة بالعتاب الذي يكيله لنفسه.

يبدأ ابن معصوم بعد المقدمة الغزلية بمدح الرسول ﷺواصفا مكارمه وفضائله، وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن معجزاته وسنته، ووجوب عدم الردة، والعودة من جديد للحديث عن معجزات الرسول ﷺ فيتحدث عن القرآن الكريم ، والإسراء والمعراج، ومن ثم يعاود وصف شيم الرسول ﷺ وأخلاقه كما يتحدث عن المعارك التي اشترك بها الرسول ﷺ مثل غزوة بدر وغزوة أحد.ومن ثم يتحدث عن كيفية مدحه وسببه موضحا عدم الرياء فيه، فهو في غاية الصدق. ثم ينتقل إلى مدح أهل البيت، ويتحدث عن مبدأ العصمة، ويقوم بوصف محاسنهم ، ويخص عليا بن أبي طالب بالمديح. ويفتخر بآل البيت وانتمائه إليهم، كما يذكر صحابة الرسول ﷺ ويمدحهم .ومن ثم يتحدث عن بديعيته ووزنها،وينتقل بعد ذلك إلى المناجاة، وطلب الشفاعة منه. وينهي ابن معصوم بديعيته بالعودة إلى مدح الرسول ﷺ ، إذ يقول:

بَانُوا فَهَانَ دَمِي عِنْدِي فَهَا نَدَمِي عَلَى مُلَفَّقِ صَبْرِي بَعْدَ بُعْدِهِمِ
كَمْ عَاذِلٍ عَادِلٍ عَنْهم يُصَحِّفُ لِي مَاحَرَّفَتْهُ وُشَاةُ الظُّلْمِ وَالظُّلَمِ
ظَنُّوا سُلُوّيَ إِذْ ضَنُّوا فَمَا لَفَظُوا بِذِكْرِ أُنْسٍ مَضَى لِلقَلْبِ فِي أَضَمِ
لَفِّي وَنَشْرِي انْتِهَائِي مَبْدَأِي شَغَفِي مَعْهُمْ لَدَيْهِمْ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ بِهِمِ
تَهَكُّماً قُلْتُ لِلْوَاشِينَ لِي بِهِمِ لَقَدْ هُدِيْتُم لِفَصْلِ الْقَوْلِ وَالْحِكَمِ

(١) الديوان ، ص٣٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هَجَوْتُ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ الْحَسُودَ لَهُمْ ... فَقُلْتُ إِنَّكَ ذُو صَبْرٍ عَلى السَّدَمِ

عَاتَبْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ الشَّيْبُ أَنْذَرَنِي ... وَأَنْتِ يَا نَفْسُ عَنْهُ الْيَوْمَ فِي صَمَمِ

مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْهَادِي الْبَشِيرُ بْنُ ... عَبْدِاللّهِ فَخْرُ نِزَارٍ بِاطِّرَادِهِمِ

أَوْصَافُهُ انْسَجَمَتْ لِلذَّاكِرِينَ لَهَا ... فِي هَلْ أَتَى فِي سَبَا فِي نُونَ وَالْقَلَمِ

تَلْمِيحُهُ كَمْ شَفَى فِي الْخَلْقِ مِنْ عِلَلٍ ... وَمَا لِعِيسَى يَدٌ فِيهَا فَلاتَهِمِ

نَفَى بِإِيجَابِهِ عَنَّا وَسُنَّتِهِ ... جَهْلاً نَضِلُّ بِهِ عَنْ وَاضِحِ اللَّقَمِ

وَلارُجُوعَ لِغَاوِي نَهَجَ مِلَّتَهُ ... بَلى بِإِرْشَادِهِ الْكَشَّافِ لِلْغُمَمِ

رَدَّتْ بِمُعْجِزِهِ مِنْ غَيْرِ تَوْرِيَةٍ ... لَهُ الْغَزَالَةُ تَعْدُو نَحْوَ أُفْقِهِمِ

وَقَصْدُ إِحْضَارِهِ فِي الذِّهْنِ لاَحَ لَنَا ... لَمَّا سَرَى فَيَؤُمُّ الرُّسْلَ مِنْ أُمَمِ

تَهْذِيبُ فِطْرَتِهِ أَغْنَاهُ عَنْ أَدَبٍ ... فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ

كَفَاهُ نَصْراً عَلى تَصْرِيعِ جَيْشِهِمْ ... رُعْبٌ تُرَاعُ لَهُ الْآسَادُ فِي الْأَجَمِ

لَمْ تُبْقِ بَدْرٌ لَهُمْ بَدْراً وَفِي أُحُدٍ ... لَمْ يَبْقَ مِنْ أَحَدٍ عِنْدَ اشْتِقَاقِهِمِ

مَا أَوْغَلَ الْفِكْرُ فِي قَوْلٍ لِمِدحَتِهِ ... إِلاّ وَجَاءَ بِعِقْدٍ غَيْرَ مُنْفَصِمِ

وَآلُهُ الطَّاهِرُونَ الْمُجْتَبَوْنَ أَتَى ... فِي هَلْ أَتَى ظَاهِراً تَنْكِيتُ فَضْلِهِمِ

هُمْ عِصْمَةٌ لِلْوَرَى تُرْجَى النَّجَاةُ بِهِمْ ... يَافَوْزَ مَنْ زَانَهُ حُسْنُ اتِّبَاعِهِمِ

قُلْ فِي عَلِيٍّ أَمِيرِ النَّحْلِ غُرَّتُهُمْ ... مَا شِئْتَ وَفْقَ اتِّسَاعِ الْمَدْحِ وَاحْتَكِمِ

اَلْحَمْدُ لِلّهِ حَمْداً دَائِماً أَبَداً ... عَلى مُوَارَدَتِي قَوْمِي بِحُبِّهِمِ

وَصَحْبُهُ الْأَوْفِيَاءُ الْأَصْفِيَاءُ أَتَى ... تَضْمِينُ مُزْدَوَجِ مَدْحِي لِجَمْعِهِمِ

تَأَلَّفَ اللَّفْظُ وَالْوَزْنُ الْبَسِيطُ لَهُ ... فَاطْرَبْ لَهُ مِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ مُنْسَجِمِ

أَدْمَجْتُ مَدْحَكَ وَالْأَيَّامُ عَابِسَةٌ ... وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يُرْجَى لَدَى الْأَزَمِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَمَنْ يُسَاوِيكَ فِي فَضْلٍ وَمَكْرُمَةٍ وَأَنْتَ أَفْضَلُ خَلْقِ اللّهِ كُلِّهِـــــمِ[١]

رأينا في بديعية ابن معصوم أثر البوصيري في كثير من المواقع من حيث المضمون والشكل. ويلاحظ أن ابن معصوم لم يكثر من ذكر أماكن الحجاز حيث جاء بثلاثة أسماء فقط وهي مكة، وبدر،وأحد مخالفا في ذلك ما رأيناه في مدائحه النبوية الأخرى.

* * *

ومدح ابن معصوم آل البيت في بضع قصائد تمثل فيها آل البيت في شخصية أبي طالب عم النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب، وابنيه الحسن والحسين .

مدح ابن معصوم أبا طالب معتبرا إياه ناصرا للنبي ﷺ، فقد قام بمساعدته ليكبر موقعه،ويقف على قدميه في دعوته، ويستطيع مواجهة المشركين ليقدر له بعد ذلك إزاحة ما كان قد عم من ظلام على الأرض بنور الإسلام[٢].

ونجد ثلاث قصائد في ديوان ابن معصوم يمدح بها عليا بن أبي طالب واصفا مفاخره ومحاسنه،ويعده خير الأنام بعد النبي ﷺ وصاحب المراتب العليا، وجامع أسباب الفخر، فهو عضد للرسول ﷺ وزوج ابنته،وحافظ أسراره وأحواله، وساعده الأيمن ، والمؤتمن من قبل النبي ﷺ ، حيث يقول:

خَيْرِ الْوَرَى بَعْدَ الرَّسُولِ وَمَنْ حَازَ الْعُلَى بِمَجَامِعِ الْفَـخْرِ

صِنْوِ النَّبِيِّ وَزَوْجِ بَضْعَتِـــــهِ وَأَمِينِهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْـــرِ[٣]

ويقول في مكان آخر عن علي بأنه شعلة من النور تضيء في درب الدين الحق.ويستمر في مدحه حين يناديه بلقبه أمير المؤمنين الذي يقوم حارسا للدين وأصوله ونظامه ، ويصفه بحجة الله التي لا يخبو نورها، ويصوره صبحا وضاء مشعا ، إذ يقول:

إِنَّ عَلِيّا بْنَ أَبِي طَالِـبٍ مَنَارُ دِينِ الْحَقِّ لا يُطْمَـسُ

إلى قوله:

هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّـذِي شَرَائِعُ اللّهِ بِهِ تُحْـــــرَسُ

---

(١) الديوان ، ص٣٦٥-٣٨٤.

(٢) انظر الديوان ، ص٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَحُجَّةُ اللّهِ الَّتِي نُورُهَـــا كَالصُّبْحِ لا يَخْفَى وَلا يُلْبَسُ [١]

ويمدحه وابنيه الحسن والحسين من خلال قصيدة يمدح بها النبي ﷺ ،ويصفه بالوصي من بعد الرسول الكريم ﷺ ، وفيه اجتمعت الصفات المثلى للخلافة كما يقول.وينتقل بعد ذلك إلى مدح الحسن والحسين ، ويعدّهم أنوار الهدى وعقدة الحبل التي نتمسك بها ولا تنفك ، ويدعوبعد ذلك إلى التقرب منهم وحبهم، وهو مما يزيد في الأجر، فحب آل الرسول ﷺفرض على المسلمين لا مندوحة عنه ،إذ يقول:

عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَصِـيُّهُ إِلَيْهِ انْتَهَى كُلُّ النُّهَى وَالتَّكَـرُّمُ

إلى قوله:

وَأَبْنَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْجُمُ الْهُدَى هُمُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تَفْصَمُ

مَوَدَّتُهُمْ أَجْرُ النُّبُوَّةِ فِي الْوَرَى وَحُبُّهُمُ فَرْضٌ عَلَيْنَـــا مُحَتَّـــمُ [٢]

هذه القصائد تنبعث منها عواطف حارة،ومشاعر صادقة،نبعت من قلب مفعم بالحب الخالص تجاه الرسول ﷺوأهل بيته. ويلاحظ أن شعراء الشيعة أو الذين مالوا إليها خصصوا بعض قصائدهم لمدح الرسول ﷺ، وأهل بيته منطقين فيها عواطفهم ومشاعرهم الحارة. ولعل أكثر الشعراء ارتباطا بشخصية الرسول ﷺ واستلهاماً لها هم شعراء الشيعة،وذلك لعدهم الخلافة حقا لأهل بيت الرسول ﷺ، واعتبارهم الأمويين والعباسيين مغتصبين للخلافة، وكان إلى جانب ذلك حدث مقتل الحسين سبط الرسول ﷺ الذي ألهب العواطف، وأثار مشاعر المسلمين في كل مكان [٣].إذا درسنا شعراء الشيعة، فإننا نرى في شعرهم شيوع العواطف الصادقة، والمشاعر الحية التي تحرك قلوب الجميع [٤].وعلى سبيل المثال ،فإننا عندما نقرأ ما نظمه الشريف الرضي عن الحسين نجد صدق ما قيل في هذا الموضوع،حيث يشير إلى انسجام الحادثة مع اسم المكان الذي وقعت فيه، فكربلاء المدينة كرب وبلاء على آل

---

(١) الدوان، ٢٣٦.

(٢)المصدر نفسه ، ص٣٨٨-٣٨٩.

(٣) مكي ،المدائح النبوية، ص٦٠.

(٤) انظر جواد شبر، أدب الطف، ط١، مؤسسة الأعلى ، القاهرة، ١٩٦٩.- ويشار إليه بـ: شبر،أدب الطف- وكذلك عبد الحسيب طه حميدة، وأدب الشيعة ،ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩.- ويشار إليه بـ: حميدة ، أدب الشيعة-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسولﷺ.ويناجي تلك المدينة ويقول لها كم من دماء أرقْتِ على سفحك، وكم من أنهار دموع تدفقت فوق تربتك على من فقد، إذ يقول:

كَرْبَلاَ لا زِلْتِ كَرْباً وَبَـــلاَ ... مَا لَقِيَ عِنْدَكِ آلُ الْمُصْطَفَـــىَ

كَمْ عَلَىَ تُرْبِكِ لَمَّا صُـــرِّعُوا ... مِنْ دَمٍ سَالَ وَمِنْ دَمْعٍ جَرَىَ[1]

لكن هذا لا يعني بأن الشعراء غير الشيعة لم يشعروا بما شعرت به الشيعة من أحاسيس،بل شعروا ونظموا ما يترجم مشاعرهم هذه سواء كان في مدح النبي ﷺ أوفي حق الحسين رضي الله عنه.

إذن فمن الطبيعي أن يخصص ابن معصوم قسطا كبيرا من أشعاره لمدح الرسول ﷺ وآل بيته، وليس انتماؤه إلى أهل البيت واعتناقه مذهب الإمامية سوى زيادة في تأكيد عدم تكلفه. فنثر مشاعره الصادقة الحارة في هذا الباب من شعره كما رأينا.

ب- المديح العام:

وأما المديح العام عند ابن معصوم ، فقد قاله يمدح والده ، وأخاه ، وأصدقاءه، والسلطان حسين الصفوي.

نظم ابن معصوم في مدح والده تسع قصائد مطولة ،برزت فيها مشاعره الصادقة ، وجاء فيها بمعان متصلة بالعهد والوفاء والمودة، وقد صدر هذا المدح عن إعجاب خالص لا يساوره أدنى شك .

يقول ابن معصوم إن الكلمات تعجز عن أدائها في مدح والده، فلا الشعر ولا النثر والخطب قادرة على إيفائه حقه في المدح، فهو نجدة لمن استنجد به ، وحام لمن دخل في حماه، ومنقذ من الموت في حال الزلات عند البشر، ويقول فيه:

---

(١) الشريف الرضي(ت:٤٠٦هـ) ، ديوان الشريف الرضي ، تقديم : إحسان عباس ، دار صادر ،بيروت ،١٩٩٤، ١/٤٤ .- ويشار إليه بـ: ديوان الشريف الرضي -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَفْنَى ٱلْمقَالُ وَلا تَفْنَى مَدَائِحُهُ نَظْماً وَنَثْراً مِنَ ٱلْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ
لاَ زَالَ غَوْثاً لِمَلْهُوفٍ وَمُعْتَصَماً لِخَائِفٍ وَنَجَاةَ الهَالِكِ ٱلْعَطِبِ[1]

ويمدحه في مكان آخر واصفا إياه بالصبور المتأني الذي يكون ساعة الجد قويا شديدا حازما ، ويصوره بالإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، في ما له من الأخلاق التي تتمثل في الصبر والحلم ، إذ يقول:

يَجْلُو لَنَا مِنْ حِلْمِهِ فِي حَزْمِهِ أَخْلاَقَ أَحْمَدَ فِي بَسَالَةِ حَيْدَرِ[2]

ويشيد بوالده في ما يتحلى به من الكرم والمجد وعلو الهمة ورجاحة العقل التي ترضي من لا يرضى، وتفقه من لا يفقه. ويصور مكرمات والده شموسا يتفيأ الناس بظلالها أينما كانوا ، حيث يقول:

بِسُوحِ نِظَامِ الدِّينِ وَابْنِ نِظَامِهِ كَرِيمٌ بِهِ مَدَّتْ يَدُ ٱلْمَجْدِ بَاعَهَا
هُمَامٌ إِلَيْهِ الدَّهْرُ أَلْقَى زِمَامَهُ إِذَا عُصِيَ ٱلْأَقْوَامُ كَانَ مُطَاعَهَا
أَنَارَتْ شُمُوسُ ٱلْمَكْرُمَاتِ بِأُفْقِهِ فَأَلْقَتْ عَلَى كُلِّ ٱلْأَنَامِ شُعَاعَهَا[3]

ويتحدث عن الصفات التي يتحلى بها والده، ويقول:إنه سمع هذه الصفات على ألسن الناس، كما رآها بنفسه من لدن أبيه ، فغنم بها إذ وقع عليها بنفسه ومن غيره ، حيث يقول:

شَهِدْتُ فِيكَ سَجَايَا قَدْ سَمِعْتُ بِهَا فَفُزْتُ مِنْهَا بِمِلْءِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ[4]

* * *

ومدح ابن معصوم أخاه محمد يحيى في عدة قصائد ومقطوعات متفرقة،عبر فيها عن مشاعره الخالصة نحوه، فيقول: إن أخاه قد كان له السند والعضد،وكان من أصحاب المعالي يطلب منه العون ، وكان أنيسه ومفرج كروبه في غربته. ويصفه بالكرم والفضل الذي يشهد له به الناس، ويرى أن أعظم رابط بينهما هو رباط الأخوة ، ويؤكد ذلك ،إذ يقول:

هُوَ عَوْنِي عَلَى الْعُلَى وَرَجَائِي حَبَّذَا الْعَوْنُ فِي الْعُلَى وَ الرَّجَاءُ

---

(١) الديوان ، ص٥١.
(٢) المصدر نفسه ، ص١٨٢.
(٣) المصدر نفسه ، ص٢٧٢.
(٤) المصدر نفسه، ص١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَهْوَ أُنْسِي فِـي وَحْشَتِي وَسُرُورِي ... فِي هُمُومِي وَدِيمَتِي [*] الْوَطْـفَاءُ [*٢]

شَمَلَ الْخَلْقَ فَضْـــلُهُ فَأَقَـــرَّتْ ... بِنَدَاهُ الْأَمْـــوَاتُ وَ الْأَحْيَـــاءُ

فَبِيَحْيَى لاَ يَبْرَحُ الْفَضْلُ يَحْيَـــا ... وَالْمَعَالِي بِهِ لَهُـــنَّ اعْتِـــلاَءُ

أَحْكَمَ الْوُدُّ مِنْهُ عَقْدَ إِخَائِـــي ... هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْإِخَـــاءُ [١]

وقد بدا لنا من شعره هذا مدى صدق العاطفة التي انسكبت على ألفاظ تفجرت من قرارة نفسه، فلم يكن هذا السيل من المشاعر المسبوكة بالكلمات وسيلة أو غاية منتهاها المال أو المصلحة، بل الأخوة كما رأينا.

* * *

ونجد في شعر ابن معصوم مدحه لأصدقائه من العلماء والأدباء الذين استوطنوا الهند في ظل والده خاصة. وكان من بين ممدوحيه عفيف الدين الثقفي[*٣]،وجمال الدين النجفي [*٤]، وعلي بن محمد الكربلائي[*٥] ،ويتسم مدحه لهؤلاء الأصدقاء من العلماء بالصدق والإخلاص.

يصف ابن معصوم عفيف الدين الثقفي بالبدر طلعة، وعلو الشمس مكانة وفضلا. ويصور أعماله ساطعة كسطوعها في رايات عالية، ومقامات مجده رفيعة،وكرمه أصيل فيه منذ الصغر ، حيث يقول:

سلامٌ عَلَى بَدْرٍ لَهُ السَّعْدُ مَطْلَعُ ... وَشَمْسٍ سَنَاهَا بِالْمَنَاقِبِ يَسْطَـــعُ

عَلَى غُرَّةِ الْعَلْيَا عَلَى هَامَةِ الْعُلَى ... عَلَى مَنْ لَهُ الْمَجْدُ الْمُؤَثَّلُ أَجْمَـــعُ

عَلَى مَنْ حَوَى دَرَّ الْمَكَارِمِ يَافِعاً ... عَلَى مَنْ أَوَى حِجْرَ الْعُلَى وَهْوَ يُرْضَعُ [٢]

(*) الديمة هي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، ، ابن منظور ، لسان العرب، ٤٤٦/٤ .

(*٢) الوطفاء مخصب كثير الخير، المصدر نفسه ، ٣٣٨/١٥.

(١) الديوان ، ص٣٦.

(*٣) عفيف الدين عبد الله بن الحسين الثقفي ، يكنى أبا ناصر ، كان نقيب النجف في القرن الحادي عشر الهجري، وكان شاعرا كاتبا، بينه وبين ابن معصوم مكاتبات ومجاوبات نثرا وشعرا .(الأمين ،أعيان الشيعة، ٩٢/٣٨) .

(*٤) هو الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله النجفي المالكي ، من أدباء القرن الحادي عشر الهجري ، من مستوطني الهند، دارت المراسلات بينه وبين ابن معصوم .(ابن معصوم ،سلافة العصر ، ص٥٤٦) .

(*٥) هو السيد علي بن محمد الكربلائي الموسوي ، يكنى أبا الحسين ، أحد أدباء كربلاء في القرن الحادي عشر الهجري، ولد في سنة ١٠٩٤هـ .كان يراسل ابن معصوم .(الأمين ، أعيان الشيعة، ٣٣/٤٢).

(٢) الديوان ، ص٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نرى عندما يمدح ابن معصوم جمال الدين النجفي تلك العذوبة والرقة التي برزت في مدحه، ويبدو صدق العاطفة جليا في مدحه ،إذ يصفه بالصدق والإخاء .ويصور الحب الأخوي متمكنا متجذرا في قلبه، ويدعو له بالسلام من الله ، من نفس محبة مليئة بالإخلاص، إذ يقول:

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الصَّادِقُ الوُدِّ فِي الْوَرَى ... وَمَنْ حُبُّهُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ رَاسِخُ

لَكَ الْكَلِمَاتُ الغُرُّ وَ الْمَنْطِقُ الذي ... أَقَرَّ لَهُ بِالْفَضْلِ قَارٍ وَنَاسِخُ

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ مَاحَنَّ مُغْرَمٌ ... وَمَا دَوَّخَ الْأَحْشَاءَ لِلشَّوْقِ دَايِخُ [1]

كما أبرز ابن معصوم عواطفه الصادقة حين مدح الكربلائي واصفا إياه بالماجد الفطن صاحب المرتبة العالية ، الذائع الصيت بمحامده ، وهو صاحب الفضل والكرم المنثور من يده كالمطر حين ينهمل من السماء، وهو صاحب الأدب، والتأدب الذي ارتقى أعلى المراتب التي كان يتمنى وصولها من قبله الكثيرون، ولكنهم عجزوا عن ذلك ،فجمع أسباب الرفعة فتى، وكانت له صفات حميدة لم تحوها نفس بشرية من قبل، حيث يقول:

اَلْمَاجِدُ النَّدُسُ [*] السَّامِي بِرُتْبَتِهِ ... أَبُو الْحُسَيْنِ السَّرِيُّ الصَّارِمُ الذَّكَرُ

اَلْمُوسَوِيُّ الَّذِي وَاَسَتْ مَكَارِمُهُ ... عُفَاتِهِ وَهَمَى مِنْ كَفِّهِ الْمَطَرُ

مُهَذَّبٌ نَالَ مِنْ أَسْنَى الْعُلَى رُتَباً ... قَدْ رَامَهَا قَبْلَهُ قَوْمٌ فَمَا قَدَرُوا

فَضَمَّ شَمْلَ الْمَعَالِي يَافِعاً وَحَوَى ... مِنَ الْمَحَامِدِ مَالَمْ يَحْوِهِ بَشَرُ [2]

* * *

نجد في شعر ابن معصوم مدحا للسلطان حسين الصفوي، فقدنظم قصيدتين في مدح الشاه لاجئا إلى المبالغة والإطراء حيث يصفه بصاحب الطالع الحسن، ويدعو له بالعون والسداد في أمور الدولة ،ويقول فيه إن اسمه قد سما توقا لمن يسمعه، ويصوره وكأنه قد أضحى قبلة للناظرين ،حيث يقول:

---

(١) الديوان ، ص١٣٢.

(*) ندس: فهم ، سريع السمع فطن ،ابن منظور، لسان العرب، ٩١/١٤.

(٢) الديوان ص،١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَسْعُودُ طَالِعُهُ لازَالَ يُسْعِدُكَ التَّدْبِيرُ وَالْقَدَرُ

أَنْتَ الَّذِي بِاسْمِهِ السَّامِي وَطَلْعَتِهِ نَالَ الْمُنَى الْمُدْرِكَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ [١]

ويشيد به في رعايته الحركة الثقافية ، ومن ذلك إنشاؤه المدرسة في أصفهان . وقد بالغ ابن معصوم في مدحه ، فوصفه بالذي لا تطيب الدنيا من دونه، ولا يحلو الزمان إلا به ، إذ يقول:

سُلْطَانُ شَاهِ حُسَيْنِ الْمَلِكُ الَّذِي طَابَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَطَابَ زَمَانُهَا

فَغَدَتْ تُنَافِسُهَا السَّمَاوَاتُ الْعُلَى إِذْ زَاحَمَتْ أَفْلاكَهَا أَرْكَانُهَا [٢]

يلاحظ أن ابن معصوم استخدم المبالغة في مدح الشاه حيث لا تشير المعاني التي أتى بها ابن معصوم إلى حقيقته ، كما لا تظهر لنا حقيقة شخصية الشاه. إذن هل نستطيع أن نستشف دليلا من هذا المديح على أن شاعرنا نظمه للتكسب أو التقرب منه؟. وللإجابة عن هذا السؤال نقول إن شاعرنا لم ينظم شعرالمديح للحصول على المال أوالتكسب الفردي، بل نظمه إعجابا بالأعمال العظيمة والتعبير عنها. لأن أساس هذا الاتجاه الإعجاب بالفضيلة،وبمن يتحلى بها من الناس، والإسهام في ترسيخ المثل العليا بين العامة، والدعوة للتمسك بها، وتوجيه الإنسان نحو العلاء في الأخلاق، ولم يكن هدف هذا الشعر الكسب الفردي، بل الإصلاح الاجتماعي،والتعبير الصادق عن اهتزاز الضمير أمام الأعمال العظيمة الجميلة [٣] ، فهو لم يكن بحاجة إلى المال،أو الرغبة في الوصول إلى المناصب لدى الشاه حسين ، لأنه عندما وفد إلى إيران كان في أيامه الأخيرة، وفي أثنائها نظم هذا الشعر، غير أنه أمضى جل حياته في مناصب عالية ومهمة في الهند كما سبق ذكره.وقد يكون الدافع الذي دفعه إلى نظم هذه القصائد، إلى جانب ما ذكرناه من إعجاب بالأعمال العظيمة الخيرة الممدوحة، اعتناقه مذهب الإمامية ، ولكون الدولة الصفوية- القائمة في إيران آنذاك -ممثلة للشيعة ومقدمة لها الدعم الأكبر لترسيخها بين الناس.

نتوصل مما قدمناه إلى أن فن المديح انقسم إلى قسمين عند شاعرنا؛ المديح النبوي وأهل البيت، والمديح العام الذي جاء في حق والده، وأخيه، وأصدقائه من العلماء الأدباء، والشاه

(١)الديوان ، ص١٧٥.

(٢)المصدر نفسه ،ص٤٦٤.

(٣)أبو حاقة،فن المديح،ص١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسين الصفوي.

لقد اقتصر مديحه على نثر مفاخر الرسول ﷺ ، وأهل البيت ، واحتل حيزا كبيرا بين القصائد الأخرى في المديح ، معبرا فيها عن مشاعره الصادقة النابعة من قلب مفعم بالحب الحقيقي كحب العاشق للمعشوق، تأثر بأسلافه من الشعراء من حيث المضمون والشكل، ولم يقدم لنا شيئا جديدا.

أما في مديحه العام، فقدرأيناه يتحدث عن مشاعره وعواطفه الصادقة، وإن لجأ أحيانا إلى أسلوب المبالغة في وصف ممدوحيه ، إلا أن ثناءه عليهم في هذه القصائد تميز بسهولة اللفظ والرقة إلى جانب المعاني الجميلة، مظهرا فيها أحاسيسه كما هي في داخله دون أي عناء أو جهد ، مجتنبا في ذلك التكلف والتصنع، مبتعدا عن أن تكون مدائحه وسيلة للكسب المادي، أولجلب منفعة شخصية ، وقد كان مستغنيا عن ذلك، لأن الأسباب التي اجتمعت له من الجاه والغنى أبعدته عن هذا النوع من المديح.

إذن كان مفهوم المديح عند شاعرنا تعبيراً صادقاً عما هو في داخله لمن يتحلى بالأخلاق الكريمة، والقيم الإنسانية، ولم يكن المديح عنده بالمفهوم الذي أشارإليه المرزوقي كما سبق.

ومن اللافت للنظر أنه لم يمدح أحدا من السلاطين سوى الشاه حسين الصفوي، وذلك كما أشرنا إليه سابقا لم يكن لغرض معين إلا تعبيرا عن الإشادة بالأعمال الخيرة. ونرى القصائد في المديح عنده قد استهلت بالمقدمات التقليدية الغزلية والطللية واقفا على الديار على نهج الشعراء السابقين دون تجديد أو خروج عن المألوف.

رابعاً:الإخوانيات

تطرق الشعراء إلى هذا الفن الشعري في العصور السابقة، ونظموا القصائد مصورين العلاقات الأخوية والاجتماعية التي تربط بين الشعراء وإخوانهم، وأقاربهم، وأصدقائهم، وأحبائهم ويدور حول التهنئة ، والاعتذار ،والعتاب، والشكوى، والصداقة ، والود ، وما إلى ذلك من هذه المعاني الاجتماعية الواسعة بين الناس[1].

واحتلت الإخوانيات جزءا كبيرا من ديوان ابن معصوم كالغزل ، والمديح ،وقد تبينا في

(١) مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨م، ص ٢٦٧.-ويشار إليه بـ: الشكعة فنون الشعر-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول البيئة التي نشأ فيها ابن معصوم، إلى جانب الآصرة التي تربط بينه وبين السلطة الحاكمة . حيث كان والده صهر السلطان عبد الله قطب شاه متوليا مناصب عالية في جهاز دولة «قطب شاهي» ، كما تولى شاعرنا مناصب مهمة لدى السلطان عبد الله قطب شاه ، وعند الإمبراطور أورنكزيب فيمابعد [١] . وكان هذا الوضع المرموق أدى إلى توسعة علاقات ابن معصوم الاجتماعية ، وإقامة صلات قوية مع من حوله من إخوانه ، وأصدقائه،وأساتذته الذين درس عليهم، حيث كان لهم أثر كبير في وضع لبنة أساسية لتنشئته التعليمية والثقافية. وأصبحت بيئة الشاعر محاطة بجماعة من الأمراء، والعلماء ،والأدباء.

وتحدثنا فيما سبق عن ترك شاعرنا وطنه الحجاز قاصدا الهند في صغره ، مخلفا وراءه من يحبهم ويحبونه مما أدى إلى الشعور بمرارة الألم لمفارقتهم والبعد عنهم، والاشتياق الشديد إليهم. فكيف كان يستطيع أن يوصل رسالة شوقه، وإظهار مودته لمن تروقه رؤيتهم إن رغب في ذلك . لم تكن ثمة وسيلة سوى المراسلات لإيصال رسالته المليئة بالمودة والشوق.ومن هنا نستطيع توضيح كثرة المساجلات والمراسلات الشعرية التي جاءت في ديوانه.

تبادل ابن معصوم مساجلاته الشعرية مع والده، وأخيه السيد محمد يحيى ، ومع أستاذه محمد بن علي الشامي ، ومع أصدقائه من الأدباء الذين كانوا شخصيات بارزة في مجتمعهم سواء كانوا في الهند أو في الحجاز، وهم السيد حسين بن شرف الدين النجفي[*]،والشيخ جمال الدين بن عبد الله النجفي ، وعفيف الدين عبد الله بن حسين الثقفي ، والسيد حسين بن شدقم ، وأبو الحسن الشيرازي[٢*] ، وعلي بن محمد الكربلائي، والشيخ أحمد بن محمد الجوهري المكي[٣*].

تدور هذه المساجلات الشعرية عند ابن معصوم حول الصداقة والمحبة ، والمدح ، والتهنئة،

---

(١) انظر الفصل الأول من الرسالة،ص٢٨-٣١.

(*) هو السيد حسين بن شرف الدين النجفي، كان حيا سنة ١٠٩٦ هـ، أحد أشراف النجف وأدبائه في القرن الحادي عشر كانت بينه وبين السيد علي خان الشيرازي مكاتبة ومجاوبة . (محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت، ١٩٨٣، ٦/٣٥.- ويشار إليه بـ: الأمين ، أعيان الشيعة ١٩٨٣-) .

(٢*) هو الحكيم أبو الحسين الشيرازي ، طبيب بارع وأديب من ايران ، قدم الهند عام ١٠٧٥هـ، دارت مراسلات بينه وبين ابن معصوم . (ابن معصوم ، سلافة العصر، ص٤٨١).

(٣*) هو الشيخ أحمد بن محمد بن علي المعروف بالجوهري المكي ، ولد بمكة ونشأ فيها ورحل إلى الهند ، أديب ، شاعر بارع، توفي عام ١٠٦٩هـ. (المحبي ، خلاصة الأثر ، ١/٣٢٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit.

والعتاب ، والاعتذار ، والاستعطاف.

وقد كتب ابن معصوم إلى والده في مناسبات متعددة ، فنراه في إحداها يتحدث عن رؤيته محاسن أبيه وفضائله ، وهو الذي سمع غيره يلهجون بها . ثم يقول لأبيه داعيا له أن ينعم بالعيد سرورا وهناء، وهو صاحب المكانة الرفيعة عبر الزمن ، ثم يقدم له قصيدته المطرزة بأحلى الكلام وأجمله كأنها عروس في ثوب زفافها وكامل زينتها إذ يقول:

شَهِدْتُ فِيكَ سَجَايَا قَدْ سَمِعْتُ بِهَا ... فَفُزْتُ مِنْهَا بِمِلْءِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

فَانْعَمْ بِعِيدِكَ فِي عِزٍّ وَفِي دَعَةٍ ... وَالدَّهْرُ يَفْتَرُّ عَنْ أَيَّامِكَ الزُّهُرِ

وَخُذْ إِلَيْكَ عَرُوساً طَالَمَا حُجِبَتْ ... زُفَّتْ إِلَيْكَ وَقَدْ صِيغَتْ مِنَ الدُّرَرِ[1]

كتب ابن معصوم إلى أبيه قصيدة استعطفه فيها لتلبية حاجته ، إلا أنه لا يصرح لنا بمحتوى طلبه من أبيه، ويوجه الخطاب فيها إلى والده مستغيثا به طالبا منه النظرة في أحواله فهي كافية لتحسين ما آل اليه ، ويبقى مستعطفا مادحا إياه لتلبية طلبه، ويقول له بأنه من الرجال الذين تسبق أفعالهم أقوالهم ، وهم القلة بين الرجال:

فَهَلْ تُسْعِفَنِّي مِنْ رِضَاكَ بِنَظْرَةٍ ... تَنَالُ بِهَا الْآمَالُ أَقْصَى مَرَامِهَا

إلى قوله :

وَإِنَّكَ مِمَّنْ يَسْبِقُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ ... وَكَمْ مِنْ رِجَالٍ فِعْلُهَا فِي كَلَامِهَا [2]

وفي قصيدة أخرى يلجأ إلى كنف والده، شاكيا له شدة الهم الذي أصابه متسائلا هل سيتحقق له طلبه أم أنه سيكون من الخاسرين ؟ولكنه يحمي أباه من رد طلبه وهو في حاجة لمساعدته، ودون هذه المساعدة ستكون الكروب قد اجتمعت عليه ، وهكذا يستمر في الطلب والرجاء والخوف من رفضه، والتشكيك في هذا الخوف مترددا في توجيه طلبه إلى أن يصل إلى مرحلة يوجه طلبه دافعا له ما يريد، ومتمنيا–وهذا له فيه أمل كبير –أن يجاب طلبه، إذ يقول:

شَكَوْتُكَ حَالاً قَدْ أَتَاحَتْ لِيَ الجَوَى ... فَهَلْ أَنْتَ مُشْكٍ أَمْ لِحَظِّي تَتَبِيبُ

---

(١) الديوان ، ص١٧٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُعِيذُكَ أَنْ أُمْسِي وَفِي النَّفْسِ حَاجَةٌ وَمِنْ دُونِ مَا أَرْجُوهُ هَمٌّ وَتَعْذِيبُ

إلى قوله:

فَهَا أَنَا قَدْ وَجَّهْتُ نَحْوَكَ مَطْلَبِي وَأَغْلَبُ ظَنِّي أَنْ سَيَنْجَحُ مَطْلُوبُ[1]

إن هذه القصائد التي أرسلها ابن معصوم إلى أبيه تبين مدى علاقته القوية به من حيث المودة ، ويراه أكبر ملجأ له إن اقتضى الأمر.

* * *

أما مساجلاته مع أخيه محمد يحيى فاتسمت بالصدق والإخلاص في التعبير عن مشاعره الودية والأخوية. فقد بعث إليه خمس قصائد ومقطوعة ، اشتملت على المديح ، والشكوى، والعتاب، فقد كتب إليه أخوه محمد يحيى قصيدة مطلعها:

أَفِلْ أَيُّهَذَا الْقَلْبُ عَمَّا تُحَاوِلُه فَإِنَّكَ مَهْمَا زِدْتَ زَادَ تَشَاغُلُهُ[2]

عبر فيها عن شوقه ومحبته بعبارات حارة نابعة من قلب مليئ بالعواطف الصادقة ، فأجابه ابن معصوم بقصيدة صرح فيها عن العلاقة القائمة الموصولة بينهما بالحب والإحسان، ويدعو له باستمرار الرفعة والعلو في المجد، إذ يقول:

أَخٌ لِي مَا زَالَتْ أَوَاخِي إِخَائِهِ مُوَطَّدَةٌ مِنْهُ بِبِرٍّ يُوَاصِلُهُ

لِيَهْنَكَ مَجْدٌ يَا ابْنَ أَحْمَدَ لَمْ تَزَلْ فَوَاضِلُهُ مَشْهُورَةً وَفَضَائِلُهُ[3]

ويشكر ابن معصوم أخاه لقصيدته التي أرسلها إليه، وذلك حين يقول له إنه يشكره على ماقدم له من أبيات كالورود جمالا، عليها من ماء الندى ما يزيدها حسنا، إذ يقول:

سَأَشْكُرُ مَا أَهْدَيْتَ لِي مِنْ أَزَاهِرٍ يَجُولُ عَلَيْهَا مِنْ نَدَى الْحُسْنِ جَائِلُهُ[4]

أشاد ابن معصوم بأخيه كما أشاد بشعره، ونجد في هاتين القصيدتين قواسم مشتركة مثل اتفاق القصيدتين في الوزن والقافية ، حيث جاءتا على الوزن نفسه والقافية نفسها، فكلتاهما

---

(١)الديوان، ص٥٤.

(٢)ابن معصوم،سلافة العصر، ص٣٦.

(٣) الديوان ، ص٣٤٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لامية ، ووزنهما طويل. كذلك كلاهما وقفا على الأطلال وتحدثا عن شوقهما ،وتبادلا المدح . إلا أننا نلاحظ الاختلاف في استهلال القصيدتين حيث بدأ أخوه بالشكوى عن الدهر ، بينما استهل ابن معصوم بالمقدمة الطللية.

* * *

لم تنحصر إخوانيات ابن معصوم في أبيه وأخيه فحسب، بل ضمت أستاذه وأصدقاءه من الشخصيات البارزة المتميزة في عصره آنذاك.

إن غالبية الأشخاص الذين ساجلهم ابن معصوم كانوا ممن وفدوا إلى الديار الهندية ، واستوطنوها قادمين من البلاد العربية وإيران كما كان هؤلاء ممن تميزوا في مجتمعاتهم آنذاك من الناحيتين العلمية والأدبية.

كتب ابن معصوم مقطوعة إلى أستاذه محمد بن علي الشامي ، وكان قد لعب دورا كبيرا في تنشئته العلمية ، ويشيد بشعره مبالغا ، فيعد شعر الشامي السحر الرفيع الذي استوى على عرش الشعر والنثر ، ويزيد في مدحه حين يصفه بأكثر الناس فصاحة بين أهل اليمن وأهل الشام دون منازع ، حيث يقول:

مَا نَفْثَةُ السِّحْرِ إِلاّ شِعْرُكَ السَّامِـــي يَا مَنْ عَلاَ كُلَّ نَثَّارٍ وَنَظَّـــــامِ

لَأَنْتَ أَفْصَحُ مَنْ لاَقَيْتُ مِـنْ يَمَـنٍ وَمِنْ شَآمٍ عَلَى الْإِطْلاَقِ يَا شَامِـــي [1]

فأجابه شيخه بمقطوعة شاكرا إياه على إشادته بأعماله ورفعه اسمه ومكانته، إذ يقول:

رَفَعْتَ يَا ابْنَ نِظَامِ الدِّيـنِ أَعْلاَمِي نَوَّهْتَ بِاسْمِي وَإِنْ كَنَّيْتَ بِالشَّامِي [2]

رأينا في هاتين المقطوعتين المجاملة من الطرفين حيث استخدما المبالغة في مدحهما.ويلاحظ كذلك أن هاتين المقطوعتين جاءتا على الوزن نفسه، والقافية نفسها، فكلتاهما ميمية ووزنهما بسيط.

* * *

(١)الديوان، ص٤٠١.

(٢) ابن معصوم ،سلافة العصر ، ٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن تراسل معهم ابن معصوم حسين بن شرف الدين النجفي، وقد تعددت مساجلاته معه، وبلغ عددها نحو ست قصائد. دارت هذه القصائد حول المدح، والعتاب. وأظهر ابن معصوم فيها مفاخر النجفي ومحاسنه.ومن ذلك قصيدة كتبها إليه ابن معصوم، وقف في مقدمتها على الأطلال، وانتقل إلى الغزل، وتحدث فيه عن حبيبته وجمالها، والدموع التي انسكبت من أجلها.وينتقل بعد ذلك إلى مدحه، فيراه الشهم النبيل، ويفضله على غيره من الناس في مجالات الشرف والمجد والعلم، كما يصوره بأنه ارتقى المجد حتى لا يدانيه النجم في خيلائه، وأنه قد جمع في سن مبكرة أمجادا لم تجتمع لكهال مع طول جهدهم.ومن ثم يتحدث عن قصيدته – أي قصيدة ابن معصوم – التي أرسلها إليه، ويراها قصيدة غراء تخطف الألباب بكلام بسيط بليغ دون تغريب أو تعقيد، وهي إن وصلت إلى يديه فستعبر عما في كوامنه من حنين وشوق إلى الاجتماع معه، والائتناس به، ويطلب من صديقه مقارنة هذه الأبيات بأشعار الشعراء الآخرين، فإنه سيرى أن شعره يفوق شعر أبي تمام، حيث يقول:

يَا أَيُّهَا الشَّهْمُ الَّذِي سَبَقَ الْـوَرَى ... بِبَعِيدِ غَايَاتِ الْعُلى وَقَرِيبِهَـــا

جُزْتَ السَّمَاءَ بِمُرْتَقىً قَدْ قَصَّرَتْ ... عَنْ أَنْ تَنَالَ عُلاَهُ كَفَّ خَضِـيبِهَا

وَحَوَيْتَ إِبَّانَ الشَّبَابِ مَفَاخـــراً ... لَمْ يَحْوِهَا شَيْبٌ أَوَانَ مَشِيبِهـــا

وَإِلَيْكَهَا غَرَّاءُ تَسْتَلِبُ النُّهَـــى ... بِأَوَانِسِ الْأَلْفَاظِ دُونَ غَرِيبِهـــا

وَافَتْكَ تَشْرَحُ شَوْقَ نَفْسِي عِنْدَمَا ... حَنَّتْ إِلى لُقْيَاكَ حَنَّـــةَ نِيبِهـــا

قَايِسْ بِهَا الْأَشْعَارَ فِي حُسْنٍ تَجِدْ ... شِعْرَ الْمُحِبِّ يَفُوقُ شِعْرَ حَبِيبِهـــا (١)

ويشيد ابن معصوم بقصيدة النجفي ويعدها لآلىء اللفظ وكأنها العقود في الجيد، ويصف شعره بالقصور جمالا وبهاء، ويقول بأنه خال من أي خلل، ويستمر في المبالغة حتى يرى أن شعره في عذوبة ألفاظه يفوق شعر الفرزدق والجرير كما يفوق مقامات بديع الزمان (*)،

---

(١) الديوان، ص ٥٧-٥٨.

(*) هو أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني (...-٣٩٨ هـ) ولد في همذان، صاحب المقامات المشهورة. نسج الحريري مقاماته على منواله، واحتذى حذوه، واقتفى أثره كانت وفاته مسموما بمدينة هراة. (انظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت: ٤٢٩ هـ) ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٧٩، ٤/٢٥٦. وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت: ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ، ١/١٢٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحريري (*) حيث يقول:

أَهْدَيْتَ لِي دُرَرَ الْكَـــلامِ ... فَخِلْتُهَا دُرَرَ النُّحُـــــورِ

أَبْيَاتَ شِعْرٍ كَالْقصُـــــورِ ... وَلَيْسَ فِيهَا مِنْ قُصـــــُورِ

مَاحَازَ رِقَّـــةَ لَفْظِهـــــَا ... شِعْرُ الفَرَزْدَقِ أَوْ جَـــــرِيرِ

بَلْ لاَ مَقَامَاتُ الْبَـــــدِيعِ ... وَلا مَقَامَاتُ الْحَرِيـــــرِي(١)

ويعده ابن معصوم من الأصدقاء الأوفياء، كما يبدو في قصيدته التي أرسلها إليه رادا على معاتبته، ويصور حبه له، ويبلغه بوصول قصيدته المتفردة الجميلة وما فيها من عتب وحب يفوح منها، فاستقبلها شاعرنا بالترحاب شاكرا كاتبها على ما احتوته من لوم جميل بأسلوب جديد، ويبقى كذلك إلى أن يصل إلى الاعتراف بما أذنب أو ما قصر به حسب رأي صديقه، على الرغم من أنه متأكد من صفح صديقه عن زلته، ويعود إلى التأكيد على الحب القائم بينهما، ويقسم بالله أن قلبه لا يزال مليئا بالحب والمودة تجاهه، فهو في القلب متجذر، ويؤكد بأنه في محبته ليس ممن ينقص الحب ويقطع المودة، ويريد أن يكون على ثقة بأنه غير ناكس للعهود وغير قاطع لأواصر المحبة. ومن ثم يقدم له قصيدته على أنها جواهر ثمينة يصورها وكأنها لم تلبس مثلها – أي الجواهر – امرأة على جيدها، حيث يقول:

يَاسَيِّداً لَمْ تَزَلْ طُولَ الْمَدَى مِقَتِـــي (*) ... عَلَيْهِ دُونَ جَمِيعِ الْخَلْقِ مُقْتَصِـــــرَه

وَافَتْ قَصِيدَتُكَ الْغَـــرَّاءُ حَـــاسِرَةً ... لِلْعَتْبِ وَجْهاً وَبِالإِحْسَانِ مُعْتَجِـــرَه(٢*)

(*) هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري أبو محمد (٤٤٦-٥١٦ هـ)، من أهل البصرة، أحد أئمة أهل الأدب واللغة، صاحب المقامات الحريرية. (القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ٢٣/٣).

(١) الديوان، ص ١٩٩.

(٢*) مقة (بكسر الميم وفتح القاف): مصدرومق وهو المحبة والمودة، ابن منظور، لسان العرب، ٤٠٩/١٥.

(٣*) اعتجرت المرأة: ارتدت المعجر، والمعجر: ثوب تعتجر به المرأة أصغر من الرداء وأكبر من المقنعة، المصدر نفسه، ٥٦/٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَقُلْتُ أَهْلاً بِهَا شُكْراً لِمُنْشِئِهَا ... بِكْراً أَتَتْ لِجَمِيلِ الْعَتْبِ مُبْتَكِرَه

فَلَمْ أَرَ الْعُذْرَ إِلاَّ الاعْتِرَافَ بِمَا ... عَدَّتْهُ ذَنْباً فَكُنْ لاَ زِلْتَ مُغْتَفِرَه

أَمَّا الْوِدَادُ فَلاَ وَاللهِ مَا بَرِحَتْ ... رَايَاتُهُ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ مُنْتَشِرَه

حَاشَا لِمِثْلِيَ فِي دَعْوَى مَحَبَّتِهِ ... أَنْ يَبْخَسَ الْوُدَّ مَنْ يَهْوَاهُ أَوْ يَتِرَه (*)

فَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي فَلَسْتَ تَرَى ... إِلاَّ عُهُودَ وِدَادٍ غَيْرَ مُنْبَتِرَه

وَخُذْ إِلَيْكَ عَرُوساً حَلْيُهَا دُرَرٌ ... لَهَا نُحُورُ الْغَوَانِي الْغِيَدِ مُفْتَقِرَه (١)

رأينا في هذه القصيدة حب ابن معصوم للنجفي، مصورا العلاقة المتينة بينهما، ويشير إلى ذلك عتاب النجفي لابن معصوم . لأن العتاب لايكون إلا من يشغل لبه الحب، والمودة، والإخاء نحو المعاتب ، لذلك نستطيع اعتبار العتاب وجها آخر للمحبة والأخوة. وهذا ما لاحظناه في قصيدته التي أرسلها إليه ابن معصوم بشكل واضح. وهكذا كانت عاطفة ابن معصوم تتصف بالصدق والإخلاص وإن وجه المبالغة في ماقاله ابن معصوم لا يدل على التملق، أو الرياء، بل هذا ما نستبعده لانتفاء المصالح المادية بينهما، لذلك نستطيع القول إن بينهما عرى وثيقة لا تنفصم من المحبة الشخصية. ورأينا كيف يشيد ابن معصوم بشعر صديقه، كما يشيد بشعره مشبها إياه بالعروس.

* * *

ومن الشخصيات التي بادلها ابن معصوم مساجلاته الشعرية الشيخ جمال الدين النجفي، فقد دعاه ابن معصوم في يوم من الأيام إلى مجلس اجتمعت فيه جماعة من خلانه، فكتب إليه الشيخ جمال الدين قصيدة اعتذر فيها عن الحضور إلى مجلسه لإصابته بالزكام، ومدح ابنَ معصوم ووصفه بأنه حاز على الرتبة العليا والمنزلة الرفيعة لعظم النسب الذي ينتمي إليه. ويستمر

(*) وَتَر يَتِر: وتره حقه أي نقصه إياه ،ابن منظور،لسان العرب، ١٥/٢٠٥.

(١) الديوان ، ص ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمال الدين في المدح إلى أن يصل إلي سبب رفض الدعوة والاعتذار عنها، وهو زكام ألم به وأصاب جسمه بالوهن، فخشي إذا لبى دعوته وهو مريض ألاّ يستطيع تناول الأدب ويمنعهم عنه لانشغالهم به، إذ يقول:

يَا بَارِعاً فِي حِيَازَةِ الْحَسَبِ ... وَبَارِزاً فِي شَرَافَةِ النَّسَبِ

إلى قوله:

عَارَضَهُ مِنْ زُكَامِهِ خَصْرٌ ... أَصْبَحَ مِنْهُ الْفُؤَادُ فِي لَهَبِ

فَخَافَ أَنْ زَارَكُمْ بِعَارِضِهِ ... يَمْنَعُهُ مِنْ رِعَايَةِ الْأَدَبِ (١)

فأجابه ابن معصوم بقصيدة يمدحه بها، ويعده أبلغ بلغاء العرب، وسيد الجميع بوصوله إلى قمة الأحلام. ويصفه ببليغ حسن كلامه حتى تحول إلي الجواهر التي تضفي على الأدب لمعانا وبريقا خلابا. ويصفه بأنه إمام الفصاحة، ولا يدانيه في ذلك قيس (*) ولا قس بن ساعدة الإيادي، كما يقول:

يَابَالِغاً مِنْ بَلاَغَةِ الْعَرَبِ ... أَقْصَى الْأَمَانِي وَمُنْتَهَى الْأَرَبِ

وَيَا بَلِيغاً حَوَتْ بَلاَغَتُهُ ... دُرَّ الْمَعَانِي وَجَوْهَرَ الْأَدَبِ

وَيَا إِمَاماً سَمَتْ فَصَاحَتُهُ ... قَيْساً وَقُسّاً فِي الشِّعْرِ وَالْخُطَبِ (٢)

يلاحظ أن القصيدتين جاءتا على البحر نفسه والقافية نفسها، فكلتاهما بائية، وبحرهما منسرح. ويشيد ابن معصوم بفصاحة النجفي شعرا ونثرا، ويقارنها بقيس شعرا وقس بن ساعدة الإيادي نثرا. إن هذه الإشادة ليست إلا مجاملة لصاحبه النجفي.

ويتحدث ابن معصوم في قصيدة أخرى أرسلها إليه عن حبه ومودته ، ويقول له يامن رفعته عندي تسمو على كل البشر حمدا، ويا أقرب الأصدقاء والأحباب، إن لك في قلبي حباً استوطن قلبي ، وذلك لأسباب معقودة فيما بينهما، حيث يقول:

---

(١)ابن معصوم ، سلافة العصر ، ص ٥٥٤-٥٥٥.

(*)يتعذر علينا تعيين الشاعر المقصود ، حيث هناك من الشعراء: امرؤ القيس ، قيس بن الخطيم، وقيس بن الملوح، وقيس بن عبد الله (النابغة الجعدي)، وغيرهم.

(٢) الديوان، ص ٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَا أَجَلَّ الْوَرَى لَدَيَّ ثَنَاءُ وَأَعَزَّ الْأَصْحَابِ وَالْأَحْبَابِ
لَكَ عِنْدِي مَوَدَّةٌ أَحْكَمَتْهَا يَدُ صِدْقٍ وَثِيقَةُ الْأَسْبَابِ[1]

* * *

بعث ابن معصوم ثلاث قصائد إلى عفيف الدين الثقفي الذي استوطن الهند، فاشتملت هذه القصائد على الاعتذار ، والعتاب ، والمدح. ويتحدث في إحدى هذه القصائد عن اعتذاره له، وذلك ببحثه له عن عذر فيها بعث إليه – أي إلى شاعرنا – من عتاب، وبعد ذلك يقول له شأنك أعلى من أن تترك حبك في قلبي مشتعلا، وتطفئ نار الحب في قلبك لي، حيث يقول:

أَرُومُ لَكَ الْعُذْرَ الْجَمِيلَ مُصَحِّحاً وَفَاكَ وَقَدْ كَادَتْ تَضِيقُ الْمَعَاذِرُ
أُعِيذُكَ أَنْ أُمْسِي لِوُدِّكَ عَامِراً وَيُصْبِحُ وُدِّي وَهْوَ عِنْدَكَ دَاثِرُ[2]

وكتب ابن معصوم قصيدة أخرى يبدأها بالسلام عليه، وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن حبه ومودته ثم يتحدث عن رسالة عفيف الدين له واصفا إياها وكأنها شمس تنشر النور والضياء ويصورها وقد تضمنت شعراً ونثراً بالبستان الذي تنوعت فيه الورود، فجاءت مطرزة بأغلى العقود المزدانة بأجمل النقوش، إذ يقول:

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ يُشْرِقُ نُورُهُ كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ الشَّمْسَ تَلْمَعُ
تَنَوَّعَ مِنْ نَظْمٍ وَنَثْرٍ كَأَنَّهُ رِيَاضٌ غَدَتْ أَزْهَارُهَا تَتَنَوَّعُ
فَفِي كُلِّ سَطْرٍ مِنْهُ وَشْيٌ مُنَمْنَمٌ وَفِي كُلِّ فَصْلٍ مِنْهُ عِقْدٌ مُرَصَّعُ[3]

لاحظنا في هذه القصيدة أيضاً بأن ابن معصوم يفصح عن مودته، ويشيد بشعر صديقه مبالغا فيه كما كان الأمر في إخوانياته السابقة.

* * *

وكتب ابن معصوم قصيدة إلى صاحبه السيد حسن بن شدقم معتذرا له، لأن ابن شدقم أرسل إليه كتاباً طلب فيه أن يساعده في حاجة لا يذكرها ، فلم يستطع شاعرنا مساعدته، ولهذا

---

(١) الديوان، ص ٦١.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٦.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نراه يتساءل متألما : ما موقف صاحبه منه إزاء عدم قدرته على الوفاء بما أراده صاحبه، وهل سيقوم صاحبه بتركه والابتعاد عنه؟ وينتهي الشاعر إلى أن عدم تمكنه من تلبية طلب صاحبه لم يكن إلا بسبب من رب العالمين، إذ يقول:

هَلْ قَائِمٌ عُذْرِي لَدَيْكَ بِمَا مَضَـــى ... مِنِّي وَقَلْبِي بِالْخُطُوبِ يُـشَاكُ

أَمْ آخِذٌ فِي الْعَتْـبِ وَ أَنْتَ تَارِكِـــي ... حَرَضاً وَ أَنْتَ الآخِذُ التَّـــرَّاكُ

مَاكَانَ إِهْمَالِي الْجَوَابَ لِجَفْـــــوَةٍ ... لاَ وَالَّذِي دَانَتْ لَهُ الأَمْـلاَكُ[1]

* * *

وكانت لشاعرنا علاقة مع صديقه أبي الحسين الشيرازي، فقد دارت بينهما مراسلات، وأرسل إليه مقطوعة تحدث فيها عن شوقه وحنينه إليه، ويعبر لصاحبه عن حبه الذي ملأ عليه قلبه، وقد جاء حبه ممتزجا بالحزن، فصار الحزن هو، وهو الحزن. وقد كان حنينه إلى صاحبه حنين النفس إلى ذاتها، إذ يقول:

شَوْقِي إِلَيْكُمْ يَا أَهْلَ وُدِّي ... أَلَّـفَ بَيْنَ الأَسَى وَبَيْنِـــي

هَذَا وَشَوْقِي لَكُـــمْ أَرَاهُ ... شَوْقاً لِنَفْـسِي مِنْ غَيْرِ مَيْنِ

وَصِدْقُ مَا أَدَّعِيهِ فِيكُـــمْ ... أَنَّ عَلِيّاً أَبُـــو الْحُسَيْـــنِ[2]

فأجابه أبو الحسين بمقطوعة مطلعها:

يَاأَيُّهَا السَّيِّدُ الْحَسِيْـنِي ... شَرَّفَ قَـدْراً أَبَا الْحُـسَيْنِي[3]

يلاحظ في هذه المراسلة إظهار مودة الشاعر ومحبته كما رأينا في إخوانياته السابقة، وقد جاءت المقطوعتان على الوزن نفسه، والقافية نفسها، فكلتاهما نونية ووزنهما متقارب.

* * *

وممن راسلهم ابن معصوم علي بن محمد الكربلائي، فكتب إليه قصيدة أجابه بها، ويبدأ بالمقدمة الغزلية، ثم يتحدث عن صفات الكربلائي ومفاخره . ويشير إلى الهدية التي قدمها إليه مشيداً بها وبشعره، يقول :يامن أرسلت لي شعرا أحسبه جواهر، بل هو أكثر قيمة منها. وهو

---

(١) الديوان، ص ٣٢٠- ٣٢١.

(٢)المصدر نفسه، ص ٤٤٤.

(٣) ابن معصوم، سلافة العصر، ص ٤٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعر يصغى إليه السمع، وقد كسوتني فوق ذلك أثواب فضائل بمدحك، لا أقدر على وفائها أو رد العرفان مقابلها، ولو ساعدني الناس من الصحراء والمدن، فليس لي سوى قصيدتي التي أرسلها إليك عروسا، نظمتها ليلا، وقد بات النهار يحسده عند شروقه، وتثني عليه بعد ذلك لما قدم له، ويمد يده بوردة يفوح منها العطر تعبيرا عن شكره، إذ يقول:

مَا مُهْدِياً لِي نَظْماً خِلْتُهُ دُرَراً ... يُشَنِّفُ السَّمْعَ لاَ بَلْ دُونَهَا دُرَرُ

قَلَّدْتَنِي مِنَناً لاَ أَسْتَطِيعُ لَهَا ... شُكْراً وَلَوْ سَاعَدَتْنِي الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ

فَخُذْ إِلَيْكَ عَرُوساً بِتُّ أَنْظُمُهَا ... لَيْلاً فَيَحْسُدُ لَيْلِي عِنْدَهَا السَّحَرُ

تُثْنِي عَلَيْكَ كَمَا أُثْنِي لِشُكْرِ يَدٍ ... عَلَى الْحَيَا مِنْ رِيَاضٍ نَشْرُهَا الْعَطِرُ (١)

ونرى في هذه القصيدة تكراراً في المعاني والتشبيهات نفسها التي أتى بها في إخوانياته السابقة كتشبيه شعره بالعروس أو نظمه بالجواهر.

* * *

وقد كتب ابن معصوم قصيدة إلى الشيخ أحمد الجوهري المكي، يشيد فيها بأدبه نثراً وشعراً، ويقول لصاحبه الذي أهدى له أسمى ما حاك شعرا ونثرا كأنها جواهر بطالعها الجميل. ومن ثم يشكره شكرا مليئا بالعرفان لما أهداه من جواهر تحلى بها، إذ يقول:

يَا مُهْدِياً لِي مِنْ سَنِيِّ نِظَامِهِ ... وَنِثَارِهِ دُرّاً بَهِيَّ الْمَنْظَرِ

شُكْراً لِفَضْلِكَ شُكْرَ مَمْنُونٍ فَقَدْ ... حَلَّيْتَ جِيدِي مِنْ عُقُودِ الْجَوْهَرِ (٢)

فأجابه المكي بقصيدة على الوزن نفسه والقافية نفسها، مطلعها:

يَامُهْدِياً وَشْيَ الرَّبِيعِ الْمُزْهِرِ ... بَلْ رَوْضَةً تَزْهُو بِحُسْنِ الْمَنْظَرِ (٣)

ونرى في هاتين القصيدتين استخدام التشبيهات نفسها للإشادة بشعر الشاعر وأصدقائه، بصورة مبالغ فيه كما رأينا في إخوانياته الأخرى.

---

(١) الديوان، ص ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧.

(٣) ابن معصوم، سلافة العصر ، ص ١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاحظنا فيما مضى حول علاقات شاعرنا مع والده، وأخيه ، أنه تبادل معهما المساجلات الشعرية التي تضمنت أغراضا شتى مثل المدح، والتهنئة، والعتاب كما أسلفنا.وعبر فيها عما في نفسه من مشاعر صادقة.

كما تبين لنا من مساجلاته الشعرية أنه تراسل مع شخصيات بارزة من الناحية العلمية والأدبية والأخلاقية . فأظهرت هذه المراسلات علاقاته الاجتماعية ، واتصالاته الواسعة مع وجهاء مجتمعه، فساعده على ذلك مركزه المتميز في المجتمع نسبا، وعلما ، ومنصبا.

وقد تضمنت هذه المراسلات الشعرية أغراضا مختلفة، مثل المديح، والعتاب، والشكوى، والاعتذار ، والاستعطاف، والشوق، والشكر، متسمة بالصدق كما تقدم .

ونهج ابن معصوم في قصائده الإخوانية نهج القصيدة العربية لأسلافه من الشعراء، فاستهل أكثرها بالمقدمة الطللية أو الغزلية. وأشاد ابن معصوم بقصائد مراسليه لغة، وبلاغة، وأدبا. وقد بالغ كثيرا في ذلك. ورأينا في قصائده الإخوانية المعاني المتكررة المتعلقة بإظهار المودة والصداقة، والتشبيهات نفسها خصوصا في الإشادة بشعره أو بشعر من كتبوا إليه .ولاحظنا في هذه المراسلات المتبادلة بين ابن معصوم وغيره أنها اتفقت في الوزن والقافية، وذلك حسب ما جرت عليه قواعد المساجلات تقليديا في شعر الإخوانيات.

خامساً: الرثاء

الرثاء فن عبر الشعراء فيه عن أشجانهم وأحزانهم عندما يفارق أحد ذويهم أو أصدقائهم الحياة.

ولكل أمة مراثيها، والأمة العربية من الأمم التي تحتفظ بتراث كبير من المراثي، وهي ثلاثة أنواع، هي الندب، والتأبين ، والعزاء . أما الندب فبكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيحزن الشاعر ويشعر بالفجيعة، إذ يحس بصدمة مخيفة موجهة إلى قلبه، فقد أصابه القدر في أبيه، أو ابنه، أو في أخيه، أو فيمن ينزلون منه منزلة النفس والأهل ممن يحبهم ويؤثرهم، والتأبين هو الثناء على الميت وتعداد مناقبه، وفضائله، وذكر محامده، والعزاء هو الصبر على مصيبة الموت، والخضوع لسنة الكون. الإنسان يولد ويقضي حياته سعيدا أو شقيا، ثم يموت ويرحل إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدثه الذي لا مناص له منه ولا خلاص [١].

في شعر ابن معصوم ست قصائد مطولة في الرثاء . فقد رثى في ثلاث قصائد منها أهله وتضمنت رثاء أبيه، وأخته، وابنه. وجاءت مراثيه الأخرى في حق عمار بن بركات [٥] من أصدقاء أبيه، وابن صديقه السيد زين العابدين[٥٢]، والحسين بن علي بن أبي طالب.

يبدو أن موت والده شكل فراغا كبيرا في حياته، فترك في نفسه آثارا عميقة لا تندرس بسهولة، لأن أباه كان بمثابة خير صديق، ومساعد، ومرشد له في حياته.

رثى ابن معصوم والده بمرثية رسم فيها شعوره نحوه رسما دقيقا بعد انتقاله إلى الدار الآخرة مشيرا إلى أن الموت قد خطف من آل عبد مناف قمة من أسيادهم ، ونورا يطغى على الظلماء ، حيث يقول:

هَدَّ الْحِمَامُ لآلِ عَبْدِ مَنَـــافِ ... جَبَلاً أَنَافَ عُلاَهُ أَيَّ مَنَـــافِ

أَوْدَى بِأَبْلَجِ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... يَجْلُو بِغُرَّتِهِ دُجَى الْأَسْدَافِ [٢]

وفي مكان آخر من القصيدة يصفه بأنه أعظم الآباء، مناديا إياه ، لعله يسمعه ويعرف ما أصابه من السقم لبعده عنه، وأنه كان محسنا إليه، كما كان حاضرا معه ببركاته التي حمته من الأخطار ، ويتمنى في النهاية أن يكون فداء لوالده من الموت، ولكن أنّى له ذلك، إذ يقول:

يَا سَيِّدَ الْآبَاءِ سَمْعاً لِابْنِـــكَ الـ..... ... مُضْنَى فَقَدْ أَضْنَاهُ طُولُ تَجَافِ

قَدْ كُنْتَ بِي بَرّاً وَكُنْتَ مُوَاصِلاً ... وَجَمِيـــلُ بِرِّكَ كَافِلٌ لِي كَافِ

إلى قوله:

---

(١) شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ، ص ٥، ٥٤، ٨٦. - ويشار إليه بـ : ضيف ، الرثاء-

(٥) هو السيد عمار بن بركات بن جعفر بن بركات بن أبي نمي الحسني، أحد أشراف مكة، كان مشهورا بالفضل والأدب وحسن الشعر، ممن دخل الهند في سنة ١٠٦٢ هـ ، توفي في سنة ١٠٦٩هـ . (المحبي، خلاصة الأثر، ٢٠٤/٣) .

(٥٢) هو ابن السيد حسين بن شرف الدين النجفي الذي كانت بينه وبين ابن معصوم مراسلات. انظر الإخوانيات من هذا الفصل،ص٨٣.

(٢) الديوان، ص ٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَلَوِ اسْتَطَعْتُ لَكَ الْفِدَاءَ لَكُنْتُهُ وَوَقَيتُ جِسْمَكَ مِنْ ثَرَى الْأَجْدَافِ (١)

وقد رثى ابن معصوم أخته عندما رزئ بارتحالها إلى جوار ربها عام ١٠٧٠هـ، واصفا عواطفه الصادقة الحارة نحوها، فيعبر عن حبه الشديد لها، وافتدائه إياها لو أمكن ذلك ، حيث يقول:

بَكَيْتُ أَسىً لَوْ رَدَّ عَنْكِ الْبُكَا حَتْفاً وَأَعْوَلْتُ وَجْداً لَوْ شَفَتْ عَوْلَةٌ لَهْفَا (٢)

ويناجي روح أخته موجها إليها الخطاب بقوله:إن رحيلك عن هذه الدنيا وسكناك في الجدث، جعل قلبي بيتا للحزن طاردا للفرح ، فصارت حياتي مليئة بالأحزان التي تكالبت على مريض عليل بسبب فقدك ، مما زاد العلة عللا، حيث يقول:

أُخْتِيَ إِنْ أَمْسَيْتِ رَهْنَ مَقَـــابِرٍ فَقَلْبِيَ قَدْ أَمْسَى عَلَى حُزْنِهِ وَقْفَـــا

تُكَاثِرُنِي الْأَشْجَـــانُ فِيكِ وَإِنَّمَـا تَكَاثُرُ مُضْنىً شَفَّ بِالْوَجْدِ أَوْ أَشْفَى (٣)

تتجلى أشجان شاعرنا وأحزانه أنه يتمنى عودة أخته إلى الحياة لترى ما حل به لفراقها، أو ينتقل هو إلى ميت يتكلم معها. ويظهر جمال هذا البيت لعدم تكلفه، إذ يبرز ابن معصوم قوة الأواصر بينه وبين أخته الفقيدة من مودة ومحبة خالصة صادقة، يقول:

وَلَوْ وَعِيَتْ أُذْنَاكِ كَثْرَ تَأَوُّهِي عَلِمْتِ إِخَائِي مَا أَبَرَّ وَمَا أَصْفَى (٤)

رأينا في هذا البيت كيف استطاع شاعرنا أن يرسم لوحة فنية متكاملة في أجزائها ملونا إياها بألوان اللوعة والشجن، مضيفا إليها رغبته في أن تسمع أخته ما يكابده من حزن وأسى، واضعا لمساته الأخيرة على هذا البيت بإبراز مدى عمق شعوره بالأخوة والمودة الخالصة التي لم تترد من الذروة لحظة واحدة حتى في ساعة فراقها عنه، بل زادت أكثر فأكثر.

ويبدو لنا من رثاء ابن معصوم لأخته أن شاعرنا كان كثير التعلق بها، حيث حفلت الأبيات بمعان اشتملت على الأحاسيس الصادقة الطيبة، تلك مشاعر أخ لهف إلى أخته بسبب مفاجأة فراقها له، مما أدى إلى إغراقه في بحر الأحزان والأشجان.

---

(١) الديوان ، ص ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(٣)المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* * *

ورثى ابن معصوم ابنه إبراهيم المتوفى ١١٠١هـ في الهند بقصيدة مليئة بالمشاعر الصادقة النابعة من قلب مكلوم، مكتو بالحزن والأسى . ويعبر عن تلك المشاعر من خلال تمنيه أن يكون فداء له لوكان هذا الطلب ممكنا. ومن ثم نراه يصف ابنه المتوفى بالكوكب الذي يسقط من مداره هاويا إلى الأسفل في ليلة لم تعرف لنور الصباح طعما، وبعد ذلك يقول إن هذا الفتى وحياته كانا متعة للنظر ، أما الآن فهما مصدر يقرح هذه العيون التي كانت تتمتع برؤيتهما، ويتمنى شاعرنا لو سبقت يد المنون إلى أخذ روحه لأنه لا مفر من قضاء الله وقدره في الموت، إذ يقول:

تَفْدِيكَ لَوْ قَبِلَ الْمَنُونُ فِدَاهَـا نَفْسٌ عَلَيْكَ تَقَطَّعَتْ بِأَسَاهَـا
يَا كَوْكَباً قَدْ خَرَّ مِنْ أُفُقِ الْعُلَى فِي لَيْلَةٍ كَسَتْ الصَّبَاحَ دُجَاهَا
كَانَتْ حَيَاتُكَ لِلنَّوَاظِرِ قُـرَّةً وَالْيَوْمَ مَوْتُكَ لِلْعُيُونِ قَذَاهَـا
يَا لَيْتَنِي غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي الثَّرَى وَسُقِيتُ كَاسَ الْمَوتِ قَبْلَ تَرَاهَـا[1]

ويتحدث ابن معصوم في رثائه عن صفات ابنه الحسنة معتبرا إياه ساعدا له، مناجيا إياه بوصفه جامعا لأسباب المجد والفخار كروض اجتمعت فيه كل أنواع النباتات الطيبة ، ومن ثم جفت فصارت يابسة. ويقول إنه – أي ابنه – كان العون والسند الذي يعتمد عليه، حيث يقول:

يَادَوْحَةً لِلْمَجْدِ مُثْمِرَةَ الْعُـلَى ذَهَبَتْ نَضَارَتُهَا وَجَفَّ نَدَاهَـا
قَدْ كُنْتَ سَاعَدِيَ الَّذِي أَسْطُو بِهِ وَيَدِي الَّتِي يَخْشَى الزَّمَانُ سُطَاهَا[2]

* * *

وممن رثاهم ابن معصوم عمار بن بركات من أصدقاء والده، فعبر في رثائه عما يجول في نفسه من مشاعر متسمة بالحزن والأسى،وذلك حين يصف أيامه تجري حزينة بها من البكاء ويقول له لو أن الدمع يعيد الحياة لمن فارقته الروح، لكانت تعود النفس إلى صاحبها لكثرة بكائه:

---

(١) الديوان، ص ٤٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَنَا كُلُّ يَوْمٍ رَنَّـةٌ وَعَوِيـلُ وَخَطْبٌ يَكِلُّ الرَّأْيُ وَهْوَ صَقِيلُ
بَكَيْتُ لَوَ أَنَّ الدَّمْعَ يُرْجِعُ مَيِّتاً وَأَعْوَلْتُ لَوْ أَجْدَى الْحَزِينَ عَوِيلُ (١)

ورثى ابن معصوم السيد زين العابدين معزيا والده، وذلك من خلال المعاني الجميلة التي وردت في أبياته ، فهو يقول إنه افتقده كما تفتقد الحدائق أزهارها.وهو كثير الأحزان لفقده، فبكى وأبكى من حوله. ويستمر ابن معصوم في ذلك ، ويقدم العزاء لوالد الفقيد، حيث يقول:

فَقَدْتُكَ فَقْدَ الرَّوْضِ زَهْرَ كَمَامِهِ وَرُحْتُ مِنَ الْأَشْجَانِ أَبْكِي وَأَسْتَبْكِي

إلى قوله:

أُعَزِّي أَبَاكَ الْبَرَّ عَنْـكَ وَإِنَّـنِي وَإِيَّاهُ مِنْ وَجْدٍ سُهَيْمَانِ فِي شِرْكِ (٢)

* * *

أما رثاؤه للحسين فقد صدر فيه عن مشاعر صادقة نابعة من قلب مجروح مكتو بالحزن والأسى، وذلك لأن مأساة كربلاء التي كوت قلوب المسلمين جميعا، تركت آثارا عميقة في صدورهم من التفجع والأذى.فيصور شاعرنا وقعة كربلاء بليلة الحشر من حيث العظم. ويصور نار الأسى التي يحس بها في داخله تأكل أحشاءه، ويرى هذه الواقعة واقعة عظيمة، هُزّ لهولها العرش ، وذلك لما سال من دم ينتسب إلى الرسولﷺ. وهو اليوم الذي احتجبت فيه الشمس والتفت الدنيا بثياب سود حزنا على الحسين، إذ يقول:

أَلَيْلَةُ الْحَشْرِ لاَ بَلْ يَوْمُ عَاشُـورِ وَنَفْخَةُ الصُّورِ لاَ بَلْ نَفْثُ مَصْدُورِ
يَوْمٌ بِهِ اهْتَزَّ عَرْشُ اللّهِ مِنْ حَـزَنٍ عَلَى دَمٍ لِرَسُولِ اللّـهِ مَهْـدُورِ
يَوْمٌ بِهِ كُسِفَتْ شَمْسُ الْعُلَى أَسَفاً وَ أَصْبَحَ الدِّينُ فِيهِ كَاسِـفَ النُّـورِ (٣)

ونرى في هذه القصيدة تأثر ابن معصوم بالشريف الرضي من حيث المضمون والتشبيهات في قصيدته ذات عنوان «كربلا كرب وبلا»، فالمضمون واحد وهو رثاء الحسين سبط النبي ﷺ، ومن ثم التشبيهات التي تناولها كل منهما متقاربة، فكلاهما وصفا ما وقع بكسوف الشمس ،

(١) الديوان، ص ٣٦١.
(٢)المصدر نفسه ، ص ٣٢٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصورا ما وقع لآل البيت، وحملا المسؤولية يزيد فيما حصل وغير ذلك [١]. كما نجد في قصيدة شاعرنا كيف جاشت العواطف الصادقة في قلبه المفعم بالحزن رغم مرور الزمن على مقتل الحسين وقد يعود سبب ذلك التفجع إلى أمرين؛ أحدهما أنّ الشاعر منتم إلى أهل البيت، معتنق مذهب الإمامية وثانيهما إن مقتل الحسين جاء نتيجة المأساة الوخيمة التي ألهبت نفوس المسلمين آلاما لا تفتر، تاركة في قلوبهم جراحا لاتندمل بغض النظر عن انتمائهم وميولهم إلى السنة أو الشيعة، لأن المثل العليا والقيم الإنسانية سواسية لدى كل فرد .ولا تتغير هذه القيم إزاء الأحداث المأساوية والمفجعة مع تعدد الاتجاهات. لذلك نرى صداها عند غاندي الزعيم الهندي، إذ يقول:« تعلمت من الحسين أن أكون مظلوما حتى أنتصر»[٢]، وكقول جبران خليل جبران:« لم أجد إنسانا كالحسين سجل مجد البشرية بدمائه»[٣].

فمن في نفسه فتات شعور، يهتز وجدانه بهذا الخطب الجلل . ومن جراء ذلك لا نشك في صدق العواطف والمشاعر التي أظهرها الشاعر في رثائه له. وأضاف انتماؤه إلى الحسين لونا آخر، فزاد من حدة شعوره وحرارته التي تلظى بنارها.

وبعد كل هذا يلاحظ في مراثي شاعرنا صدق المشاعر والعواطف، ولم يرث أحدا إلا من فجعه موته. فجاءت عواطفه نتيجة انفعال عفوي كما هي في داخله .

* * *

لدى ابن معصوم نظرة دينية إسلامية تؤكد عمق اعتناقه للإسلام،وذلك من خلال النظرات الفلسفية للموت والفناء والكون بصورة عامة، ونذكرها مع الرثاء، لأنها لم ترد منفصلة، بل وردت في قصائده الرثائية، وخصوصا في رثائه لابنه، فيشير ابن معصوم إلى استحالة البقاء في عالم خلقه خالقه للفناء المحتوم كما يقول:

كَيْفَ الْبَقَاءُ بِهَذِهِ الدَّارِ الَّتِي مَنْ قَدْ بَنَاهَا لِلْفَنَاءِ بَنَاهَا [٤]

كما نجد في رثائه معاني وأفكارا توضح نظرته في الكون ، والحياة ومصيرها، مبينا موقفه من الموت، ويرى أن هذه الدنيا ليست سوى دار لا يدوم للإنسان البقاء فيها، والسرور بها

---

(١) انظر ديوان الشريف الرضي، ١/٤٤.

(٢) شبر، أدب الطف، ١/١٩.

(٣) المرجع نفسه، ١/١٩.

(٤) الديوان ،ص ٤٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يساوي الحزن، فكلاهما زائلان مع زوالها. ويؤكد أيضاً على ارتباط الخير مع الشر، فلا معنى للخير على الأرض لولا الشر، وارتباط المصائب بالمسرات، فكل منها تعطي الثانية معناها. ويصف الدنيا بالمتقلبة ، فهي إن سرت إنسانا يوما أبكته في آخر، وإن أغدقت عليه حينا قترت عليه في آخر، وهلم جرا.ولذلك نراه يتساءل : أين أولئك الجبابرة من قياصرة ، وأكاسرة الذين أشادوا فما قصروا في البنيان والزخرفة.ويتساءل أيضاً: أين السلاطين المتسلطون الذين تمسكوا بالحكم ولم يتركوه؟ ويرى جوابه عن تساؤله لا شك فيه، ألا وهو زوالهم بالموت. ويقول إن الدنيا قد غررت بهم، فغبوا من ملذاتها حتى غابوا عن وعي حقيقة عدم الخلود والزوال الذي لامفر منه، إذ يقول:

دَارٌ قَضَتْ أَنْ لاَ يَدُومَ نَعِيمُهَـــــا ... لاَ كَانَ مَسْكَنُـــهَـــا وَلا سُكْنَاهَا

لاَ يُسْرُهَا بَـاقٍ وَ لاَ إِعْسَارُهَـــــا ... سِيَّانَ حَـالاَ فَقْرِهَـــا وَغِنَاهَـــا

مَقْرُونَةٌ خَيْرَاتُهَـــا بِـشُرُورِهَـــا ... وَنَعِيمُهَـا بِعَنَائِهَـــا وَشَقَاهَـــا

إِنْ أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ وَإِنْ بَرَّتْ بَرَتْ ... وَإِذَا شَفَتْ شَفَّتْ عَلِيلَ ضَنَاهَـــا

أَيْنَ الْمُلُوكُ الْمَالِكُـــونَ لِأَمْرِهَـــا ... وَالْعَامِرُو أَمْصَارِهَـــا وَقُـــرَاهَـــا

أَيْنَ الْقَيَاصِرُ وَالْأَكَاسِرَةُ الْأُلَـــى ... شَادُوا مَبَانِـــيَ عِزِّهَـــا وَعُلاَهَـــا

أَيْنَ الْخَوَاقِينُ(*) الَّذِينَ تَمَسَّكُـــوا ... بِعُهُودِهَا وَاسْتَمْسَكُـــوا بِعُرَاهَـــا

غَرَّتْهُمْ بِشَرَابِهَـــا وَسَرَابِهَـــا ... حَتَّى انْتَشُوا مِنْ كَأْسِهَـــا وَطِلاَهَـــا (١)

يتحدث ابن معصوم عن نظرة الإنسان إلى الحياة، وحبه الخلود فيها،ولكن هيهات، فإن خالق هذه الحياة لم يقدر لهم البقاء فيها، بل في دار الآخرة بعد الحساب إذ يقول:

يَهْوَى الْأَنَامُ بِهَا الْبَقَـــاءَ وَإِنَّـــمَا ... شَاءَ الْإِلهُ بَقَاءَهُمْ بِسِـــوَاهَا (٢)

ويقر ابن معصوم حقيقة الفناء في أساس الموجودات وزوالها. إن غاية شاعرنا الوحيدة هي أن يصل إلى ماوراء هذا العالم الفاني دون أن يكون في صدره خوف إزاء ظاهرة الموت، أو

(*)الخواقين وهو جمع خاقان: اسم لكل ملك من ملوك الترك، ابن منظور، لسان العرب، ١٦٤/٤.

(١) الديوان، ص ٤٧٩.

(٢) المصدر نفسه ،ص٤٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانتقال إلى الآخرة، بل يرغب في الوصول إليها، ويتضح ذلك من خلال ما قاله في رثاء ولده، حيث سار معه في الدنيا وجاراه، ومن ثم سبقه إلى الدار الآخرة وقبل أن يصل إلى ذلك يقول:

جَارَيْتَنِي فَبَلَغْتَ قَبْلِي غَايَةً لِلْحَقِّ لَمْ يَبْلُغْ أَبُوكَ مَدَاهَا [١]

ويؤكد إيمانه بالموت من خلال قوله: لو لا أن نفسه ذائقة الموت يوما لأرداها بيده، وتبعه حيث يقول:

لَوْلاَ يَقِينِي أَنَّنِي بِكَ لاَحِقٌ لَقَهَرْتُهَا حَتَّى تَذُوقَ رَدَاهَا[٢]

رأينا الرثاء عند شاعرنا بأنواعه الثلاثة: الندب،والتأبين ، والعزاء. فنهج ابن معصوم نهج أسلافه من الشعراء مستهلا شعره هذا بوصف ما اعتمل في نفسه من مشاعر صادقة تعبر عن لوعته، وحزنه الشديد تجاه المرثي، منتقلا بعد ذلك إلى ذكر محامده، ومظهرا محاسنه، ومختتما بالدعاء والصلاة، وراجيا من الله تعالى أن يسقي جدث الفقيد وثراه رحمة من لدنه.

واستخدم ابن معصوم في مراثيه بعض المصطلحات المتصلة بالموت والكون والقدر. وأشار إلى أن الموت نهاية محتومة لكل بشر لا مفر منه، ولابد من الخضوع للقضاء والقدر. وتحدث عن فناء العالم، وعدم بقاء الإنسان في هذه الدنيا.

ومن خلال قراءة أشعار رثائه عامة، نجد لديه تكرارا في معاني أبياته ، فهو في أغلب القصائد يتمنى أن تكون نفسه فداء للميت، وهذا يجعلنا نقلل من ملكته الشعرية في الرثاء فهو نمطي لا يأتي بالجديد مع تميزه في قصيدته التي رثى بها الحسين .

سادساً: الغربة والحنين إلى الوطن

إن الإنسان مرتبط ارتباطا وثيقا ببيئته التي عاش فيها وترعرع. إن البيئة تؤثر في الإنسان كما يتأثر الإنسان بها، فابن الجبل يختلف عن ابن الصحراء، وابن البحر يختلف عن كليهما. فخلاصة القول إن البيئة التي يعيش فيها الإنسان وينشأ قطعة من جسمه لا تتجزأ ، إذا اجتثت هذه القطعة يشعر بمرارة الألم فيتعذب ويتلوى. لأن الإنسان يتأثر بالبيئة فيضحك حينا، ويبكي أحيانا أخرى، وتطبع في نفسه وذاكرته حوادث شتى، ومن جراء ذلك تتولد مشاعر الشوق

---

(١) الديوان، ص ٤٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحنين إليها مع محبته القوية لها. كما أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الحياة معتزلا ، وهو يتأثر بما يدور في فلك خليته التي يحيا بها فيأخذ منها ثم يعيد إليها ما أخذه حسبما فهم واستوعب. وما المجتمع سوى أفراد يتحلقون حول مجموعة من الأفكار، والمعتقدات، والأهداف التي ستولد برأيهم ما يصبون ويحلمون به، فيُشعرهم هذا بالانتماء إلى خليتهم هذه.

إذن فمن الطبيعي أن تكون الصلة بالبيئة والمجتمع مكينة إلى درجة لا تندثر بسهولة في قلوب الناس.

قلنا فيما سبق إن شاعرنا اضطر إلى الابتعاد عن وطنه الحجاز قبل تجاوزه سن الصبا، وعاش جل عمره في الغربة ما يقارب أربعا وأربعين سنة بعيدا عن مسقط رأسه ومجتمعه الذي قضى فيه طفولته. ومن الطبيعي إذن أن يشعر بمرارة البين والنوى بكل ملامحه.

احتل شعر الحنين والشوق إلى الوطن والأهل مكاناً كبيراً في ديوان ابن معصوم، فنراه مكتويا بنار الغربة مستلهما من هذه النار أبياتا وقصائد تمتلىء بها كل الأوصاف لوعة، وصبابة، وحنينا لوطنه. فعبر عن شعوره بالغربة، والشوق إلى الديار المقدسة، من خلال المدائح النبوية، والغزليات، والمساجلات الشعرية، وبعض المقطوعات المستقلة .

يتحدث ابن معصوم عن شعوره بالوحدة في الهند من خلال المديح النبوي ، فهو يناجي الرسولﷺ ذا المكانة الرفيعة العالية، الكريم المانح الباذل ، ويدعوه لنصرته ، وهو العبد الذي ينتمي إلى آل الرسولﷺ ويتساءل إن كان دعاؤه مقبولا أم لا ؟ ويصف نفسه بكليم القلب حزنا، وأنه مريض أصابه السقم ببعده وغربته. ويقول إن الدهر قد مال عليه وحمله فوق طاقته في الصبر حتى جفاه الصبر، فهو كما يصف نفسه في ديار الهند وحيدا، إذ يقول:

أَنْتَ الَّذِي جَاهُهُ جَلِيـــلٌ ... وُجُودُهُ وَافِرٌ جَزِيـــلُ

يَدْعُوكَ عَبْدٌ إِلَيْكَ يُعْـــزَى ... فَهَلْ لَهُ إِذْ دَعَا قَبُـــولُ

فُؤَادُهُ بِالأَسَى جَرِيـــحٌ ... وَجِسْمُهُ بِالضَّنَى عَلِيـــلُ

قَدْ عَاثَ صَرْفُ الزَّمَانِ فِيـــهِ ... وَخَانَهُ صَـــبْرُهُ الْجَمِيـــلُ

أَصْبَحَ بِالْهِنْدِ فِـي انْفِـــرَادٍ ... فَلاَ عَـــشِيرٌ وَلا قَبِيـــلُ [1]

(١)الديوان ، ص ٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحدث ابن معصوم في قصيدة غزلية عن الآثار الموجودة التي قضى بها ربيع طفولته ليطفئ لهيب وجده، ونراه هنا يخاطب صاحبه ويريد منه أن يسأل الديار، أي الجزيرة العربية بشكل عام، عن مرابعها التي عاش بها مع الأهل في نجد، إذا كان مثل هذا التساؤل يفيد. ويطلب منه أيضاً أن يتوقف ويتأمل تلك المعالم لعله يسكن نار شوقه للديار . فهناك قد نال شاعرنا ما يريد من متع، وكل ما طلب أو وعد به. إن تذكره لتلك الليالي التي ذهبت، يزيد من التهاب نار شوقه، ويعبر عن حنينه، كأنه لوامتد من الهند إلى نجد لزارها، وليست له الهند بمثابة وطنه، إذ لا تقارن بنجد. وحتى النسمات التي تأتيه في بعض الليالي بالهند يعدها نسمات تأتيه من نجد،حيث يقول:

سَلِ الدِّيَارَ عَنْ أُهَيْلِ نَجـــــدِ ... إِنْ كَانَ تِسْآلُ الدِّيَارِ يُجْـــدِي

وَقِفْ بِهَاتِيكَ الرُّسُومِ سَاعَـــةً ... لَعَلَّهُ يُطْفِي لَهِيبَ وَجْـــــدِي

مَنَازِلُ قَدْ حُزْتُ فِيهَا أَرَبِـــي ... وَنِلْتُ سُؤْلِي وَقَضَيْتُ وَعْـــدِي

مَا عَنَّ لِي ذِكْرُ زَمَانٍ قَدْ مَضَى ... بِظِلِّهَا إِلاَّ وَهَـــاجَ وَقْـــدِي

أَصْبُو مِنَ الْهِنْدِ إِلى نَجْدٍ هَوىً ... وَ أَيْنَ نَجْدٌ مِنْ دِيَارِ الْهِنْـــــدِ

وَأَلْتَقِي كُلَّ رِياحٍ خَطَـــرَتْ ... أَحْسَبُهَا لَيْلاً نَسِيـــمَ نَجْـــــدِ [1]

ويتطرق فيما بعد إلى لوعته وحنينه في العودة إلى وطنه،فها هو يشكو من نار البعد وحرقة القلب التي كلمت كبده شوقا ، وثلمت خده من البكاء، وهو يتساءل متمنيا أن يجاب تساؤله في أن يعود إلى دياره ويجتمع مع أهله بعد أن تفرقوا كما تتفرق حبات العقد عند فرطه،حيث يقول:

آهِ مِنَ الْبَيْنِ الْمُشِتِّ وَالنَّـــوَى ... كَمْ قَرَّحَا مِنْ كَبِدٍ وَخَـــدِّ

فَهَلْ تَرَى يَنْتَظِمُ الشَّـمْلُ الَّذِي ... قَدْ نَثَرَتْهُ الْبَيْنُ نَثْرَ الْعِقْـــدِ [2]

ويتحدث في قصيدة غزلية أخرى عن شوقه وكلفه بالحجاز واقفا على الأطلال، ويطلب من صاحبه أن يسكب من دموعه على تلك الرمال، لأن هذه الدموع هي الدرر التي تزين تلك الأرض. ويطلب من صاحبه أن يسأل الديار عن حبه وأيامه معه، وهل سترجع تلك الأيام وما بها

---

(١) الديوان ، ص١٤٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ود، ويتحسر في النهاية على تلك الليالي وناسها، حيث يقول:

ذَاكَ ٱلْحِجَازُ وَهَـٰذِهِ كُثْبَانُـــهُ ... فَاحْفَظْ فُؤَادَكَ إِنْ رَنَتْ غُزْلَانُهُ

وَاسْفَحْ دُمُوعَكَ إِنْ مَرَرْتَ بِسَفْحِهِ ... شَغَفاً بِهِ إِنَّ الدُّمُـوعَ جُمَـانُهُ

وَسَلِ ٱلْمَنَازِلَ عَنْ هَـوىً قَضَيْتَـهُ ... هَلْ عَائِدٌ ذَاكَ ٱلْهَـوَى وَزَمَانُـهُ

لَهَفِي عَلَى ذَاكَ الزَّمَـانِ وَأَهْلِـهِ ... وَسَقَاهُ مِنْ صَوْبِ ٱلْحَيَا هَتَّانُـهُ [1]

وفي إخوانياته سجل ابن معصوم شوقه إلى الحجاز وقاطنيه من خلال قصيدة كتبها إلى عفيف الدين الثقفي، ملتاعا ومتشوقا ومتحسرا على تلك الأزمان في تلك الديار، ويذكر ساكنيه، ورياضه، فهناك ملاعبه في الصبا، وديارة التي كانت مقره. فبهذا المكان حار وتعجب من حسن القمر الذي فاق الأقمار الأخرى، حيث يقول:

آهٍ لِأَيَّامِ ٱلْحِجَـازِ وَسَاكِنِـي ... أَرْضِ ٱلْحِجَازِ وَرَوْضِهِ ٱلْمِعْـطَارِ

حَيْثُ السَّلَامَةُ مَرْبَعِي وَرُبَى ٱلْحِمَا ..... ثِلِ مَرْتَعِي وَحِمَـاهُ دَارُ قَرَارِي

كَمْ فِيهِ مِنْ قَمَرٍ قَمِرْتُ بِحُسْنِـهِ ... أَوْفَى بِغُرَّتِهِ عَلَى ٱلْأَقْمَـارِ [2]

وفي مكان آخر من القصيدة يتحدث عن المقدسات الإسلامية التي ترمز إلى حنينه وشوقه إلى الديار، ويقول حالفا بالأماكن المقدسة التي اجتمعت في مكة كالحطيم [*]، ومياه زمزم والبيت العتيق بأنه كلما أتت بخاطره تلك الديار ينفذ صبره وتجلده على هذا البين، إذ يقول:

قَسَماً بِمكةَ وَٱلْحَطِيمِ وَزَمْزَمٍ ... وَٱلْبَيْتِ ذِي ٱلْأَرْكَانِ وَٱلْأَسْتَارِ

مَا عَنَّ لِي ذِكْرُ ٱلْحِجَازِ وَ أَهْلِهِ ... إِلَّا عَدِمْتُ تَجَلُّدِي وَقَـرَارِي [3]

ويتحدث ابن معصوم عن شوقه إلي الحجاز، ويقول : عندما يناجي صاحبين له سائلا إياهما : هل تعود أيامه بمكة ويرجع إليها ؟ وهو يتمنى العودة من خلال هذا التساؤل وما يزال يشكو من العذاب الذي يلاقيه في الهند، ويتمنى أن يرتوي من ماء زمزم لعله يطفئ نارا في أحشائه مما يلاقي ويكابد، ويتساءل: أما زالت تلك الديار عامرة أم لا؟ فيذكر سويقة [*] وهي مكان كان يجتمع فيه مع أصدقائه، ويتمنى أن تعود له الأيام الجميلة الهانئة التي قضاها في

---

(١) الديوان، ص٤٦٥.

(٢)المصدر نفسه ، ص ١٨٧.

(*)الحطيم: موضع بمكة ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر. (انظر: معجم البلدان، ٢/٢٧٣).

(٣)الديوان، ص ١٨٨.

(*) سويقة: موضع قرب المدينة، يسكنه آل علي بن أبي طالب (انظر : معجم البلدان٣/٢٨٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفا، ويرجو من الله أن يروي المنطقة بين الحجون (*) والصفا، فله فيها ذكريات مع غزلان تقيم فيها، ويتمنى أن تعم الخيرات منازل أجياد جيرانه، فهو يتذكر في الأبطحين منها حمائم ساجعة، ويقول في النهاية بأن الله أحيا المعاهد في المأزمين (٢*) بالمطر الذي يجلب الخصب، فهو لا ينسى أبدا تلك الديار وما كان له بها، حيث يقول:

خَلِيلَيَّ هَلْ عَهْدِي بِمكَّـةَ رَاجِـعُ ... فَقَدْ قُلِيَتْ بِالْهِنْدِ مِنّي الْمَضَاجِـعُ

وَهَلْ شَرْبَةٌ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ تَـرْتَـوِي ... بِهَا كَبِدٌ قَدْ أَظْمَأَتْهَا الْوَقَائِـعُ

وَهَلْ عَامِرٌ رَبْعُ الْهَـوَى بِسُوَيْقَـةٍ ... فَعَهْدِي بِذَاكَ الرَّبْعِ لِلشَّمْلِ جَامِـعُ

وَهَلْ مِنْ صَفَا مِنْ سَالِفِ الْعَيْشِ بِالصَّفَا ... يَعُودُ لَنَا يَوْماً فَتَصْفُو الْمَشَـارِعُ

سَقَى اللّهُ مَابَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَـا ... مَرَابِعَ فِيهَا لِلظِّبَـاءِ مَـرَاتِعُ

وَجَادَ بِأَجْيَـادٍ مَنَـازِلِ جِيـرَةٍ ... بِهِنَّ حَمَامُ الْأَبْطَحَيْنِ سَوَاجِـعُ

وَحَيَّا الْحَيَا بِالْمَأْزِمَيْنِ مَعَاهِـداً ... فَمَا عَهْدُهَا عِنْدِي مَدَى الدَّهْرِ ضَائِعُ(١)

اجتمعت لدى شاعرنا أسباب دفعته إلى الإحساس بالغربة والحنين إلى الوطن. لأنه ترك وطنه وهو صغير، وبقي بعيدا عنه مدة طويلة، مما أدى إلى اشتعال إحساسه بنار الغربة بحرقة تعصف به ، وتشوقه إلى وطنه. فقد عانى ابن معصوم كثيرا من الغربة والبين والنوى، ومن جراء ذلك ازداد شوقه لرؤية وطنه يوما بعد يوم. واتسم حنينه إلى الحجاز بالصدق دون أدنى شك في القصائد التي عبر فيها عن مشاعره الرقيقة، وعواطفه المخلصة، وأظهر فيها ما يختلج في نفسه من لوعة وشوق إلى قطعةمن جسمه ، وهي أرض الحجاز المباركة،علاوة على أنها وطنه الأم، لذلك لا نستغرب كثرة ذكر أسماء الأماكن في الحجاز الواردة في شعره.

(*) الحجون: هو جبل بأعلى مكة (انظر معجم البلدان ، ٢/٢٢٥) .

(٢*) المأزمان : وهو موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة (انظر :المصدر نفسه، ٥/ ٤٠) .

(١)الديوان ، ص ٢٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سابعاً: الشعر المذهبي

إن التشيع مبدأ يعتمد أساساً على أن إمامة المسلمين – التي يؤمن بها الشيعة جميعا – تقوم على حق وراثي في علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومن ثم في أبنائه المختارين للنهوض بالخلافة الشرعية للمسلمين على المستويين الديني والدنيوي.

والإمام الأول عندهم هو علي بن أبي طالب الذي اختاره النبي ﷺ ، ليكون إمام المسلمين بعده، وأطلقوا على ذلك اسم الوصاية، حيث يقولون إن الرسول ﷺ أوصى لعلي بالإمامة بجوار غدير خُمّ بين مكة والمدينة، وبذلك أصبح وصي النبي وكل إمام بعده وصي لسلفه [١].

مر بنا في الفصل الأول الحديث عن المذهب الإمامي لدى ابن معصوم ودفاعه عنه بحماس شديد مستشهدا بالأدلة ، مشيرا إلى أن أهل البيت وجماعته قد تعرضوا إلى المطاردة والقتل وسلب الحقوق، سواء أكان ذلك في عهد الأمويين أم العباسيين . كما تطرقنا إلى أن مملكة «قطب شاهي» كانت تتبع العقيدة الشيعية من الإمامية، وأظهر لنا أن العقيدة الشيعية كانت منتشرة بين الممالك الواقعة في إقليم الدكن [٢]. «فقد صبغت حادثة الحسين أدب الشيعة بالحزن العميق، والرثاء النائح، والمدح المبتهل، وأمدته بمدد زاخر من المعاني والأخيلة والعواطف»[٣].

وغدت لدى الشيعة عاطفتان بارزتان اعتمد عليهما نتاج أدبهم: هما عاطفة الغضب وعاطفة الحزن؛ فأما الغضب فإنهم اعتقدوا أنهم سلبوا حقهم وغصبوه، وانتزع منهم ظلما وبهتانا، مما أثار غضبهم وجعلهم يقولون كثيرا في سبيل بيان حقهم، وفي هجاء غاصبهم، وفي شرح الظلم الذي تعرضوا إليه . وأما عاطفة الحزن، فقد نتجت عن تعرض الشيعة للمطاردة، والتعذيب ، والاضطهاد، والتنكيل المستمر من قبل الدولتين الأموية والعباسية اللتين عاملتاهم معاملة الكفرة والملحدين، كما قامتا بسفك دمائهم بين الفينة والأخرى . ولا يكاد يبرد منهم دم حتى يسيل دم آخر . فبدأت هذه الأحداث بمقتل الحسين ، وأهل بيته، فأخذت القصائد تنظم باكية مكلومة، أما الخطب الرائعة، والأقوال الدامية فقد كانت صدى عظيما للدماء المراقة،

---

(١) انظر: محمد الحسين آل كاشف الغطاء ،أصل الشيعة وأصولها ،ط١٤، المكتبة الحيدرية ،النجف،١٩٦٥،ص١٠٢-١٠٣.-ويشار إليه بـ: الغطاء ،أصل الشيعة –،والأمين ،أعيان الشيعة ،١/٦٨-٦٩،وضيف ،عصر الدول ،ص٢٦٣.

(٢) انظر : المظفر، تاريخ الشيعة، ص ٢٣٣- ٢٣٦.

(٣) حميدة، أدب الشيعة، ص١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجثث المطروحة، وظل يتردد ذلك الصدى حزنا وأسى جيلا بعد جيل [١].

يصدق سجل التاريخ ما أسلفناه، ولذلك نرى القصائد التي تتحدث عن مقتل الحسين تجيش بالعواطف الحارة الصادقة التي تكوي القلوب ألما، وتبعث في النفوس حزنا وأسى. ونجد مظاهر الحزن التي تظهر على تصرفات الشيعة في مقامات أهل البيت في هذه الأيام المتمثلة بضرب الصدور بالأكف وغير ذلك، دليل آخر على توارث هذا الحزن والأسى.

نرى معالم التشيع واضحة في ديوان ابن معصوم، خصوصا في مدائحه لعلي بن أبي طالب ، وفي رثائه للحسين، وفي بعض إخوانياته إذا كان صديقه من أهل البيت.

تطرق ابن معصوم في شعره إلى الأحداث التاريخية التي لها علاقة بعقيدة الشيعة، مثل أحداث «صفين» ، و«غديرخم»، و«كربلاء» .

وتحدث شاعرنا في قصيدته التي مدح بها عليا عن «صفين»، وما فعله عمرو بن العاص من مكر كي يجعل الحرب لصالح معاوية، فنرى شاعرنا يوجه تهمة الغي والضلال إلى معاوية، وابن العاص ، ويصفهما بالمارقين، كما يشير إلى حادثة «غديرخم» مشيدا بها، ويعدها مكانا نال فيه علي ولاية الأمر من قبل الرسولﷺ كما يقول :

وَٱلْقَاسِطِينَ وَقَدْ أَضَلَّهُمُ ... غَيُّ ٱبْنِ هِنْدَ وَخِدْنِهِ عَمْرِو

مَنْ فَلَّ جَيْشَهُمُ عَلَى مَضَضٍ ... حَتَّى نَجَوْا بِخَدَائِعِ ٱلْمَكْرِ

وَٱلْمَارِقِينَ مَنِ ٱسْتَبَاحَهُمُ ... قَتْلاً فَلَمْ يُفْلِتْ سِوَى عَشْرِ

وَغَدِيرَ خُمٍّ وَهْوَ أَعْظَمُهَا ... مَنْ نَالَ فِيهِ وِلاَيَةَ ٱلأَمْرِ [٢]

تحدث ابن معصوم في شعره عن عصمة علي ، ووصايته بعد الرسولﷺ ويشير إلى ضرورة الانقياد له كما تحدثنا عنه في الحديث عن مذهبه [٣].

وظهر الشعر المذهبي عنده في رثائه للحسين ، وهذا لون ثان من شعر الشيعة، وهو لون اتسم بالحزن في العاطفة وتمثل في القصائد التي ذرفت الدموع على مقتل الحسين ، وتذكر مناقبه

---

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط٦، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢، ٣/٣٠٠- ٣٠١ .- ويشار إليه بـ : أمين ، ضحى الإسلام-

(٢) الديوان، ص ١٦٩.

(٣)انظر مذهبه في الفصل الأول من الرسالة،ص٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع فضائله [١]، وقد اصطبغت قصيدة ابن معصوم التي رثى بها الحسين بصبغة الحزن العميق، والتفجع الصارخ ، حيث شبه ليلة مقتله بيوم الحشر بسبب عظم المأساة كما تقدم ذكرها [٢].

ونرى شاعرنا عندما يمدح السيد حسين النجفي ، يشير إلى أصله الطاهر الكريم الذي يصفه بالطهر معتمدا على النص القرآني ،حيث يقول:

وَالطَّاهِرُ الْأَصْلِ الْكَرِيمِ الَّذِي قَدْ طَهُرَتْ بِالنَّصِّ مِنْهُ الْجُدُودْ [٣]

ونرى في هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة :« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »[٤].

ومن هنا لا يخفى على العارفين مدى ارتباط الشيعة بهذه الآية الكريمة مفسرين لها على أنها قد أثبتت لهم الطهر وأبعدتهم عن الرجس، وهذا هو الذي يدعوهم إلى القول بعصمة آل البيت.

واستخدم ابن معصوم في شعره معظم المصطلحات العقدية لدى الشيعة كولاية الأمر، والوصي، والعصمة ، كما استخدم مصطلحات لها دلالات تاريخية مثل كربلاء ، والطف، وغديرخم،وعاشوراء.

كان ابن معصوم من خلال شعره صادقا تماما مع ما يؤمن به من عقيدة مذهبية ، حيث تطرق إلى قضية الخلافة، فذكر الحدث الذي وقع في غديرخم، فأقر الخلافة لعلي وأبنائه ، وعدَّهم ومن أتى بعدهم من نسلهم معصومين مطهرين من كل إثم مستشهدا بالنص القرآني كما ذكرناه آنفا.

تجلت في شعره ثلاث صور من العواطف التي تميز بها نتاج الأدب الشيعي ، وهي عاطفة الغضب،والحزن ، والحب الشديد لأهل البيت. فلم يخرج شاعرنا عما كتبه غيره من شعراء الشيعة.

---

(١) انظر شبر،أدب الطف في مواضع متعددة.

(٢) انظر الرثاء في هذا الفصل من الرسالة،ص١٠٠.

(٣) الديوان ، ص١٤٢.

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

دراسة فنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

دراسة فنية

بناء القصيدة

يحدثنا ابن قتيبة عن شكل القصيدة العربية القديمة ومرتكزاتها إذ يقول :«إن مقصّد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ...، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليُميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب...، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره وشكا النصب والسهر، وسرى الليل وحرّ الهجير وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح، وفضله على الأشباه وصغّر في قدره الجزيل .» [1].

نرى أن ابن قتيبة قد قسم القصيدة العربية إلى أربعة أقسام هي:

الوقوف على ديار الحبيبة واستذكار الآثار والدّمن فيها، ثانياً: النسيب الذي يتضمن الشكوى من شدة الوجد وألم الفراق من الحبيبة، ثالثاً: الرحلة إلى الممدوح والشكاية من السهد والسَّرى، والتعب، والمعاناة، رابعاً: المديح

يطلب ابن قتيبة من الشعراء أن يقتفوا بنظمهم أقسام القصيدة عنده حيث يقول:« فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدّل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ولم يطل ويُملّ السامعين .» [2].

هل سلم ابن معصوم من ربقة هذه الأسس التقليدية؟ وهل حذا حذْواً جديداً في شكل القصيدة في نظمه؟ وهل خرج عن الطريقة المألوفة للأقدمين أو اعتبرها نموذجاً أعلى وسار على نهجهم ؟ سوف أبحث الأجوبة عن هذه التساؤلات بالحديث عن المقدمات، والتخلص،

---

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) ،الشعر والشعراء، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٨٥، ص٢٧-٢٨ .-
ويشار إليه بـ : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء-

(٢)المصدر نفسه ، ص ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخاتمة، والوحدة في القصيدة.

١- المقدمة

أولى النقاد القدماء المقدمة في القصيدة اهتماماً بالغاً، فيرى ابن رشيق: «أن الشعر قفل أوّله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع منه، وبه يستدلّ على ما عنده في أول وَهْلة .» (١).

ويذهب ابن الأثير إلى أن الابتداء يجب أن يكون دالا على المعنى المقصود شعراً كان أو نثراً (٢). ويقول حازم القرطاجني : « يجب أن تكون المبادئ جزلة ، حسنة المسموع والمفهوم، دالة على غرض الكلام، وجيزة ، تامة .» (٣).ويرى ضرورة تناسب الافتتاح لمقصد المتكلم من جميع الجهات (٤).

قدمنا هذه الآراء النقدية حول مقدمة القصيدة لنرى مدى تمثل ابن معصوم في شعره لها.

نستطيع تقسيم المقدمات عند ابن معصوم إلى الأقسام التالية، فهي المقدمة الطللية، والمقدمة الغزلية، والمقدمة الخمرية، وغيرها من المقدمات مثل الشكوى من صروف الدهر، ووصف الطبيعة.

لقد استهل ابن معصوم معظم قصائده المدحية، والإخوانية، والغزلية، والفخرية بالمقدمات الطللية، حيث يبلغ عددها ما يقارب ثلاثاً وثلاثين مقدمة ، متمسكا بالتقاليد الموروثة لها، إذ نجده وقف على الديار ، مسلماً عليها، وسائلاً أهلها، وباكياً فيها، وداعياً لها بالسقيا، وباحثا عن الرسوم الدراسة، وإلى جانب ذلك ذاكرا محاسنها.

فنرى ابن معصوم يقف في إحدى قصائده التي مدح بها النبي ﷺ على الديار، ويطلب من الركب أن يسلموا على من يسكن في منى، والخيف(*) إذا اجتاز مداخل مكة، كما يقول:

يَا حَادِيَ الظَّعْنِ إِنْ جُزْتَ الْمَوَاقِيتَا ... فَحَيِّ مَنْ بِمِنىً وَالْخَيْفِ حُيِّيتَا (٥)

---

(١) ابن رشيق، العمدة، ٣٨٩/١.

(٢) أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت، ١٩٩٠، ٢٢٣/٢. – ويشار إليه بـ : ابن الأثير ، المثل السائر –

(٣) أبو الحسن حازم القرطاجني (ت:٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، بلا تاريخ، ص ٣٠٥.–و يشار إليه بـ : القرطاجني ، منهاج البلغاء –

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣١٠.

(*) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمي مسجد الخيف بمنى . (معجم البلدان، ٤١٢/٢) .

(٥) الديوان ، ص ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدأ في مقدمة قصيدة فخرية بالسؤال عن دار الحبيبة وآثارها البالية، هل هناك شخص آخر قد رواها بدمعه وأصبحت أنهارا ؟ وهل هناك من نار اتقدت في جنباتها غير نار الجوى التي ألهبت أحشاءه، وبعد ذلك يتساءل:

هل كان هذا البكاء على آثارها الدارسة وذاك العويل إلا بسبب الحنين والشوق الذي يملأ قلبه، حيث يقول:

سَلاَ دَارَهَا أَنْ أَنْبَأَ الطَّلَلُ الْقَفْـــرُ ... أَجَادَ فَرَوَّاهَا سِوَى أَدْمُعِي قَطْرُ

وَهَلْ أَوْقَدَ السَّارُونَ نَاراً بِأَرْضِهَا ... فَكَانَ لَهَا إِلاَّ لَظَى كَبِدِي جَمْـــرُ

وَمَا شَغَفِي بِالدَّارِ أَبْكِي رُسُومَهَا ... وَأَنْدُبُهَا لَوْلا الصَّبَابَةُ وَالذِّكْـــرُ [١]

وفي مقدمة إحدى إخوانياته يدعو في البداية بالسقيا لأرض الحجاز ونباتها ومرابع حدائقها ورمال صحرائها، حيث يقول :

سَقْياً لِمَثْنَاةِ الْحِجَازِ وَطِيبِهَا ... وَلِسُوحِ رَوْضَتِهَا وَسَفْحِ كَثِيبِهَا [٢]

رأينا أن ابن معصوم في هذه المقدمات الطللية لم يخرج عما رسمه القدماء، فقد اتخذها مقدمة مباشرة للخوض في الموضوع الذي يتوخاه كما فعل أسلافه من الشعراء ، وربما جاءت هذه المقدمات الطللية تقليداً على المنهج الذي سار عليه شعراء المديح النبوي كما أشار إليه ابن حجة الحموي [٣].ولعل هذه المقدمات الطللية قد جاءت رمزاً لحنينه الشديد إلي الوطن وقد تحدثنا فيما مضى أن اضطرار ابن معصوم إلى العيش والبقاء بعيداً عن مسقط رأسه الحجاز، جعله يحتفظ بصورة الطلل، ويحييها في خاطره. لأنه لم يعد إليها إلا بعد أن اشتعل رأسه شيبا.

وجدير بنا أن نشير هنا إلى أن ابن معصوم لم يقف في مقدماته الطللية على أماكن هندية مع أنه قضى معظم حياته هناك، حتى بعد أن فارقها كهلاً، حيث ذكريات الطفولة عن الدار والديار لا تزال تئن وتصرخ في أعماقه.

---

(١) الديوان.، ص٢١٦.

(٢)المصدر نفسه، ص٥٥.

(٣) انظر ابن حجة ، خزانة الأدب، ٣٦/١ – ٣٧. كذلك قسم المديح في الفصل الثاني من الرسالة،ص ٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المقدمات الغزلية، فليس له منها سوى ست مقدمات، ولعل سبب هذا يعود إلى إفراد ابن معصوم بابا كبيرا للغزل في شعره، مما لا ريب فيه أن الحديث عن النسيب أقرب إلى النفوس، وألصق بالقلوب [١].

فقد بلغ عدد قصائده الغزلية ما يربو على ثمان وستين من بين تسع وأربعين ومائة قصيدة، إذن لا نستغرب قلة افتتاحه بالمقدمات الغزلية. وجاءت هذه المقدمات استهلالا لقصائده المدحية والإخوانية. فكثيرا ما نرى هذه المقدمات تمهيدا لغرض الشاعر وتقليدا للموروث الشعري. اتسمت هذه المقدمات الغزلية بسهولة اللفظ ورقيق المعاني كما نراها في مقدمة قصيدته التي مدح بها والده يخاطب محبوبته الملتفحة بملاءتها والمستترة بخمارها بأن تتركه وتذهب، لأن اللهو ليس من عادته ، ويكمل وصف الفتاة وقامتها الجميلة ، ويقول لها إن كفيه في استغناء عن هذا الجمال البديع ، كما يقول لها أيضاً بأنه ابتعد عن كل الملذات وأعرض عن واردات النبع والغاديات عنه، حيث يقول:

أَرَبَّةَ الْخِدْرِ ذَاتَ الرَّيْطِ [*] وَالْخُمُرِ ... إِلَيْكِ عَنِّي فَمَا التَّشْبِيبُ مِنْ وَطَرِي

فِي كُلِّ قَامَةِ عَسَّالٍ تُـــأَوِّدُهُ ... كَفَّايَ لِي غِنْيَةٌ عَنْ قَدِّكِ النَّضِرِ

طَوَيْتُ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يُسْتَلَـــذُّ بِهِ ... كَشْحاً وَأَغْضَيْتُ عَنْ وِرْدٍ وَعَنْ صَدَرِ [٢]

أما فيما يتعلق بالمقدمات الخمرية، فلم يكثر ابن معصوم من استهلال قصائده بها . فجاءت هذه المقدمات الخمرية استهلالا لخمس قصائد، ثلاث منها غزلية، وقصيدتين إخوانيتين. ولم يضف ابن معصوم أي جديد إلى ما جاء به الشعراء السابقون، فأتت هذه المقدمات تمهيداً للغرض الذي يهدف إليه كما نرى في مقدمة قصيدته التي مدح بها صديقه حسين بن شرف الدين النجفي يخاطب فيها الساقي ويطلب منه أن يسكب له الخمر في الكأس الكبير، لأن ما صغر منه أصبح لا يفعل فعله، ويصفها أيضاً واضحة جلية في الكأس تلتمع كأشعة الشمس المنعكسة على وجه القمر هبطت من عليائها لتتموج في راح ذلك الساقي ، حيث يقول:

أَدِرِ الْمُدَامَةَ بِالْكَبِيـــرِ ... فَالْوَقْتُ ضَاقَ عَنِ الصَّغِيـــرِ

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٢٧-٢٨، انظر ابن رشيق العمدة ، ١/٣٩٧-٣٩٨.

(*)الريط: جمع الريطة وهي الملاءة ،ابن منظور، لسان العرب، ٥/٣٩٠.

(٢) الديوان ، ص ١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَاسْتَجْلِهَا عَنْ كَأْسِهَا كَالشَّمْسِ فِي الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
نَزَلَتْ مِنَ الْفَلَكِ الْمُدَارِ تَلُوحُ فِي كَفِّ الْمُدِيرِ (١)

كما افتتح ابن معصوم عددا من قصائده بمقدمات أخرى مثل الشكوى من صروف الدهر، ووصف الطبيعة . يقول في الشكوى من صروف الدهر متسائلا هل ستبقى الأيام المتتالية محبطة لما يريد ويتمنى ؟ وكذلك هل سيبقى الدهر يزيد من القساوة عليه بالمصائب ؟ يقول:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلأَمَانِي تَكْذِيبُ وَلِلدَّهْرِ تَصْعِيدٌ عَلَيْنَا وَ تَصْوِيبُ (٢)

أما فيما يتعلق بمقدمة وصف الطبيعة يقول مخاطبا جليسه متسائلا إياه إن كان يرى الطيور التي تشدو في الدوحة والحديقة ، قد كبرت بها ما يزيدها نفثاً للطيب ويطلب منه أن يقف ليذهبا إليها، ويريا تلك الوردة التي عانقت نرجسة، ولينظر إلى أزهارها التي فاحت روائحها الطيبة ولونها الأحمر المتلألئ في الظلام كالجمر أو شرر النار ، كما يقول:

أَمَا تَرَى الأَيْكَ قَدْ غَنَّتْ صَوَادِحُهُ وَالرَّوْضَ نَمَّتْ بِرَيَّاهُ نَوَافِحُهُ
فَانْهَضْ إِلَى وَرْدَةٍ حُفَّتْ بِنَرْجِسَةٍ حَبَابُهَا زَهَرٌ طَابَتْ رَوَائِحُهُ
حَمْرَاءَ يَسْطَعُ فِي الظَّلْمَاءِ سَاطِعُهَا كَأَنَّهَا شَرَرٌ أَوْرَاهُ قَادِحُهُ (٣)

حرص ابن معصوم على الملاءمة والتناسق بين مطلع القصيدة وموضوعها كما نراه في مطلع رثاء أخته، حيث يقول:

بَكَيْتُ أَسىً لَوْ رَدَّ عَنْكِ الْبُكَا حَتْفَا وَأَعْوَلْتُ وَجْداً لَوْ شَفَتْ عَوْلَةٌ لَهْفَا (٤)

وقد ضمن ابن معصوم هذا المطلع البكاء، والحزن، والوجد، وطول العويل عليها، وبهذا الأسلوب استطاع أن يلفت انتباه المتلقي إلى موضوع القصيدة من خلال انسجام بيتها الأول مع الموضوع وهو الرثاء.

ومن محسنات المطلع أن يكون مصرّعاً، والتصريع « تصيير مقطع المصراع الأول في

(١) الديوان، ص ١٩٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٢.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٢.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها .» [١] . والتصريع عند النقاد ينم عن قوة طبع الشاعر وثقافته الواسعة [٢]. وأشادوا بقيمة التصريع في مطلع القصيدة لأنه «يميز بين الابتداء وغيره، ويفهم منه قبل تمام البيت روي القصيدة وقافيتها »[٣] . وانطلاقاً من هذه القاعدة نرى معظم مطالع القصائد عند ابن معصوم مصرعة، وقد جاءت دون تكلف وعناء.

لاحظنا فيما مضى أن ابن معصوم تقيد بما جاء به القدماء من مقدمات القصيدة، ورأيناه حريصاً على أن يحافظ عليها وألا يخرج من نطاق الموروث الشعري ، لعل مرد ذلك يرجع إلى إقامة شاعرنا في ديار بعيدة عن البلاد التي تنطقها اللغة العربية،مما جعله يتمسك بالتراث السالف أشد تمسكا.

٢- التخلص

إن انتقال الشاعر من جزء إلى آخر في القصيدة كان من الموضوعات التي أثارت اهتمامات النقاد .فالانتقال من المقدمة إلى الغرض يعرف عند النقاد بالخروج ، أو التخلص، أو التوصل [٤]، حيث يقول ابن رشيق :«وأولى الشعر أن يسمى تخلصا، ماتخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ، ثم عاد إلى الأول، أو أخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه.»[٥]. واشترط النقاد الدقة في الانتقال، وتهيئة الألفاظ، والمعاني الملائمة كي تبقى الصلة والعلاقة قائمة مابين المعنى والذي يليه، وهذا ما يسمى حسن التخلص [٦]. وفي هذا الصدد يقول لنا ابن معصوم بأنه: « عبارة عن أن ينتقل المتكلم مما ابتدأ به الكلام من غزل، أو نسيب، أو فخر ، أو وصف، أو غير ذلك إلى المقصود؛ على وجه سهل برابطة ملائمة، وجهة جامعة مقبولة يختلس به المقصود اختلاسا رشيقاً، بحيث لا يتفطن السامع للانتقال من المعنى الأول إلا وقد رسخت ألفاظ المعنى

(١) أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت:٣٢٧)، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ، ص ٨٦. – ويشار إليه بـ : قدامة ، نقد الشعر –

(٢) ابن رشيق ، العمدة، ٣٢٦/١.

(٣) يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، ط ٢، دار الأندلس ،بيروت،١٩٨٢،ص١٧٤ . –ويشار إليه بـ : بكار ، بناء القصيدة–

(٤)انظر ابن رشيق ، العمدة، ٤١٢/١.

(٥) المصدر نفسه، ٤١٢/١.

(٦) ابن حجة، خزانة الأدب، ٣٢٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني في السمع، وقر معناه في القلب لشدة الالتئام بينها.» [١]، ويشير إلى أن أحسنه ما كان في بيت واحد، وما كان من الغزل إلى المدح، متطرقا إلى أنه من المواضع الضرورية التي يجب على الشاعر أن يتأنق فيها، لأن المتلقي يرصد الانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون ، فإذا كان حسنا منسجم الطرفين يلفت انتباه القارئ ، ويعين على إصغاء ما بعده، وإلا فبالعكس[٢].

ونرى خير مثال لذلك في بديعيته حيث انتقل فيها من النسيب إلى الغرض الرئيس وهو مدح النبي ﷺ مباشرة طبقا لما حدد في تعريفه لحسن التخلص، غير أنه استطاع ذلك في بيت واحد، حيث يقول:

لاَ بَرَّ صِدْقِي وَعَزْمِي فِي الْعُلَى قَسَمِي ... إِنْ لَمْ أَرُدَّكِ رَدَّ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ

وَقَدْ هُدِيتُ إِلَى حُسْنِ التَّخَلُّصِ مِنْ ... غَيِّ النَّسِيبِ بِمَدْحِي سَيِّدِ الْأُمَمِ

مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْهَادِي الْبَشِيرُ بْنُ ... عَبْدِ اللَّهِ فَخْرُ نِزَارٍ بِاطِّرَادِهِمِ [٣]

وقد أحسن ابن معصوم التخلص في هذه الأبيات ، حيث انتقل فيها من المقدمة إلى الغرض الأساسي من حيث لا يشعر المتلقي بالخروج من المعنى الأول إلى المعنى الثاني، إذ كان الحديث عن النسيب قبل الانتقال ،ومن ثم خرج من الحديث عن النسيب إلى هدايته بحسن التخلص وهو الخلاص من ضلال النسيب بمدحه للرسول ﷺ ، وينتقل بعد هذا البيت إلى وصف الرسول ﷺ. كما استطاع ابن معصوم أن يستوفي حق البيت باستخدام لفظة النسيب قبل لفظة المديح لتتلاءم أجزاء البيت كي تبقى الصلة قائمة بينها.

أجاد ابن معصوم التخلص في قصيدته التي يمدح فيها النبي ﷺ، فهو يستهلها بالمقدمة الغزلية، ثم ينتقل إلى ذكر الأطلال التي رمزت إلى شوقه للحجاز مع الشكوى عن بعده عن الدار ، وينتقل منه إلى مدح الرسول ﷺ دون اقتضاب [٠]. لأن ما بين شكوى شاعرنا ومدح الرسول ﷺ علاقة مباشرة وهي طلب العون من النبي ﷺ في الأوقات الملمة، إذ يقول:

لَسْتُ أَشْكُو لَفْحَ نِيرَانِ الْجَوَى ... إِنْ يَكُنْ لِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَفْحُ

---

(١) ابن معصوم، أنوار الربيع، ٣/٢٤٠.

(٢)المصدر نفسه ، ٣/٢٤٠.

(٣) الديوان، ص ٣٧١-٣٧٢. وانظر للمزيد قسم المديح في الفصل الثاني من الرسالة،ص٧٣.

(٠) هو خلاف التخلص وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي فيه ، ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثاني علاقة بالأول. (معجم المصطلحات البلاغية،١/٢٨١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ وَالْمَوْلَى الَّذِي غَمَرَ الْخَلْقَ لَهُ مَنٌّ وَمَنْحُ [١]

وأحسن الخروج في مكان آخر من قصيدته التي مدح بها ابن معصوم والده مستهلا بالمقدمة الطللية، ومن ثم انتقل إلى الحديث عن الخمر ولذتها ، رابطا كلامه بالفخر كي يتهيأ له المقام للانتقال إلى مدح والده، حيث يقول:

لَقَدْ طَلَبْتُ الْعُلَى حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَا لاَ يُنَالُ فَكَانَتْ مُنْتَهَى أَرَبِي

حَسْبِي مِنَ الشَّرَفِ الْعَلْيَا أُرُومَتُهُ أَنْ أَنْتَمِي لِنِظَامِ الدِّينِ فِي حَسَبِي

هَذَا أَبِي حِينَ يُعْزَى سَيِّدٌ لأَبٍ هَيْهَاتَ مَا لِلْوَرَى يَادَهْرُ مِثْلَ أَبِي

قُطْبٌ عَلَيْهِ رَحَى الْعَلْيَاءِ دَائِرَةٌ وَهَلْ تَدُورُ الرَّحى إِلاَّ عَلَى الْقُطُبِ [٢]

لاحظنا في هذه الأبيات أن الغرض الرئيس للشاعر هو مدح أبيه، وموضوع الفخر مناسب للانتقال إلى المديح، كما نرى هنا تكامل المعاني بالانتقال إلى المدح حيث يطلب شاعرنا العُلى ويقول في البيت الذي يليه بأنه يكفيه انتماؤه لنظام الدين، ومن ثم ينتقل إلى مدح أبيه ويقول عنه إنه شرف إذا نسب الشريف لأبيه، ومن أين يجد البشر في الزمن شرفا مثل أبيه ، فهو مركز حجر الرحى وممسكه، وهل هناك دوران دون هذا المركز ؟ فأبوه إذن مركز العلم والحكمة ، ولا حياة مثلى دونه.

٣- الخاتمة

ونرى أهمية الخاتمة في وجهة نظر النقاد لأنها :« قاعدة القصيدة، وآخرما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون مُحكما ... وإذا كان أول الشعر مفتاحا له، وجب أن يكون آخره قفلا عليه. »[٣] . فهي « منقطع الكلام وخاتمته .فالإساءة فيه معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس.ولا شيء أقبح من كدر بعد صفو وترميد بعد إنضاج .»[٤].

فينبغي أن تكون الخاتمة «بمعان سارة فيما قصد به التهاني والمديح وبمعان مؤسية فيما قصد به التعازي والرثاء. وكذلك يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه، وينبغي أن يكون اللفظ فيه

---

(١) الديوان، ص١١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٠.

(٣)ابن رشيق، العمدة ، ١/٤١٥.

(٤)القرطاجني، منهاج البلغاء ، ص٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستعذباً، والتأليف جَزلا متناسباً، فإن النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شيء آخر.»[١].

اهتم ابن معصوم بخواتم قصائده، فسعى إلى تجويدها، وتحسينها وتهذيبها، وتنقيحها مثلما حرص على أن يستهلها بمطالع جيدة.

واستطاع ابن معصوم أن يأتي بمعان تتناسب مع مايريد الوصول إليه، حيث يقول في قصيدته التي رثى فيها والده:

لاَ زَالَ يُتْحِفُكَ الْإِلهُ بِرَحْمَةٍ ... مِنْ فَضْلِهِ بِلَطَائِفِ الْإِتْحَافِ

وَعَلَيْكَ مِنِّي مَا حَيِيتُ تَحِيَّةً ... تَغْشَى ضَرِيحَكَ دَائِماً وَتُوَافِي [٢]

فهذه الخاتمة تتناسب مع جو القصيدة العام وهو جو الرثاء ، فقد انبثقت انبثاقا طبيعياً مما سبقها من معان وأفكار.

ويقول في إحدى غزلياته:

وَمَنْ يُنَاظِرُنِي فِيهِ وَقَدْ نُشِرَتْ ... عَلَى مَفَارِقِ لَهْوِي مِنْهُ رَايَاتُ

وَاسْتَفْرَغَتْهُ صَبَابَاتِي فَمَا بَقِيَتْ ... بَعْدِي لِأَهْلِ الْهَوَى إِلاَّ صُبَابَاتُ [٣]

استطاع ابن معصوم هنا أن يختتم قصيدته بهذه المعاني الغزلية الرقيقة التي تعبر عن حاله الوصِب من العشق الخالص نحو محبوبته بشكل رائع يجعلك تحس أنه لا بد من التوقف وإنهاء القصيدة عنده.

ويقول ابن معصوم في إحدى مدائحه لوالده:

فَخُذْهَا نِظَامَ الدِّينِ وَابْنَ نِظَامِهِ ... مُحَبَّرَةً تَزْهُو بِحُسْنِ نِظَامِهَا

ضَنَنْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ سَمْعٍ وَإِنَّمَا ... مَدِيحُكَ كَانَ الْيَوْمَ فَضَّ خِتَامِهَا [٤]

إن هذا الختام ختام مناسب لطبيعة موضوع القصيدة، لأن المقام مقام المدح ،وكان ابن معصوم صادقاً مع نفسه في هذه المعاني التي أتت في نهاية القصيدة.

---

(١)القرطاجني، منهاج البلغاء، ص٣٠٦.

(٢) الديوان، ص ٣٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٩١.

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأينا كيف تمكن ابن معصوم من اختتام قصائده بخواتم ملائمة حسب موضوعات القصيدة. فكان محسنا فيها حيث أتى بقفل مناسب لا يأتي بعده أفضل منه.

٤- الوحدة

لا يمكننا تجاهل قضية الوحدة في بناء القصيدة العربية، لأنها من العناصر الأساسية التي يقوم عليها بناء القصيدة. إن الوحدة تقوم على وحدة الموضوع والتناسب بين الأجزاء، وارتباط المعاني بعضها ببعض، والمعاني والأفكار في القصيدة كالخصائص التي تتشكل منها اللوحة الفنية، متلاصقة الأجزاء و متلاحمة العناصر فيما بينها.

وكانت عناية النقاد القدماء بتلاؤم أجزاء القصيدة وتناسبها لا تقل عن اهتمامهم بجوانبها الأخرى، فقد أولى ابن طباطبا عنايته للتأمل في تأليف الشعر وتنسيق أبياته والملاءمة بين أجزائها[١]. كما يقول إن أحسن الشعر: «ماينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله... يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجا وحسنا وفصاحة ، وجزالة ألفاظ، ودقة معان، وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا ... حتى تخرج القصيدة كأنها مفرَّغة إفراغاً ... لاتناقُضَ في معانيها، ولا وَهْيَ في مبانيها، ولا تكلفَ في نسجها ، وتقتضي كل كلمة ما بعدها ، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها .»[٢].

ومن هنا سنحاول أن نتبين قصائد ابن معصوم من ناحية الوحدة ومدى تمثلها. فنرى أن هناك قصائد ذات غرض واحد وقصائد ذات أغراض متعددة.

نلاحظ خير أمثلة للقصائد ذات الغرض الواحد في مراثيه، إذ قامت كلها على غرض واحد، وهو إظهار الحزن نحو من فقده من أعزائه ، ونثر مفاخرهم ومناقبهم وقيمتهم بالنسبة له، وإقرار النهاية المحتومة التي لا مفر منها ، وهي حقيقة الموت، والحديث عن المعاني المتصلة بها،

---

(١) محمد أحمد بن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢ هـ)، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الستار، مراجعة : نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٢، ص ١٢٩ .- ويشار إليه بـ : ابن طباطبا ، عيار الشعر -

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والانتهاء بالدعاء لهم والصلاة عليهم كما نرى ذلك جليا في قصيدته التي رثى بها ابنه، مطلعها:

تَفْديكَ لَوْ قَبِلَ الْمَنُونُ فِدَاهَا نَفْسٌ عَلَيْكَ تَقَطَّعَتْ بِأَسَاهَا (١)

نلاحظ في هذه القصيدة التي بلغت خمسة وستين بيتا، كيف دارت المعاني حول غرض واحد،حيث يبدأ شاعرنا بإظهار حزنه على ولده الذي فجعه موته إلى حد دفعه إلى أن يتمنى الموت قبله وأن يسقى بكأس الردى، ومن ثم ينتقل إلى الحديث عن مكانة ابنه لديه، كان قرة عينه. ويشيد به في محاسنه ويصور الأيام التي قضاها معه، ومن ثم ينتقل إلى الحديث عن حتمية الموت. ويدعو له في خاتمتها بالسقيا (٢). وقد استطاع ابن معصوم أن يجعل القصيدة في تناسق تام بين أولها وآخرها ، والقصيدة هنا كجسم واحد توحدها أجزاؤها المتلاصقة فيما بينها. كما نرى في هذه القصيدة وحدة المشاعر ، لأن القصيدة يجب أن تكون قوية بين أجزائها ، صادرة عن وجهة وحدة الموضوع، ووحدة الفكر فيه، ووحدة المشاعر التي تنبثق منه (٣)، كما يجب أن يكون الانسجام الداخلي والخارجي للقصيدة، لأنها:« بناء يتركب من العناصر والقوى التي تتظاهر على نحو يتم فيه تكامل المعاني الشعرية المتبلورة في حقائق لغوية، فالعالم الذي تتألف منه القصيدة عالم متجانس تتلاقى أفكاره ، وتتعاقب في حركة مطردة.»(٤).

تمكن شاعرنا من التعبير عما يجول في خاطره من مشاعروإبرازه إلى العالم الخارجي من خلال المعاني التي يكتمل بعضها مع بعض من خلال تسخير اللغة في عالم متجانس تلتقي فيه أفكاره التي أراد الوصول إليها.

أما قصائده ذات الأغراض المتعددة فنراها متمثلة في قصيدته التي مدح بها أباه، ويستهلها بالوقوف على الأطلال:

أَفِي كُلِّ رَبْعٍ لِلْمَطِيِّ بِنَا وَقْـفُ وَفِي كُلِّ دَارٍ مِنْ مَدَامِعِنا وَكْـفُ

وينتقل منه إلى موضوع آخر وهو وصف عيون حبيبته الناعسة بقوله:

ثَقِيلَةُ غَضِّ الطَّرْفِ وَسْنَى كَأَنَّمَا سَبَتْ سِنَةَ العُشَّاقِ أَجْفَانُهَا الوُطْفُ

---

(١) الديوان ، ص ٤٧٧.

(٢) انظر للمزيد قسم الرثاء في الفصل الثاني من الرسالة،ص٩٩.

(٣)محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت ، ١٩٨٧، ص٣٤٣. – ويشار إليه بـ : هلال ، النقد الأدبي.–

(٤) لطفي عبد البديع، التكامل في القصيدة العربية ، مقال ضمن كتاب : إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين تحت إشراف عبد الرحمن بدوي، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢، ص ١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ثم نراه ينتقل من الغزل إلى مدح أبيه ويذكر محامده بقوله:

كَرِيمٌ إِذَا مَا انْهَلَّ وَابِلُ كَفِّهِ وَصَوْبُ الْحَيَا لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا كَفّ

ومن ثم ينتقل منه إلى تهنئة والده بمناسبة عيد الأضحى ، إذ يقول:

وَأَمَّكَ عِيدُ النَّحْرِ بِالسَّعْدِ مُقْبِلاً وَ أَمَّ عِدَاكَ النَّحْرُ والذُّلُ وَالْخَسْفُ

وينتقل من التهنئة إلى الافتخار بشعره حيث ينهي قصيدته به :

وَدُونَكَهَا عَذْرَاءُ بِكْراً زَفَفْتُهَا إِلَيْكَ وِدَاداً حَلْيُهَا النَّظْمُ وَالرَّصْفُ [1]

ونرى ذلك في مدائحه النبوية، وإخوانياته. ومن الملاحظ أن هذه الأغراض المتعددة تحوم حول فكرة واحدة وهي غرض الشاعر الأصلي في القصيدة.

أما بالنسبة لطول القصيدة عند ابن معصوم، فنستطيع القول : إنه كان طويل النفَس، حيث زادت بعض مدائحه على ستين بيتا، ونرى أطولها بديعيته التي مدح بها الرسولﷺ إذ بلغت مائة وأربعة وخمسين بيتا.

وكذلك طال نفسه في إخوانياته ومراثيه ، إذ زاد بعضها على ثلاثة وستين بيتا، وبعضها الآخر على خمسة وستين بيتا. ونرى مع هذا الطول في النفس فيما سبق قصراً في غزلياته ، إذ إن معظمها لم يزد على ثلاثين بيتا.

الأسلوب واللغة

الأسلوب عنصر مهم في العمل الأدبي ، لأنه قالب يسكب فيه الكاتب أفكاره، وعواطفه، ومسلك يسلكه في إخراج ما في داخله، وصبغة تصطبغ بها كتاباته، ويتميز بها انتاجه[2]. كما أنه : « ضرب من النظم والطريقة فيه »[3].

إن الأساليب تتغير بتعدد اتجاهات الكتاب ، لأنها تبرز شخصياتهم في أعمالهم.

وقد اعتمد ابن معصوم في قصائده على أساليب الشعر السالفة من حيث مقدماتها ولغتها، وصياغتها، وبحورها الطويلة، كما اعتنى بأن تناسب لغة القصائد موضوعاتها، لأن موضوعات

---

(١) الديوان، ص ٢٩٣- ٢٩٥.

(٢) عبد الحميد حسن، الأصول الفنية للأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٤٩، ص ١٨٣ . - ويشار إليه بـ : حسن ، الأصول الفنية -

(٣) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨٩، ص ٤٦٩ .- ويشار إليه بـ : الجرجاني ، دلائل الإعجاز-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر هي التي تحدد طبيعة ألفاظ القصيدة، فمثلاً يكون الأسلوب في الحماسة قويا شديدا، وفي الغزل رقيقا عذبا [١]. فقد أشار النقاد إلى ضرورة اختلاف الأساليب حسب الموضوعات الشعرية، فيقول القاضي الجرجاني في هذا الصدد :« أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك؛ ولا هزلُك بمنزلة جدّك، ولا تعريضُك مثل تصريحك؛ بل تُرتّب كلاً مرتبته وتوفّيه حقّه، فتُلطف إذا تغزلتَ، وتُفخّم إذا افتخرتَ،وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ...» [٢]. ويقول قدامة بن جعفر «ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة، واللطافة، والشكل، والدماثة، كان ما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة.» [٣].

نستطيع أن نستشف من كل هذا دليلا على ضرورة انتقاء الألفاظ حسب طبيعة الأغراض الشعرية التي يتناولها الشاعر، لأن ثمة ألفاظاً تتواءم مع الموضوع وثمة ألفاظاً لاتتواءم معه، ولذلك لابد من مراعاة مناسبة الكلام لمقتضى الحال.

إذا ألقينا نظرة متفحصة على شعر ابن معصوم لنرى مدى مراعاته مناسبة الكلام للموضوع المطروق . فإننا نجد أن أسلوبه في قصائده الغزلية تتسم بالرقة، مراعيا فيها طبيعة الموضوع، ونرى فيها كلمات توحي بالرقة، والعذوبة ، وحلاوة المعنى. فمثلاً ؛الزهر، والفجر، وروض الدجى، والصبح المنير ، وبدر التمام، والقمر، وتتبسم، وغادة، وشمس الضحى، والعطف الوشيج، والفؤاد، والهوى، ونار الجوى، والخدّ، والجيد. كل هذه المفردات رقيقة لينة تخلق جوا جميلاً في النفوس وتخاطب مشاعر الناس بعفوية، تحرّك القلوب بحلاوتها [٤].وقد أصاب ابن معصوم في اختيار الكلمات، ومن ذلك استخدامه كلمة «الجيد» بدلا من «العنق»

---

(١) انظر أحمد الشايب ، الأسلوب ، ط ٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٧٩ – ويشار إليه بـ : الشايب، الأسلوب.–

(٢)القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت:٣٩٢هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد البيجاوي ، دار القلم، بيروت، بلا تاريخ ، ص ٢٤. – ويشار إليه بـ : الجرجاني ، الوساطة –

(٣) قدامة، نقد الشعر ، ص ١٩١.

(٤) انظر الديوان ، ص ١٩٠، ٣٨٥. كذلك قسم الغزل في الفصل الثاني من الرسالة،ص٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دليل على دقة اختياره في الألفاظ وتعمقه في العربية لأن «العنق» يستخدم في مقام الذم، و«الجيد» في مقام المدح. وقد أسعف شاعرنا في ذلك قاموسه اللغوي الواسع في اللغة العربية، ولعل سر نجاحه يكمن فيه، لأن الأديب الناجح المتمكن هو الذي «يساعده قاموسه اللغوي على دقة المنطق ، والدلالة المسددة ، والتوصيل الإيجابي .»[١].

أما في قصائده المدحية فنرى الثناء على الممدوحين من خلال الألفاظ الجزلة والمعاني الجميلة الواضحة الصورة، وإن كان يميل إلى المبالغة في كثير من الأحيان كما نراه في قصيدته التي مدح بها حسين بن شدقم، ومطلعها:

يَا كَوْكَباً لَمْ تَحْوِهِ الْأَفْلاَكُ وَبِعَارِضَيهِ مِرْزَمٌ وَسِمَاكُ[٢]

وكذلك نراه في قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ ، ومطلعها:

تَذَكَّرَ بِالحِمى رَشَأً أَغَنَّا وَهَاجَ لَهُ الْهَوَى طَرَباً فَغَنَّى [٣]

فإنه ينتهج أسلوباً يتسم بالوضوح. ويستخدم ألفاظاً جزلة تتناسب مع طبيعة الموضوع. إن الكلمات والتراكيب اللغوية التي اشتملت عليها القصائد مثل الهمام، وأخي العلى ، والجود ، والندى ، وهدى، وكريم، والمجد، وشرف ، وفخر، فخمة جزلة جاءت في المكان المناسب بعيدا عن الأسلوب المعقد.

أما في رثائه فتتجلى صورة الحزن والألم التي تبعث في النفوس أسى وأذى ، لأن الرثاء فن التعبير عن الحزن والأسى ، ولسان القلوب المكلومة، ومعرض الوفاء نحو الفقيد، والصبر، والتأمل أمام الرزايا التي بلي بها الإنسان بين الفينة والأخرى.

وتحدثنا فيما مضى عن أسلوبه الشجي من حيث اختيار الألفاظ والمعاني الموحية للحزن والألم جراء المصائب ، واستخدم ابن معصوم المفردات والتراكيب اللغوية المناسبة للموضوع

---

(١)أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، دار النهضة العربية، بيروت ، ١٩٨١، ص ١٤٩. – ويشار إليه بـ : زكي، النقد الأدبي –

(٢) الديوان ، ص ٣١٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣٧. انظر أيضاً قسم المديح في الفصل الثاني من الرسالة،ص٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطروق مثل الحمام، والردى، والبكاء، والختف، والعويل، والوجد، والصبر، وكف الدهر، والعزاء، والحزن، والمقابر، والأشجان، والجفن المقروح، والعبرة ، والمنون، والأسى، والنفس المتقطعة ،وما أشباهها [١]، فالكلمات كلها تشعل معانيها نارا والأبيات التي تعتمد على هذه المفردات دقيقة في بنيانها ، لأنها تصور الحزن والأسى ، والجزع ، وكارثة الموت، والردى.

من خلال عرضنا نستطيع القول إن أسلوب ابن معصوم تغير باختلاف الموضوعات والمقام متقيدا بما أشار إليه النقاد ، ولم يخرج عن المألوف. واتسم أسلوبه بالرقة والعذوبة في غزله، كما اتسم بالوضوح باعثا في النفوس حزنا وأسى مبتعدا في ذلك عن التعقيد في رثائه. ونرى في مدائحه أسلوبه المتسم بالجزالة والفخامة ، وذلك باختياره كلمات مناسبة طبقا لما تستلزم الموضوع.

أساليب التعبير في شعر ابن معصوم

استخدم ابن معصوم للتعبير عن مشاعره وسائل عدة، منها :

أ- التضمين والتأثر بالشعراء:

وهو ما يسمى عند ابن المعتز حسن التضمين [٢]. وهو كما يقول أبو هلال :« استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك ، وإدخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك تضمينا وهذا حسن.»[٣]. وقد ضمن ابن معصوم قصائده تلك الأنصاف والأبيات من قصائد الشعراء الذين بزغت نجومهم في الأدب العربي مثل زهير بن أبي سُلمى ، ولبيد بن ربيعة ، والفرزدق ، وأبي نواس، والمتنبي ، وابن الفارض.

يقول في قصيدته الفخرية:

« وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِّيَّ إِلاَّ وَشِيجُهُ » وَيَطْلَعُ إِلاَّ فِي حَدَائِقِهِ الزَّهْرُ[٤]

صدر البيت مضمّن من بيت لزهير بن أبي سُلمى وعجزه :

«وَتُغْرَسُ إِلاَّ فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ »[٥]

ويقول في فخريته نفسها :

---

(١) انظر قسم الرثاء في الفصل الثاني من الرسالة،ص٩٦-١٠٣.

(٢) عبد الله بن المعتز (ت : ٢٩٦ هـ) ، كتاب البديع، نشر : إغناطيوس كراتشقوفسكي، ط٣، دار المسيرة، بيروت ، ١٩٨٢، ص ٦٤.- ويشار إليه بـ :ابن المعتز ، البديع -

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت : ٣٩٥ هـ)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق : مفيد قميحة ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٧. - ويشار إليه بـ : العسكري ، الصناعتين-

(٤)الديوان : ٢١٧.

(٥) زهير بن أبي سلمى (ت: ١٣ هـ) ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه : أبو العباس ثعلب، تقديم : حنا نصر الحتّي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٢، ص ١٠٧. - ويشار إليه بـ : ديوان زهير بن أبي سلمى -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« أُولئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ » إِذَا جَمَعَ الْأَقْيَالَ أَنْدِيَةٌ زُهْرُ (١)

صدر البيت مضمن من بيت للفرزدق ، وعجزه : « إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ » (٢)

ويقول في إحدى إخوانياته:

وَحكَتْ عَوَارِفُهُ مَعَارِفَهُ «فَتَدَفَّقَا فَكِلاَهُمَا بَحْرُ » (٣)

عجز البيت مضمن من بيت لأبي نواس ، وصدره : « أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ» (٤)

جاء الشطر المضمن في ديوان أبي نواس على النحو التالي : «فَتَدَفَّقَا فَكِلاكُمَا بَحْرُ » (٥)

ويقول فِي إحدى غزلياته :

خُذْ فِي التَّجَنِّي وَدَعْ مَنْ مَاتَ فِيكَ يَقُلْ « أَنَا الْقَتِيلُ بِلاَ إِثْمٍ وَلاَ حَرَجِ » (٦)

عجز البيت مضمن من بيت لابن الفارض ، وصدره «مَابَيْنَ مُعْتَرَكِ الأَحْدَاقِ وَالْمُهَجِ»(٧)

ومن هنا يظهر لنا تأثر ابن معصوم بأسلافه من الشعراء إلى حد كبير ، لعل تأثره بهؤلاء الشعراء جعله يتمسك بالتراث الشعري السالف ، حيث لم يخرج عن نطاق ما رسمه الشعراء من حيث المضمون والشكل في شعره.

ب- الاقتباس والتأثر بالقرآن الكريم:

نرى في شعر ابن معصوم تأثراً واضحا بأسلوب القرآن الكريم من خلال اقتباسه منه في مواضع شتى، فنراه في داليته مقتبساً :

قُمْ هَاتِهَا كَالنَّارِ ذَاتِ الْوَقُودْ تَسْطَعُ نُوراً فِي لَيَالِي السُّعُودْ

وَاسْتَجْلِهَا عَذْرَاءَ قَدْ رَقَّصَتْ نَدْمَانُهَا إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودْ

---

(١)الديوان ، ص ٢١٨.

(٢)ديوان لفرزدق، ٤١٨/١.

(٣) الديوان، ص ٢٠١.

(٤)الحسن بن هاني (ت: ١٩٩ هـ)، ديوان أبي نواس، دار صادر ودار بيروت، بيروت ، ١٩٦٢، ص٣٢٦ - ويشار إليه بـ :ديوان أبي نواس-

(٥)المصدر نفسه، ص ٣٢٦.

(٦) الديوان ، ص ١٠٣.

(٧)عمر بن الفارض (ت: ٦٣٢ هـ) ، ديوان ابن الفارض، مكتبة القاهرة، القاهرة ، ١٩٦٣، ص ٩٠. - ويشار إليه بـ : ديوان ابن الفارض.-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَاسْتَلَبَتْ بِالسُّكْرِ أَلْبَابَهُـــمْ وَهُمْ عَلَى مَا فَعَلَتْهُ شُهُـــودْ [١]

من خلال رصدنا لهذه الأبيات نلاحظ أن ثلاثة أشطر من هذه الأبيات اقتبسها ابن معصوم من الذكر الحكيم وهي : « كَالنَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ»، و«إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ»، و«وَهُمْ عَلَى مَا فَعَلَتْهُ شُهُودٌ» مستخدما إياها في توصيف الخمر وتأثيرها على الناس. إن هذه الأشطر تشير إلى الآيات الكريمة التي وردتْ في سورة البروج ، وهي : « اَلنَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ ،إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالمؤمِنِينَ شُهُودٌ » [٢].

ويقول في إحدى إخوانياته متأثرا بالقرآن:

وَعَنَا لِمَفْخَرِهِ الْمُؤَثَّلِ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورِ [٣]

اقتبس ابن معصوم في هذا البيت الشطر الثاني من القرآن حيث ورد ذكر تلك الآية الكريمة في سورة لقمان وهي : « إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» [٤]

جـ- المحاورة:

كما نرى شاعرنا أحيانا يلجأ إلى أسلوب المحاورة، إذ يقول في إحدى غزلياته عن صد الحبيبة عنه:

فَتَنَبَّهَتْ مُرْتَاعَةً فَزَعـــاً رَيَّا الْمُخَلْخَلِ طَفْلَةُ الْخَـــدِّ

قَالَتْ مَنِ الْمَقْتُولُ قُلْتُ لَـهَا مَنْ قَدْ قَتَلْتِ بِلَوْعَةِ الصَّـــدِّ

قَالَتْ قَتِيلُ هَوَايَ قُلْتُ أَجَلْ قَالَتْ أَجَلُّكَ عَنْ جَفَا الـــرَّدِّ [٥]

وفي مكان آخر نراه يجري محادثته مع لائم له في هواه ويقول : إن الكثير من اللائمين التائهين قد لاموه على حبه. ولكنه رد عليهم بقوله: إن هذا الحب طالعه وحظه ونصيب اللائمين القسوة فأعاد العاذل القول بأن حب شاعرنا ليس إلا لهوا ولعبا . فيجيبه ابن معصوم بأن قوله هذا

---

(١) الديوان ، ص ١٤١.

(٢) سورة البروج، الآيات ٥-٦-٧.

(٣)الديوان ، ص ١٩٨.

(٤) سورة لقمان ، الآية : ١٨.

(٥) الديوان، ص ١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس سوى أوهام وسراب:

كَمْ عَاذِلٍ ضَلَّ يَلْحوُنِي فَقُلْتُ لَهُ ... حِظِّي هَوَاهَا وَحَظُّ الْعَاذِلِ الْحَجَرُ

فَقَالَ عِشْقُكَ هَذَا كُلُّهُ عَبَثٌ ... فَقُلْتُ عَذْلُكَ هذَا كُلُّهُ هَـــذَرُ [1]

د- الفنون البديعية:

استخدم ابن معصوم المحسنات البديعية في شعره دون إكثار رغم شيوعها بين شعراء عصره وتمكنه من علم البديع. ومما جاء في شعره من محسنات بديعية تمثل في الطباق والجناس والمقابلة . أما الأنواع الأخرى فنراها نادرا أو أنه أورد مثالا على هذا النوع أو ذاك في بديعيته ، ثم لا نرى لها أثرا في شعره. ولذلك سأقصر حديثي على المحسنات البديعية التي ذكرتها آنفا.

أولاً : الطباق

الطباق هو النوع الأكثر انتشارا من الفنون البديعية في شعره ، ولعل مرد هذا الإكثار ناجم عن غربته في الهند وشوقه وحنينه إلى مسقط رأسه الحجاز . كأنه أراد من الجمع بين الشيء وضده إبرازا لما يدور في فؤاده من شوق لوطنه، وضيق بغربته .فجاء هذا الأسلوب تعبيرا عن واقعه.

وقد طابق ابن معصوم في شعره بين فعلين أو بين اسمين، ومن أمثلة الضرب الأول ما نظمه حول التعبير عن حبه، إذ يقول:

كَمْ أَضَلَّتْ وَكَمْ هَدَتْ مِنْ أُنَاسٍ ... وَلِكُلٍّ فِيمَا أَرَّتْهُ ارْتِيَـــاءُ [2]

فانعقد الطباق في هذا البيت بين فعلين أضلت وهدت.

وقد عقد الطباق في البيت الواحد أكثر من مرة، كما نراه بين أضحكت وأبكت، وبين

(١) الديوان ، ص ١٩١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برّت وبرت، وبين شفت و شفّت في قوله:

إِنْ أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ وإِنْ بَرَّتْ بَرَتْ وَإِذَا شَفَتْ شَفَّتْ عَلِيلَ ضَنَاهَا (١)

أما الضرب الثاني من الطباق كقوله:

وَاقْضِ وَجْداً في حُبِّهَا تَحْيَ مَا شِئـ.....تَ فَأَمْوَاتُ حُبِّهَـــا أَحْيَـــاءُ(٢)

وقد انعقدت المطابقة بين الأموات والأحياء.

وقد طابق ابن معصوم بين اسمين غير مرة في بيت واحد، وذلك في رثائه ابنه:

لا يُسْرُهَا بَاقٍ وَلاَ إِعْسَارُهَا سِيَّانَ حَالاَ فَقْرِهَا وَغِنَاهَا(٣)

نرى في هذا البيت عقد الطباق في الشطر الأول بين يسرها وإعسارها، وبين فقرها وغناها في الشطر الثاني.

ثانيا: الجناس

وهو النوع الثاني من المحسنات البديعية التي أكثر استخدامها ابن معصوم في شعره، من المعروف أن الجناس يعطي إيقاعاً موسيقياً خاصا للقصيدة. وقد جاء التجانس لدى شاعرنا دون تكلفة سلسا رقيقا، ومن ذلك قوله في مدح أخيه:

فَبِيَحْيَى لاَ يَبْرَحُ الفَضْلُ يَحْيَا وَالْمَعَالِي بِهِ لَهُنَّ اعْتِلاَءُ(٤)

ويظهر الجناس في هذا البيت جليا بين يحيى اسم أخيه، ويحيا بمعنى يعيش.

---

(١) الديوان ، ص ٤٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونرى الجناس في مكان آخر عند حديثه عن محبوبته أسماء، إذ يقول:

لَوْ أَبَانَتْ حِجَابَهَا أَسْمَاءُ مَا أَبَانَتْ عَنْ غَيْرِهَا الْأَسْمَاءُ (١)

يبدو الجناس في هذا البيت واضحا بين أبانت بمعنى أبعدت والثانية بمعنى أظهرت وأوضحت.

ثالثا: المقابلة

وهي من المحسنات البديعية الأخرى التي نجدها في شعر ابن معصوم.استخدم المقابلة لإظهار الحالة الروحية التي يحياها في الهند، وذلك في قوله حين يقابل عينيه الباكيتين بقلبه المكلوم:

وَأَبْكِي بِعَيْنٍ لَا تَكُفُّ غُرُوبُهَا وَأَصْبُو بِقَلْبٍ بِالْغَرَامِ جَرِيحِ (٢)

وفي مكان آخر يقابل البدر بالظبي، إذ يقول:

بَدْرٌ وَلَكِنَّمَا قَلْبِي مَطَالِعُهُ ظَبْيٌ وَلَكِنَّ أَحْشَائِي مَسَارِحُهُ (٣)

مما تقدم رأينا أن ابن معصوم قد طرق من الفنون البديعية ما جرى على لسانه، ولم يحاول أن يتصنع ليكثر من الزخارف البديعية التي طالما سارت مع شعراء عصره حتى هو قد أكثر منها في نثره، ولكن شعره أتى سلسا ذا تراكيب بديعية جزلة عموما.

* * *

ومن يطلع على ديوان شاعرنا يلاحظ ثقافته الواسعة ومعرفته الغنية باللغة العربية، ولعل مردّ ذلك يرجع في أصوله إلى تلك النشأة الثقافية المتنوعة وخصوصا في اللغة والأدب ، حيث تلقى دروسه الأولى في مهد اللغة العربية وهو الحجاز، وتغذى من مصدرها الأول مشكلا في ذاكرته معجما غنيا صافيا بعيدا عن التعكر والتكدر قادرا من خلاله على التعبير عن تصوراته المختلفة بدقة أكثر ليفهّم مايريده من الفهم منه في صورة براقة. وتتلمذ على أيدي أبرز معلمي عصره كما أسلفنا.ونرى أحيانا في معجم ابن معصوم الشعري ألفاظا غريبة على الآذان والأسماع –

---

(١) الديوان ، ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن كان هذا أمرا نسبيا يختلف من عصر إلى آخر ، ومن شخص إلى آخر – وهي قليلة، لا تدل على تكلفه في نظمه،منها: أُثْعُوب (٠)، واليَعْبُوب (٠٢) ، وشُؤْبوب (٠٣)،والحِجا (٠٤)، والجَلَح (٠٥)، والثَّبج(٠٦) والخُنْزُوانة(٠٧)، وضَحْضاح(٠٨)، وخُرعوبة(٠٩)، وعملّس (٠١٠)، ورَحْراح(٠١١)، وتَجمْيش(٠١٢)، والسَّمَيْدَع(٠١٣).

* * *

إن ثمة خصوصية أخرى في لغة شعر شاعرنا وهي ورود الألفاظ المعربة، بعضها ذات أصل فارسي كقوله:

يَرْفُلُ منْ تَقْوَاهُ في حُـــــلَّةٍ يَحْسُدُهَا الدِيبَاجُ (٠١٤) وَالسُّنْدُسُ (٠١٥)(١)

وقوله:

فِي كُلِّ هَيْمَاءَ يَرى شَـــوْكُهَا كَأَنَّهُ الرَّيْحَـــانُ وَالنَّـرْجِسُ (٠١٦)(٢)

وقوله:

وَمَنْ كَسَا الْأُرْجُوَانَ (٠١٧) وَجْنَتَهُ وَأَكْسَـــبَ الْأَقْـــحُوَانَ مُبْتَسَمَه (٣)

---

(٠)أثعوب : سائل، يقال ماء أثعوب ، ابن منظور، لسان العرب ، ٢/٩٧.

(٠٢) اليَعْبُوب: الفرس الطويل السريع كثير الجري، المصدر نفسه، ٩/٧.

(٠٣) شؤبوب: الدفعة من المطر وغيره، المصدر نفسه، ٧/٥.

(٠٤) الحِجا : العقل والفطنة، المصدر نفسه، ٣/٦٩.

(٠٥) الجَلَح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس، المصدر نفسه، ٢/٣١٨.

(٠٦) الثَّبج: ثبج كل شيء : معظمه ووسطه وأعلاه ، المصدر نفسه، ٢/٨٠.

(٠٧) الخُنْزوانة: الكبر، المصدر نفسه، ٤/٢٣٠.

(٠٨) ضَحْضاح: ماء قريب القعر، المصدر نفسه، ٨/٢٥.

(٠٩) خرعوبة: امرأة خرعَبَة وخرعوبة: رقيقة العظم، كثير اللحم، ناعمة، المصدر نفسه، ٤/٦٨.

(٠١٠)عملّس : الذئب الخبيث والكلب الخبيث، والقوي الشديد على السفر، المصدر نفسه، ٩/٤٠٢.

(٠١١) رَحْراح : يقال عيش رحْراح أي واسع، المصدر نفسه، ٥/١٦٧.

(٠١٢) تجميش: المغازلة ، المصدر نفسه، ٢/٣٥٤.

(٠١٣) السَّمَيْدَع: السيد الكريم الشجاع، المصدر نفسه، ٦/٣٥٧.

(٠١٤) الديباج: هو الثياب المتخذة من الإبرسيم، المصدر نفسه، ٤/٢٧٨.

(٠١٥) السندس: هو رقيق الديباج ورفيعه، المصدر نفسه، ٦/٣٩٠.

(١) الديوان، ص ٢٣٦.

(٠١٦) النرجس: من الرياحين، ابن منظور، لسان العرب، ١٤/١٠٢.

(٢) الديوان، ص٢٣٧.

(٠١٧) الأرجوان:هو شجر له نَوْر أحمر أحسن ما يكون .ابن منظور ،لسان العرب، ٥/١٦٥.

(٣) الديوان، ص ٤٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله:

مَا قِيلَ هَذَا شَهِنْشَاهُ (*) الْمُلُوكِ بَدَا سَمِيُّ ثَالِثِ أَهْلِ الذِّكْرِ أَنْ ذُكِرُوا (١)

وهناك ما جاء في قوله من لفظة تركية كقوله:

أَيْنَ الْخَوَاقِينُ (٢*) الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِعُهُودِهَا وَاسْتَمْسَكُوا بِعُرَاهَا (٢)

ولم يكثر ابن معصوم من استخدام هذه الألفاظ الدخيلة في شعره مع وجوده في بلاد لا تنطق العربية، إن هذه الظاهرة تدل على تمسكه بالتراث الموروث وحفاظه عليه كما تحدثنا عنه سابقا.

* * *

إذا أمعنا النظر في شعر ابن معصوم نرى أن شعره لم يخل من الأخطاء اللغوية والنحوية إلا أنها ليست كثيرة. منها ما وقع يخالف القاعدة اللغوية، إذ يقول:

وَرِيَاضُ بَحْرَتِهَا الَّتِي فَاقَتْ عَلَى كُلِّ الرِّيَاضِ بِحُسْنِهَا وَبِطِيبِهَا (٣)

أخطأ ابن معصوم هنا في استخدام فعل «فاقت» باقرانه حرف الجر «على»، بينما يستعمل «فاقت» بدون حرف جر.

ومن الأخطاء النحوية كقوله:

فَهَلْ تَرَى يَنْتَظِمُ الشَّمْلُ الذي قَدْ نَثَرَتْهُ الْبَيْنُ نَثْرَ الْعِقْدِ (٤)

لقد جاء «البين» فاعلا لفعل «نثر» والفاعل هنا مذكر بينما جاء الفعل في صيغة التأنيث خلافا للقاعدة النحوية وهي مطابقة الفعل للفاعل في التذكير والتأنيث.

وفي ضروریاته الشعرية صرفه الممنوع من الصرف وسهل الهمزة. ومما صرفه الممنوع ما قاله في غزله، وقد صرف فيه رامة:

(*) شهنشاه: وهو ملك الملوك، ابن منظور، لسان العرب، ٢٤٦/٧.

(١) الديوان، ص ١٧٥.

(٢*) الخواقين: جمع خاقان، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك، ابن منظور، لسان العرب، ١٦٤/٤.

(٢) الديوان، ص ٤٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

لقد حاولت في هذه الدراسة أن أعرض صورة حياة ابن معصوم وشعره. وهو شاعر حجازي ولد في المدينة المنورة سنة ١٠٥٢هـ، وفي منتصف العقد الثاني من عمره ارتحل إلى الهند وأقام بها إلى أن جمع رحاله وقصد شيراز في أواخر عمره حيث توفي سنة ١١٢٠هـ.

وقد تحدثت عن عصره وحياته بمراحلها المختلفة كما تناولت آثاره بإيجاز، وفصلت القول في الحديث عن فنون شعره وخصائصه الفنية العامة.

كان الحجاز في عصر ابن معصوم تحت الحكم العثماني سياسيا مع تمتع الأشراف بشيء من الاستقلالية في إدارة شؤون الرعية. عاش شاعرنا في عهد الشريف زيد بن المحسن الذي وصل إلى سدة الحكم بعد منازعات كثيرة فوطد الأمن وأشاع الطمأنينة وشجع العلم والعلماء وطالبي العلم، فكان ابن معصوم من المستفيدين من هذا الوضع ،لأنه التقى في عهده بكبار أساتذة الحجاز ونهل منهم العلم مثل الشيخ عبد الله باقشير، وزين الدين بن حسن الشامي العاملي.

أما الهند فقد كانت تعيش حالة من الاضطرابات والمنازعات السياسية، لأنها منقسمة إلى عدة دول ، منها: « دولة قطب شاهي» التي قضى ابن معصوم فيها فترة طويلة من الزمن استمرت إلى انتقاله إلى الدولة المغولية التي فرضت هيمنته على الهند كاملة بعد صراع طويل في عهد أَوْرَنْكزيب.

وقد كان المجتمع عموماً منقسماً إلى عدة طبقات كما كانت الحال في المجتمعات الإسلامية الأخرى آنذاك. وبالنسبة إلى الحياة الثقافية فقد كانت نشطة في شتى مجالاتها من العلوم الدينية والنظرية.

سبق والد الشاعر في الانتقال إلى الهند ولدَه ابن معصوم ،وأقام علاقة قوية مع السلطان عبد الله قطب شاه،انتهت بمصاهرته للسلطان ليتولى بعد ذلك مناصب مهمة في سلم الأمور الإدارية.فوجد ابن معصوم نفسه عندما قدم إلى الهند وسط ظروف ملائمة لتنشئته،فأثرت هذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيئة في تكوين سلوكه، وتحديد ثقافته، وعلاقاته الرسمية والأدبية والإخوانية. وحصل ما استطاع تحصيله من ثقافات عصره عن طريق نخبة من علماء الهند الذين كانوا مجتمعين في كنف والده.

ولقد تفتحت شاعرية ابن معصوم في سن مبكرة، وذلك لتآلف مسوغات النظم حوله من ثقافة وموهبة وإرادة، فنظم في شتى الفنون الشعرية مثل الغزل، والفخر، والمديح، والإخوانيات، والرثاء، والحنين إلى الوطن، والشعر المذهبي.

يحتل الغزل عند ابن معصوم حيزا كبيرا من ديوانه بنوعيه الحسي والعذري، وتحدث في غزله الحسي عن جمال المرأة ومفاتنها متأثراً بالصور التي رسمها القدامى من الشعراء مصورا علاقاته مع المحبوبة مثل الوصل والصد، والوفاء، والظلم، والعتاب، والصبر وغير ذلك.وفي غزله العذري تحدث عن حبه وألمه، وصبره، وأشواقه. ومما يلفت النظر في شعره ابتعاده عن وصف المرأة الهندية أو التغزل بها على الرغم من بقائه الطويل في الهند. ويقودنا هذا إلى أنه كان معجبا بالمرأة العربية لأنها المسيطرة على صورة المرأة في ذهنه.ومن هنا نستطيع أن نستشف أنه كان وفياً صادقا ومخلصا في حبه، وأغلب الظن أنه أحب أو عاش الحب، وإن ما ذكر من أسماء ليست سوى إخفاء لاسم محبوبته الحقيقية.

وقد افتخر ابن معصوم بقومه، ونسبه، ونفسه، وشعره، لأن كثيرا من أسباب الفخر اجتمعت له، فهو من قوم ملأوا الآفاق صيتا، ونسب ينتهي إلى الرسول الكريمﷺ، ومكانته مرموقة اجتماعيا سياسيا وعلميا في مجتمعه. وقد نهج في فخره نهج أسلافه من الشعراء. فلم يقدم شاعرنا شيئا جديدا في هذا المجال.

وجاء مديحه في مكان بارز من ديوانه إلى جانب الموضوعات الشعرية الأخرى.فقد دارت مدائحه حول المديح النبوي والمديح العام الذي حوى الثناء على والده، وأخيه، وأصدقائه، والشاه حسين الصفوي.

مدح ابن معصوم في القسم الأول من مديحه النبيﷺ، وأهل بيته متأثرا بسالفيه من الشعراء كصفي الدين الحلي والبوصيري من حيث المضمون والشكل، معبرا عن مشاعره الصادقة النابعة من قلب مفعم بالحب الخالص.ونلاحظ مثل هذه المشاعر في مديحه العام الذي يمكننا القول إنه انحصر في أهله وأصدقائه فقط باستثناء مديحه للشاه حسين الصفوي. ولم تكن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدائحه وسيلة للتكسب المادي، لأنه كان مستغنيا عن ذلك. لذلك نرى أن مدائحه جاءت تعبيرا عما يجول في خاطره من مشاعر صادقة وعواطف حارة تجاه الرسول الكريم ﷺ، وأهل بيته وأصدقائه. أما مديحه للسلطان فجاء تعبيرا صادقاًعن الإشادة بالأعمال الخيرة والعظيمة، إذ كان مفهوم المدح لدى شاعرنا تصريحا للود الذي يكنه نحو الممدوح.فأتت مدائحه جزلة الألفاظ، جميلة المعاني، ناهجا في هذه القصائد خطى القدامى من الشعراء دون تجديد أو خروج عن المألوف.

شكلت الإخوانيات جزءا كبيرا في ديوانه كالغزل والمديح . ولا غرابةفي ذلك، فمكانته الاجتماعية المتميزة جعلته يقيم علاقات واسعة مع من حوله. تبادل ابن معصوم مساجلاته الشعرية مع والده، وأخيه محمد يحيى، ومع أستاذه محمد بن علي الشامي، ومع أصدقائه من الأدباء المعروفين في زمنه مثل السيد حسين بن شرف الدين النجفي، والشيخ جمال الدين النجفي وغيرهم. وتضمنت هذه المراسلات الشعرية أغراضا شتى مثل المدح، والتهنئة، والعتاب، والاعتذار، والاستعطاف، معبرا فيها عن مشاعر صادقة متغلغلة في قلبه تجاههم. فنلاحظ من خلال هذه القصائد صورة الصداقة وأهميتها لدى شاعرنا، فهي دعوة للحفاظ على روابط المودة والأخوة بإخلاص. رصدنا في هذه المراسلات الإشادة المتبادلة بالشعر بشكل مبالغ فيه، والمغالاة في المدح، والمعاني المتكررة المتصلة بالمودة والصداقة، والتمثيل بالتشبيهات نفسها كتشبيه القصيدة بالعروس غير مرة، ومن الملاحظ أيضا نظم القصائد المتبادلة على الوزن نفسه والقافيةنفسها.

وفي الرثاء قصر قصائده على رثاء الأهل والأصدقاء إلى جانب رثائه للحسين.واتسمت مراثيه بصدق المشاعر والعواطف، لأنه لم يرث أحدا إلا من فجعه موته. فكانت العواطف نتيجة انفعال عفوي بعيدا عن التكلف والتصنع. وقدجاءت في مراثيه بعض الأفكار والآراء التي توضح نظرته في الكون، والحياة، وإيمانه بالقضاء والقدر، مبينا موقفه من الموت. ومن خلال هذه الآراء نجد عنده نظرة دينية إسلامية تؤكد عمق اعتناقه للإسلام. فحذا ابن معصوم حذو أسلافه من الشعراء مستهلا مراثيه بوصف ما اعتمل في نفسه من مشاعر صادقة تعبر عن تحسره الشديد نحو المرثي ،منتقلا بعد ذلك إلى ذكر مناقبه،ومختتما بالدعاء والصلاة، راجيا من الله أن يسقي جدث الفقيد وثراه. وخليق بنا أن نشير هنا إلى تكرار المعاني التي وردت في رثائه، فهو في أغلبه يتمنى أن تكون نفسه فداء للميت، وغير ذلك من معان تلاحق ذكرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجتمعت لدى شاعرنا مقومات دفعته إلى الإحساس بالغربة والحنين إلى الوطن. لأنه ترك وطنه وهو صغير السن، وبقي بعيدا عنه مدة طويلة مما أدى إلى اشتعال إحساسه بنار الغربة وبحرقة تعصف به، ولذلك لا نستغرب أن يتحدث عن هذه المشاعر من خلال المدائح النبوية، وذكره أسماء الأماكن الموجودة في الحجاز. فكان معظم شعره يعبر عن ذلك الحنين وتلك الغربة.

و نجد عند شاعرنا بعض القصائد التي توضح لنا مذهبه الإمامي .وقدكان صادقا مع ما يؤمن به من عقيدة مذهبية.وتجلت في شعره المذهبي ثلاث صور من العواطف التي تميز بها نتاج الأدب الشيعي، وهي عاطفة الغضب، والحزن، والحب الشديد لأهل البيت. فلم يخرج شاعرنا في شعره المذهبي عما كتبه غيره .

لم يأت ابن معصوم بجديد في شكل القصيدة، بل ظل مرتبطا متمسكا بالتراث السالف من حيث المقدمات، والتخلص، والخاتمة،والوحدة فيها.ولعل مرد ذلك يرجع إلى كونه مقيما في الهند بعيدا عن البلاد العربية مما دفعه إلى التمسك بالموروث كما هو.

أما أسلوبه فقد تغير باختلاف الموضوعات، والمقام بما أشار إليه النقاد، حيث اتسم أسلوبه بالرقة والعذوبة في غزله، كما اتسم رثاؤه بالوضوح باعثا في النفوس حزنا وأسى بعيداً عن التعقيد، فأتى ما نظمه شجيا حزينا . أما لغة قصائده فقد كانت سليمة واضحة. ابتعد في ذلك عن الزخرفة بعكس ما فعله في نثره. كما لم يلجأ إلى استخدام المفردات الغريبة إلا قليلا، ولعل مرد ذلك يعود إلى كونه لغويا ونحويا متمكنا .

ونجد عند شاعرنا صورا مختلفة مستمدة من واقع المرأة، ومن الطبيعة والخمر . واستخدم في رسمها الوسائل البيانية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية. ومن الملاحظ أن هناك تكرارا في استخدام الصور في شعره لا سيما في غزله، ومدائحه، ورثائه وإخوانياته.

وختاما إذا كانت لابد من كلمة نقولها في حق شاعرية ابن معصوم، فنستطيع القول بأنه شاعر نمطي لم يحاول أن يتخلص من ربقة تقاليد القدامى من الشعراء، بل ظل متمسكا بها، ولعل ابتعاده عن بؤرة الأدب العربي واستيطانه الهند فرض عليه التمسك بالتراث السالف، إلا أن هذا التمسك بالموروث لا يبخس من قيمة شاعرنا. لأنه كان شاعرا نمطيا مجيدا، فلا أرى عنده ضعفا واضحا في شكل القصيدة أو عدم اتساق في تلاحق موضوعاتها. بيد أنني آخذ عليه التكرار في المعاني والصور في بعض المواقع، وذلك بسبب اجترار تلك المعاني بنفس الشكل في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعره.

وأخيرا آمل أن يعطي هذا البحث حافزا لسواي للقيام بدراسة تلك الحقبة التي عاش فيها ابن معصوم. لعلهم يخرجون بآثار قيمة مدفونة بين رفوف المكتبات من الظلام إلى النور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَقَدْ هَاجَ وَجْدِي ذِكْرُ آرَامِ رَامَةٍ وَأَرْوَى بِقَلْبِي نَارَهُ لاَ عِجُ الذِّكْرِ (١)

أما فيما يتعلق بسهل المهموز كقوله :

سَلْ عَنْهُ خَيْبَرَ يَوْمَ نَازَلَهَا تُنْبِيكَ عَنْ خَبَرٍ وَعَنْ خُبْرِ (٢)

إن كلمة «تنبيك» جاءت في الشطر الثاني من البيت دون همزة ، والصواب هو: « تنبئك».

الصورة الشعرية

الصورة عنصر مهم في العمل الأدبي، لأنها تعبر عن كيفية تناول الشاعر لما يحدث في العالم الخارجي أو لما يجري في داخله من مشاعر؛ ومحاولة لنقل تجربته من مخيلته إلى المتلقي بشكل يثير فيه الانفعالات في أحاسيسه أو في وجدانه، لذلك بقيت الصورة عنصرا أساسيا في الشعر منذ القديم لأنه: «قائم على الصورة منذ أن وُجد حتى اليوم» (٣).

والخيال له دور كبير في تشكيل الصورة حيث يكمن فيه مفتاح الكشف عن العاطفة كما يلعب دورا كبيرا في إثارة النفوس(٤) . وفي الوقت نفسه هو ميدان العمل الذي تظهر فيه مقدرة الشاعر وتمكنه من صنعته (٥).

لم يكن ابن معصوم ذا خيال مجدد في صوره، وقد اتخذ من الصورة الشعرية وسيلة للتعبير الفني عن أفكاره ومشاعره معتمدا في تشكيلها على الوصف من خلال الأساليب البيانية مثل التشبيه والاستعارة والكناية.

---

(١) الديوان، ص ٢٠٨

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٣) إحسان عباس، فن الشعر، ط٤،دار الشروق، عمان، ١٩٨٧، ص١٩٣ – ويشار إليه بـ : عباس، فن الشعر–

(٤) أحمد أمين ،النقد الأدبي، ط٤ ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، ٥٤/١ ويشار إليه بـ : أمين، النقد الأدبي – انظر كذلك: حسن، أصول الفنية، ص ١٠٠.

(٥) عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ط٣، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص٢١٦–٢١٧. – ويشار إليه بـ : إسماعيل، الأسس الجمالية–

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نرى عند شاعرنا صورا متعددة ، فرسم لنا صورا من المرأة، والطبيعة، والخمر، كما رسم لنا صورة أبيه وحاله إلى جانب تصويره لحدث كربلاء.

نهج ابن معصوم في أكثر صوره نهج أسلافه من الشعراء حيث رسم محبوبته في غزلياته مشبها إياها بالبدر المنير، فهي بيضاء، كما يقول:

فَتَاةٌ هِيَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ إِذَا بَدَتْ ... وَلَكِنَّ لاَ شَرْقٌ حَوَاهَا وَلا غَرْبُ [١]

ويشبه ابن معصوم محبوبته في قصيدة أخرى بأبراج النجوم، وأوكار الطواويس إذ يقول:

سَرَتْ تَتَهَادَى بِالْحُدُوجِ كَأَنَّهَا ... بُرُوجُ نُجُومٍ أَوْ وُكُورُ طَوَاوِيسِ [٢]

يقدم لنا ابن معصوم صورا من الطبيعة، فيصف الريح ويقول: إن أوراق الورود لنعومتها تتأثر بالرياح فتنخدش وتتمايل غصون البان من النسمات ، ومياه النهر قد رسمت عليها حبات المطر الساقطة من السحب رقصات طربة، ويصفه بعد ذلك بمعصم اليد المحلى بالجواهر، والحدائق منسقة تبهج نفوس الناس وكأنها بساط قد جهز للاجتماع عليه، والأقحوان قد تفتحت أزاهيره وكأنها تبتسم، زهور النرجس تتعالى لاهية مندهشة، وزهور وردة الآس تتناغم محدثة خشخشة ، ويصفه لكثرة اهتزازه وتمايله واضطرابه قد خدش من التقاء بعضه بعضا. والعصافير على غصُون البان تجلس وتتنقل ، فهذه الأغصان أعشاشها التي لا تريد أن تبتعد عنها خوفا من فقدها، حيث يقول:

لِلرِّيحِ فِي وَجَنَاتِ الْوَرْدِ تَخْمِيشُ ... وَلِلصَّبَا بِغُصُونِ الْبَانِ تَحْرِيشُ

وَالنَّهْرُ قَدْ نَقَشَتْهُ السُّحْبُ مِنْ طَرَبٍ ... كَأَنَّهُ مِعْصَمٌ بِالدُّرِّ مَنْقُوشُ

وَالرَّوْضُ بِالزَّهْرِ مَنْضُودٌ يَرُوقُ لَنَا ... كَأَنَّهُ مَجْلِسٌ لِلصَّحْبِ مَفْرُوشُ

وَثَغْرُ نَوْرِ الْأَقَاحِي فِيهِ مُبْتَسِمٌ ... وَطَرْفُ نَرْجِسِهِ لِلَّهْوِ مَدْهُوشُ

---

(١) الديوان، ص ٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَطُرَّةُ الآسِ مَابَيْنَ الرِّيَاضِ لَهـــا ... لَمَّا تَلاعَبَتِ الْأَغْصَانُ تَشْوِيـــشُ
وَالْوَرْدُ تَنْشُرُهُ رِيحُ الصَّبَا سَحَراً ... كَأَنَّهُ عَارِضٌ بِاللَّثْـمِ مَخْـــدُوشُ
وَالطَّيْرُ فَوْقَ غُصُونِ الْبَانِ عَاكِفَةٌ ... كَأَنَّمَا خَانَهَا خَوْفُ النَّوَى رِيـــشُ[١]

ويرسم لنا ابن معصوم صورة الخمر ويضعها أمامنا من خلال التشبيهات، فيراها سراجا ينير حوله في الفانوس، ومن ثم يشبهها بالقهوة ذات اللون الذهبي تعد خصيصا لأصحاب الكيف والذواقين، ومن ثم يشبه حاله وحال منادميه وولائهم للخمر كولاء المجوس للنار. ويصور النبيذ بالعجوز، ويتعجب من لذتها وما تبعثه في النفوس نشوى، فكأنها عروس لابل هي العروس بعينها، ويظهر لنا تأثره بأوصاف أطلقها أبو نواس على الخمر، إذ يقول:

فَكَأَنَّ الْمُدَامَ فِي الْكَأْسِ إِذْ تُجْلَـــ... ... ى سِرَاجٌ يُضِيءُ فِي فَانُـــوسِ
قَهْوَةٌ عَسْجَدِيَّةٌ مِنْ كُنَـــاهَـــا ... بِنْتُ رَأْسٍ مَقَرُّهَا فِي الـــرُّؤُوسِ
هِيَ لَهْوٌ لَنَا إِذَا حَلَّتِ الْكَـــأْسُ ... وَلَاةٌ فِي دِنِّهَـــا لِلمَـــجُـــوسِ
لُقِّبَتْ بِالْعَجُوزِ وَهْيَ عَـــرُوسُ ... فَاعْجَبِ الْيَوْمَ لِلْعَجُوزِ الْعَـــرُوسِ[٢]

ويقدم لنا ابن معصوم صورة والده من خلال استخدامه الاستعارة والتشبيه والكناية،راسما إياه في أحسن ما يمكن حيث« الأبلج الوضاح» استعارة من الشمس، ومشبها والده به، واستخدم النور كناية عن والده كما يقول:

هُوَ الْأَبْلَجُ الْوَضَّاحُ أَشْرَقَ نُورُهُ ... فَجَلَّى عَنِ الدُّنْيَا قَتَامَ ظَلَامِهِ[٣]

ويأتي ابن معصوم بصورة يصور بها نفسه، ويستخدم الكناية في إحدى قصائده المخصصة لمدح النبي ﷺ التي يطلب فيها أن ينقذه مما يعاني مكنيا بشفاف جسمه وبري عظامه عن الموت، إذ يقول:

وَانْقِذْنِي مِنْ يَدِ الْبَيْنِ الَّذِي ... شَفَّ جِسْمِي وَبَرَى مِنِّي العِظَامَا[٤]

---

(١) الديوان، ص٢٥٤.
(٢)المصدر نفسه ، ص ٢٤٢.
(٣)المصدر نفسه ، ص ٣٩٦.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونرى في رثاء الحسين الذي عرضه ابن معصوم أمامنا صورة ولدتها عاطفته، ونسجها خياله، وأخرجتها التعابير الجميلة إلى النور، لتثير هياجا في عواطف الناس بتشبيهات جميلة مناسبة للحدث الجلل الذي وقع، حيث شبه يوم عاشوراء -أي يوم المجزرة -بليلة الحشر وبيوم القيامة، ويصور جلل الخطب في ذاك اليوم باهتزاز عرش الله من الحزن، وبكسوف الشمس، وكسوف نور الدين لعظم المصيبة حيث يقول:

أَلَيْلَةُ الْحَشْرِ لاَ بَلْ يَوْمُ عَاشُـــورِ ... وَنَفْخَةُ الصُّورِ لاَ بَلْ نَفْثُ مَـصْدُورِ

يَوْمٌ بِهِ اهْتَزَّ عَرْشُ اللّهِ مِنْ حَـزَنٍ ... عَلَى دَمٍ لِرَسُولِ اللّـــه مَهْـــدُورِ

يَوْمٌ بِهِ كُسِفَتْ شَمْسُ العُلَى أَسَفاً ... وَأَصْبَحَ الدِّينُ فِيهِ كَاسِفَ النُّـــورِ

يَوْمٌ بِهِ ذَهَبَتْ أَبْنَـــاءُ فَاطِمَـــةٍ ... لِلْبَيْنِ مَا بَيْنَ مَقْتُـولٍ وَمَأْسُـــورِ [1]

ويلاحظ فيما قدمنا أن ما جاء به ابن معصوم في تصويره للمرأة أو الطبيعة ، أو في تصوير مكانة والده ، ليس فيه أثر من خياله المجدد ، إنما هو مستمد مما هو موجود في أشعار أسلافه من الشعراء . وأما إذا نظرنا في تصوير الخمر أو رثائه للحسين ، فإننا نجد قدرة تشخيصه وقوته في إبراز ما يدور في خاطره من عواطف وتصورات .

ونرى في شعر ابن معصوم تكراراً في الصور والمعاني خصوصا في مراثيه ، ومن ذلك تمنيه الموت قبل من رثاه ، وفي غزلياته مقارنته ما بين الهند ونجد ،وفي إخوانياته تشبيه شعره الذي أرسله إلى أصدقائه ، وتصويره بالعروس غير مرة كما سبق الحديث عنه .

---

(١) الديوان، ص ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم

- ابن الأثير:ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد(ت:٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ١٩٩٠.

-إحسان حقي،تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، الطبعة الأولى ،مؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٧٨.

-إحسان عباس،فن الشعر،الطبعة الرابعة،دار الشروق، عمان،١٩٨٧.

-أحمد أبو حاقة، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، الطبعة الأولى،دار الشرق الجديد، بيروت، ١٩٦٤.

-أحمد أمين،ضحى الإسلام،الطبعة السادسة،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٦٢.

- أحمد أمين ،النقد الأدبي،الطبعة الرابعة،دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٦٧.

-أحمد بن زيني دحلان،خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٧.

-أحمد بن المقري التلمساني(ت: ١٠٤١هـ)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ،١٩٨٨.

-أحمد الشايب، الأسلوب ،الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ، ١٩٩٠.

- أحمد كمال زكي ، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، دار النهضة العربية،بيروت،١٩٨١.

- أحمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٩٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ،١٩٨٤.

- الأصبهاني: محمد باقر الموسوي الخوانساري، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ،الطبعة الأولى ،الدار الإسلامية ،بيروت، بلا تاريخ.

-الأصبهاني : الميرزا عبد الله أفندي، رياض العلماء وحياض الفضلاء،تحقيق : السيد أحمد الحسيني،مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠١هـ.

- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٨٢.

- بكري شيخ أمين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني،الطبعة الرابعة،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٨٦.

- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت:٤٢٩هـ)،يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

- الجرجاني: أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت:٤٧١هـ)،دلائل الإعجاز، تعليق:محمود محمد شاكر ، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي،القاهرة،١٩٨٩.

-الجرجاني: القاضي علي بن عبد العزيز(ت:٣٩٢هـ) ،الوساطة بين المتنبي وخصومه،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم-علي محمد البيجاوي، دار القلم ،بيروت ، بلا تاريخ.

-جرجي زيدان،تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٨٣.

-جواد شبر، أدب الطف،الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلى،القاهرة ،١٩٦٩.

-جوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، الطبعة الأولى،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ،١٩٤٨.

-ابن حجة الحموي(ت:٨٣٧هـ)،خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح : عصام شعيتو،الطبعة الثانية، دار الهلال ،بيروت ، ١٩٩١.

-حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، دار المعارف، القاهرة ، بلا تاريخ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

-خير الدين الزركلي، الأعلام ،الطبعة العاشرة،دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٩٢.

- دائرة المعارف الإسلامية.

-داود الجلبي الموصلي، كتاب مخطوطات الموصل، مطبعة الفرات ، بغداد ،١٩٢٧.

-ابن رشيق:أبو علي حسن بن رشيق القيرواني (ت:٤٥٦هـ)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق: محمد قرقزان ،الطبعة الأولى، دار المعرفة،بيروت، ١٩٨٨.

-زبيد أحمد، الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ترجمة: عبد المقصود محمد شلقاوي ، دون الناشر ، القاهرة ، بلا تاريخ .

- زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بلا تاريخ.

- زهير بن أبي سلمى(ت:١٣هـ)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى،صنعه : أبو العباس ثعلب ، تقديم : حنا نصر الحتي، الطبعة الأولى،دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٩٢.

-سامي الدهان، الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية،الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٤.

- سامي الدهان ، المديح ، دار المعارف ،مصر ، بلا تاريخ.

- الشريف الرضي(ت:٤٠٦هـ)،ديوان الشريف الرضي، تقديم :إحسان عباس ، دار صادر ،بيروت، ١٩٩٤.

-شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي، عصر الدول و الإمارات: الجزيرة العربية- العراق-إيران،دار المعارف، مصر،بلاتاريخ.

-شوقي ضيف ،الرثاء،دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.

-الشوكاني: محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ) ،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة،بيروت ، بلا تاريخ.

- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت:٧٦٤هـ) ،الوافي بالوفيات، باعتناء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

س.ديدرينغ،المطبعة الهاشمية ، دمشق، ١٩٥٣.

-ابن طباطبا: محمد بن طباطبا العلوي(ت:٣٢٢هـ) ،عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الستار ، مراجعة : نعيم زرزور ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٢.

-عادل حسن غنيمي،عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تاريخ الهند الحديث، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٤.

- عباس القمي (ت:١٣٥٩هـ) ،سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، كتابخانه سنائى،طهران،١٩٢٥.

-عبد الجبار عبد الرحمن ،ذخائر التراث العربي الإسلامي ، الطبعة الأولى ،مطبعة جامعة البصرة،بصرة، ١٩٨١.

-عبد الحسيب طه حميدة،أدب الشيعة،الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،١٩٨٩.

-عبد الحميد حسن ، الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.

- عز الدين إسماعيل، الأسس الجماليةفي النقد العربي، الطبعة الثالثة،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٢.

- العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ)،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦.

-العسكري:أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت:٣٩٥هـ) ،كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،تحقيق: مفيد قميحة ،الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٨٤.

- علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، الطبعة الأولى، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٣.

- عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٩٣.

- عمر موسى باشا، تاريخ الأدب العربي: العصر العثماني، الطبعة الأولى،دار الفكر المعاصر ودار الفكر، دمشق، ١٩٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الفارض: شرف الدين أبو حفص عمر(ت:٦٣٢هـ) ، ديوان ابن الفارض، مكتبة القاهرة، القاهرة،١٩٦٣.

- الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة (ت:١١٤هـ) ، ديوان الفرزدق، شرح وتحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت، بلا تاريخ.

-فهرس الخزانة التيمورية،دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.

-ابن قتيبة: أبو عبد الله بن مسلم (ت:٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

- قدامة بن جعفر(ت:٣٢٧هـ) ، نقد الشعر، تحقيق: محمد منعم الخفاجي ، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

-القرطاجني: أبو الحسن حازم (ت:٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٨٦.

- القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت:٦٤٦هـ) ، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى،دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٥٥.

- القنوجي: صديق بن حسن(ت:١٣٠٧هـ)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، أعده للطبع: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،١٩٧٨.

-ابن المعتز: أبو العباس عبد الله بن المعتز(ت:٢٩٦)،كتاب البديع، نشر: أغنا طيوس كراتشوفسكي، الطبعة الثالثة ،دار المسيرة ، ١٩٨٢.

-المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت:٣٥٤هـ)، شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠.

-المحبي: محمد أمين بن فضل الله (ت:١١١١هـ) ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر ، بيروت، بلا تاريخ.

- المحبي: محمد أمين بن فضل الله(ت:١١١١هـ)،نفحة الريحانة ورشحة طلاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحانة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ، الطبعة الأولى،دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ١٩٦٩.

-محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، الطبعة الرابعة، مطبعة الإنصاف، بيروت، ١٩٦٠.

-محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.

-المرزوقي:أبو علي أحمد بن محمد الحسن (ت:٤٢١هـ)،شرح ديوان الحماسة،تحقيق: أحمد أمين -عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٥١.

-محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، الطبعة الثانية، دار الزهراء ،بيروت، ١٩٧٩.

-محمد الحسين آل كاشف الغطاء،أصل الشيعة وأصولها ،الطبعة الرابعة عشرة،المكتبة الحيدرية ،النجف، ١٩٦٥.

-محمد غنيمي هلال،النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧.

-محمود علي مكي ، المدائح النبوية، الطبعة الأولى، لونجمان ، مصر، ١٩٩١.

-مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.

- ابن معصوم : علي صدر الدين بن محمد معصوم المدني(ت:١١٢٠هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان ، النجف، ١٩٦٨.

- ابن معصوم :علي صدر الدين بن محمد معصوم المدني (ت:١١٢٠هـ) ، الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة، تقديم : محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية، النجف ، ١٩٦٢.

- ابن معصوم: علي صدر الدين بن محمد معصوم المدني (ت:١١٢٠هـ)، ديوان ابن معصوم ، تحقيق : شاكر هادي شكر، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة العربية-عالم الكتب ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيروت،١٩٨٨.

- ابن معصوم : علي صدر الدين بن محمد معصوم المدني(ت:١١٢٠هـ)، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ، المكتبة المرتضوية، طهران ،١٩٠٦.

- ابن معصوم: علي صدر الدين بن محمد معصوم المدني(ت:١١٢٠هـ)، سلوة الغريب وأسوة الأريب، الطبعة الأولى، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت،١٩٨٨.

-ابن منظور:محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ)،لسان العرب، الطبعة الثالثة،دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٣.

- الموسوعة العربية الميسرة،إشراف: محمد شفيق غربال، دار الشعب ومؤسسة فرنكلين ، القاهرة، بلا تاريخ.

- الموسوي: العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني (ت:١١٨٠هـ)، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٩٣هـ.

-النجفي:عبد الحسين أحمد الأميني،الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

- أبو نواس: الحسن بن هاني(ت:١٩٩هـ) ،ديوان أبي نواس، دار صادر -دار بيروت،١٩٩٢.

- ياقوت بن عبد الله الحموي(ت:٦٢٦هـ) ،معجم البلدان ،دار صادر -داربيروت، بيروت،١٩٨٤.

- يوسف إلياس سركيس،معجم المطبوعات العربية والمعربة،مطبعة سركيس،مصر، ١٩٢٨.

- يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث،الطبعة الثانية، دار الأندلس ، بيروت،١٩٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع الأجنبية

BAYUR,Y.HIKMET:HINDISTAN TARIHI,2.BASKI.,T.T.K, ANKARA.,1987.

BROCKELMANN,C.:GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR,SUPPLEMENTBAND,E.J.BRILL,LEIDEN,1937.

BROCKELMANN ,C:GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR,E.J.BRILL,LEIDEN,1943.

EI²:THE ENCYCLOPEDIA OF ISLAM, 2ND EDITION,E.J. BRILL, LEIDEN, 1971.

FRASER,JAMES:THE HISTORY OF NADIR SHAH, 2ND. EDITION,A.MILLAR,LONDON,1971.

GAURY,D.G.: RULERS OF MECCA,1ST. EDITION,GEORGE G.HARRAP CO. LTD.,LONDON,1951.

HAIG,WOLSELEY-BURN,RICHARD:THE CAMBRIDGE HISTORY OF INDIA,1ST. EDITION,CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, CAMBRIDGE,1947.

IA:ISLAM ANSIKLOPEDISI.,MAARIF VEKILLIGI ,ISTANBUL,1941.

MORGAN,DAVID: MEDIEVAL PERSIA 1040 - 1797, 1ST. EDITION, LONGMAN,NEW YORK,1988.

SULLIVAN,EDWARD:THE CONQUERORS WARRIORS AND STATESMEN OF INDIA ,NEW DELHI,1983.

UNAT,FAIK RESIT : HICRI TARIHLERI MILADI TARIHE CEVIRME KILAVUZU, MAARIF MATBAASI, ANKARA,1940.

UZUNCARSILI,I. HAKKI,MEKKE-I MUKERREME EMIRLERI,- 1.BASKI, T.T.K,ANKARA,1972.

UZUNCARSILI,I.HAKKI: OSMANLI TARIHI, 3.BASKI T.T.K. ANKARA,1975.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقالات

- أسعد طلس ،«نفائس المخطوطات العربية»، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق،المجلد ١٩٤٧/٢٢.

- حامد علي خان ، «نظرة إجمالية على شعراء اللغة العربية الهنود»، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٢١، عدد ١، ١٩٧٠.

- لطفي عبد البديع، «التكامل في القصيدة العربية»، إلى طه حسين في عيد ميلاده، إشراف: عبد الرحمن بدوي، دار المعارف ، ١٩٦٢.

- A.QADIR,"THE CULTURAL INFLUENCES OF ISLAM ,THE LEGACY OF INDIA, G.T.GARRAT ,2ND .EDITION,OXFORD,1938.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

Ibn Masoom His Life And Poetry

By

Mehmet Mesut Ergin

Supervised by

Prof. Dr. Abdul Jalil Abdul Muhdi

The goal of this thesis can be defined by three axes which can be briefly summarized as:

First : Forming a gereal image of the period in which Ibn Masoom lived (1052-1120 A.H.) and clarifying the influence o f the different events of that time upon him.

Second : A study of the poet's life and the changes which affected him and subsequently coloured his poems.

Third : Explaining the poetic endeavors that the poet favoured such as love poetry, praise, pride, poetic letters and others, as well as giving an analytical criticism of his poems from an artistic perspective.

The research was based upon an internal reaction with the text. I used the overall methodology of research that is achieved through induction, description, analysis and rectification. The research also included the poetic purposes and the general artistic characteristics of Ibn Masoom's poems. It covered his different life stages and his prints on literature. Lastly, I mentioned the sources of my information.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

My thesis was arranged as follows : ٤٥٩٢٦١

Preface : In which I offered a brief introduction of the political, social and cultural aspects in Hijaz and India in the 11th and 12th c. of the Hegira, and its reflection on the poet's life and poems.

In chapter one, I started with a study of the poet's life through its different stages as well as his cultural background and his creed. This chapter also includes his influences on literature and a brief evaluation of his work in a brief way.

Chapter two covered the various poetic arts which were the domain of his poetry. These arts included: love poetry, pride, praise, letters, elegy, home longing (nostalagia). Furthermore, the poet highlighted the ideas and issues that these arts presented.

Chapter three embraced an attempt to clarify the general artistic characteristics in Ibn Masoom poems. This is done through a study of the poems' form and structure. I thus discussed the artistic style of the poet as well as his use of language and rhetorical images in his poems.

In the conclusion of my thesis, I added my personal opinion of Ibn - Masoom poetic side together with the conclusions of my research .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit